أ.ن.كالوسنيك

الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين

منشورات دار علاء الدين

ترجمة: سميح شيا

الأساطير والحقائق
عن
عائلة ستالين

دمشق ، الطبعة الأولى

١٩٩٤ / ١٠٠٠

* * *

التنضيد الالكتروني: دار علاء الدين

الإخراج الفني: باسم قمر

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دمشق ـ دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٤٢٧١٥٨ ـ ٤٢٧١٥٥

تلكس: ٤١٢٥٤٥

فاكس: ٤٢٧١٥٩

* * * * *

الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين

[illegible] من، لم يكن مسموحاً، أن يكتب المؤرخون والمؤلفون في [illegible] التاريخية أي شيء عن حياة ومصير أهل واقرباء الشخصيات [illegible] السوفييتي. لذا، تولدت في عقول الناس مختلف أنواع الأساط[ير] والحكايات التي لم تهمل عائلة يوسف ستالين والتي مازالت تتناقلها عامة الناس.

لم أرد أن أكتب عن ستالين وخصوصاً عن عائلته، لكن الاهتمام الكبير الذي يبديه شعبنا الآن، تجاه ماضي أمتنا القديم، المرتبط بشخصية ستالين شد أزري ودفعني للكتابة. توجهت للبحث في الأرشيف، وقد تملكني العجب، عندما وجدت مجموعة كبيرة من الوثائق التي تجيب عن أسئلة كثيرة متنوعة ومختلفة.

عند مقارنة محتوى هذه الوثائق مع مواد المقابلات الشخصية التي أجريت مع شهود عيان كثيرين لأحداث ذاك الزمان، والذين كان بينهم أحفاد وأقرباء ستالين، وكذلك وزراء حكومته، الذين مازالوا حتى الآن على قيد الحياة، ومنهم لازار كاغانوفيتش وسيمون غينز بورغ، وصلت إلى نتيجة، وهي ان الكثير من وقائع ذاك الزمان غير معروفة وهي لا تشكل منبع اهتمام بالنسبة إلي وحدي فقط، وإنما لكل أبناء شعبنا، وتكشف القناع عن تناقضات تلك المرحلة، وتعطي صورة واضحة للأحداث من عدة جوانب غير منتظرة.

بناءً على ذلك بالذات، ولدت مقالتي الوثائقية عن ياكوف جوغاشفيلي، والتي طبعت في المجلة التاريخية العسكرية . "فوينّو . استوريتشيسكي جورنال" .، ومن ثم أعادت طباعتها الكثير من الصحف والمجلات في الاتحاد السوفييتي وخارجه. بعد ذلك انهالت علي الرسائل من كل

حاسب، وكان القراء يطرحون فيها أسئلة كثيرة، ويطلبون الرد عليها. وقد تكونت من هذه الإجابات نصوص المقالات التي كتبتها عن فاسيلي ستالين وسفيتلانا ألّوليفا وغيرهما من عائلة ستالين، المطبوعة في صحيفة "موسكوفسكايا برافدا" و"سوفيتسكايا كولتورا" و"أرغومينتي إي فاكتي" و"فيتشرمني نوفوستي" وفي مجلة "سيلسكايا نوف" وكذلك في الأعداد الأجنبية من مجلة "مجد ونارودنايا برافدا"، والتي تطبع في الولايات المتحدة وكندا وألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا. وإلاّ أن الاهتمام بهذه المسألة، كان كبيراً جداً، والأجوبة كانت مختصرة جداً مما اضطرني لتأليف هذا الكتاب، والذي هو نتيجة حواراتي ولقاءاتي مع القراء.

إذا عدنا لتقليب الرسائل التي وصلتني، نجد أنها تعطي صورة متكاملة تقريباً عن أكثر الأساطير والحكايات شيوعاً عن حياة ستالين وأقربائه. لا أظن أننا نستطيع لوم الناس على اهتمامهم بحياة ستالين الشخصية. إن الحياة الشخصية تتمّم إلى درجة كبيرة الصورة النفسية الداخلية للإنسان الذي قاد الدولة خلال سنوات عديدة،والذي يتكلمون عن شخصيته في أهم المناظرات والجلسات الثقافية، وعلى صفحات الصحف والمجلات والكتب وبين عامة الناس.

إذا أردنا فعلاً أن نسترجع الحقيقة التاريخية كاملة، علينا أن ندرس كل جوانب هذه الحياة. ففيما يخص العائلة، يطرح القراء سؤالاً مميزاً وهو: "كم مرة تزوج ستالين؟ عدا ي.سفانيدزي ون.ألولييفا، يذكر القراء اسم ماريا كاغانوفيتش أخت لازار مويسيفيتش كاغانوفيتش، أحد وزرائه.

لنتابع ما كتبه لنا، على سبيل المثال، ي.آ.ياشينكو من مدينة نازاروفو في إقليم كراسنايار: "هناك شائعات قوية، تقول إنه بعد ممات ن.س.أولوليفا، أصبحت ابنة كاغانوفيتش زوجة" ليوسف فيسارينوفيتش ستالين. كما يقولون أيضاً، إنه في أحد المؤتمرات الحكوميّة، قام مارشال الاتحاد السوفييتي غ.ك.جوكوف بالرد بفظاظة على ستالين، عندها قامت زوجته الجديدة التي كانت تحضر المؤتمر، بإطلاق النار على المارشال غيورغي كونستانتنوفيتش، لكنها لم تصِبه، وقام هو أو مرافقوه بقتلها نهائياً. يقولون: أن هذه الحادثة، كانت السبب في تخفيض منصب غ.ك.جوكوف بعد الحرب، ونقله من القيادة المركزية.ونحن نعلم أن جوكوف لم يصبح وزيراً للدفاع إلا بعد موت ستالين. ما هي مدى صحة هذه الشائعات؟".

بنيت هذه الأسطورة على أحداث عام ١٩٣٢ ، التي حدثت بعد دفن ناديجدا سيرغيفنا.بالفعل، لقد زارت ماريا كاغانوفيتش، في ذاك الوقت، عدة مرات ستالين في بيته الصيفي، وفي شقته في الكريملين، وعندها انتشرت شائعة، تؤكد أنه سيتزوجها. لكن هذا لم

يحدث، خصوصاً إذا علمنا، أن الألمان في أيام الحرب الأولى، كانوا قد رموا مئات آلاف المنشورات على الخطوط الأمامية المتقدمة للجيوش السوفيتية، يؤكدون فيها أن القائد الأعلى للجيوش السوفيتية، هو عميل للصهيونية العالمية وأوردوا كبرهان على ذلك صلته وقرابته بكاغانوفيتش. وتعيش هذه الشائعات الألمانية المجحفة حتى يومنا هذا، وقد كان الألمان يعرفون جيداً قيمة هذه الشائعات، وقد كان هذا واضحاً من بروتوكول التحقيق مع ابن ستالين . ياكوف جوغاشفيلي . أما الفرضية التي تحكي عن محاولة ماريا كاغانوفيتش قتل جوكوف، فهي فرضية مبنية على أساس موجة الاعتقالات الكبيرة لليهود بعد الحرب، وعلى عدم معرفة عامة الناس للأسباب الجوهرية التي أدت إلى إقصاء المارشال عن منصبه، ونقله إلى منصب أقل. كان الناس يبحثون عن الأسباب، وكان الكثير منهم يختلق الأحداث.

نجد بين مصدر وآخر ما يؤكد، أن ستالين قد سار المسافة إلى المقبرة عندما دفن زوجته مشياً على الأقدام، ويُربَط مصير الكثير من أعضاء القيادة آنذاك بحضورهم وتصرفاتهم خلال مراسم الدفن.

نحن نعرف من مذكرات سفيتلانا أليلييفا ومن مقالات صحيفة "البرافدا"، أن ي.ف.ستالين لم يسر أبداً في مراسيم الدفن، وإنما كان فقط خلال مراسيم الوداع في مبنى الغوم . "المخزن الحكومي الشامل"، لكن رغم ذلك فإن الفرضيات التي تناقض هذه الوقائع كثيرة جدا.

كتب لنا المواطن م.س.إيلديشيف، من مواليد عام ١٩٢٢م، من مدينة خاركوف، يقول: "أريد أن ابدي لكم اعتراضي على ما قلتموه، في أن ستالين لم يكن خلال مراسيم دفن أم أولاده. الأمر ليس كذلك! إنني شاهد حي لتلك المراسيم . لقد كانت مراسيم ذات أبهة عظيمة، مرت أمام نوافذ شقتي، ولقد رأينا جميعنا بوضوح ستالين، وهو يسير مشياً على الأقدام بجانب التابوت. استوطنت هذه المراسيم ذاكرتي طول الحياة. كانت هناك مجموعة أحصنة، تنقل تمثالاً لا مثيل لجماله، تحت مظلة خمرية اللون، وكان الناس وراءها مرئيين وغير مرئيين، لكن بجانب التابوت لم يكن هناك أحد سوى ستالين، لذا كان باستطاعتنا رؤيته بوضوح. يمكنكم طبعاً ألاّ تصدقوا، فليس لدي أية براهين وثائقية، لكنني أستطيع أن أعطيكم عنوان الشقة التي كنا نراقب منها تلك العملية المهيبة: شارع لينيفكا، بيت رقم /٦/، شقة رقم /٨/. كان هناك في ذاك الوقت جسر حجري، ولم يكن هناك أي مدخل إليه، إلا من شارع لينيفكا، لذا، استطعنا أن نراقب عملية الدفن تلك بشكل واضح تماما. كما أنني أذكر في

الثلاثينات مراسيم دفن ماياكوفسكي (وهو أحد الشعراء السوفييت العظماء . م.مترجم)، أما مراسيم دفن أليلييفا، فلن أنساها أبداً".

رسالة أخرى من المواطن أ.أ.بيلياييف من مدينة موسكو تقول: "لا أستطيع أن أؤكد لكم، إن كان ستالين قد وصل إلى المقبرة أم لا، لكنني رأيته من مقر النقابات الحرفية "دوم سايوزوف" وهو يمشي خلف التابوت في شارع أخوتني وكان يرتدي معطفه الشتوي مفتوحا، وبدون غطاء على الرأس. كان التابوت على حاشية الأحصنة وقد رأيت ذلك شخصيا، عندما كنت بالصدفة في هذه اللحظة على طريق الحافلة، الممتد من ساحة الثورة (بلوشاد ريفالوتسيا) إلى ساحة سفيردلوف. كنت في ذاك الحين جندياً أحمر، وقد خرجت من المعسكر في ليلية واحدة وقد كنت أيضاً مع صديقي، وعندما رأينا مرور الموكب توقفنا لا إرادياً.

أنا مواطن من مواليد ١٩٠٨م، وأعتبر عضواً في الحزب الشيوعي السوفييتي منذ عام ١٩٣١ أكتب إليكم، لكي أؤكد لكم فقط حقيقة هذا الواقع، التي لا تقبل الشك".

وكتب المواطن ي.س.أوكونف، من مدينة موسكو مايلي: "لقد حضر ي.ف.ستالين مراسيم دفن ن.س.أليلييفا، وظهر هناك عندما كانوا ينزلون التابوت في القبر، حيث اقترب منه، ورمى هناك حفنة من التراب، وغادر المكان. لقد رأيت هذا بأم عيني مع صديقي الإثنين فولوديا وبوريس ريبين، اللذين كانا يعيشان في البيت المجاور لجدار المقبرة، وقد تسلقنا الجدار وراقبنا كل شيء على الطبيعة. كل شيء كان واضحاً، لأن القبر لم يكن بعيداً عن الجدار، وقد كانت أعمارنا ما بين /١٠ - ١٢/ سنة، وكنا على مستوى لا بأس به من الوعي والإدراك.

أما ما يخص سفيتلانا التي ولدت عام ١٩٢٦م، فقد كان عمرها ست سنوات فقط، وهي لم تكن قادرة على تذكار ما يحدث، ومن كان وماذا حدث في تلك الساعات والدقائق الدرامية، وهي تحكي تلك القصة نقلاً عن كلمات غريبة بكل تأكيد.

لم يكن ي.ف.ستالين قادراً على التقصير في المشاركة في أداء تلك المراسيم الضرورية، وخصوصاً أنه في ذاك الحين كانت تنتشر شائعة قوية، تؤكد أن ن.س.أليلييفا لم تنتحر، وإنما قُتِلَتْ، وبحفنة التراب تلك، كان ستالين يدحض تلك الإشاعة.

وفيما يخص زيارة ستالين لقبر زوجته، وتأدية الإتاوة هناك، فقد صادفت شيئاً مكتوباً عن هذا في مطبوعاتنا، لكنني لا أذكر أين".

بالفعل، لقد ذكر الكثير من المطبوعات عن مرافقة ستالين لجثمان زوجته إلى المقبرة. يقول المواطن فيسيلوف من قرية شيبونوفو، منطقة أومسك: "كتب ي.ف.ستالين في مجلده رقم / ١١٣/ بالمطبوع والمنشور في موسكو في دار النشر السياسية الحكومية (غوسباليت إزدات) عام ١٩٥٣ ، عن حياته خلال /٤١١/ صفحة، مايلي: "/١١/ تشرين الثاني . ي.ف.ستالين يرافق التابوت مع جثمان ن.س.أليلييفا . ستالينا إلى مقبرة "نوفوديفيتشي" . حدثوني من فضلكم أين الحقيقة؟".

يقول المواطن ن.م.ما يسترينكو من قرية بوبوفكا منطقة فينيسيا: "طبعت مجلة "زناميا" في عددها رقم /١١/ الصادر عام ١٩٨٨ على الصفحة /١٣٦/ من مذكرات أ.م. لارينا زوجة ن.ي.بوخارين مايلي: "لقد حدثني ن.ي.أنه قبل إغلاق التابوت، طلب ستالين بالإيماء عدم إغلاق الغطاء، واقترب من التابوت، ورفع رأس ناديجدا سيرغييفنا، وأخذ يقبلها"، كيف تريدوننا أن نفهم ذلك؟ من نصدق؟".

يقول المواطن ف.الكساندرينكو من مدينة ليسيتشانسكا منطقة فوروشيلوفغراد مايلي: "طبعت مجلة "زناميا" (١٩٨٨ عدد رقم /٣/) على الصفحة /٣٤/ عن يوميات قنسطنطين سيمونوف تحت عنوان "رؤية إنسان جيلي" مايلي: "...نحن لا نعرف، ما حدث فعلاً مع عائلة ستالين، ولم نعرف التحول التراجيدي في العلاقات بينه وبين زوجته، ولم نسمع بأنه كان السبب في موتها، لكننا نعلم أنه سار خلف جثمانها، وكان يتألم على فقدانها.."

نرى التأكيد نفسه في مجلة "سمينا" (عام ١٩٨٨ عدد /١٣/): "كان ستالين، يسير على جثث تعسفه واستبداده الذاتي، يلعب ببراعة دور الحداد والحزن على فقدان الصديق، تماماً مثلما كان يسير عبر كل شوارع موسكو، خلف جثمان زوجته أليلييفا، الذي دفعها هو نفسه للانتحار". طبعت مجلة "كومسومولسكايا جيزن" في عددها رقم /١٨/ عام ١٩٨٨ ، تاكيد عامل الأبحاث العلمية في أكاديمية العلوم السوفييتية ن.ن.مبسياتس، الذي كان يعمل سابقاً تحرياً في فرع المباحث الخاص التابع لوزارة الداخلية السوفييتية، أنه رأى ستالين خلال مراسيم دفن زوجته ن.س.أليلييفا.

يورد المستخدم العسكري ف.غ.باختنو من الما . أتا جزءاً من مقالة غالينا سيريبراكوفا تحت عنوان "الإعصار"، التي طبعت في صحيفة "فيتشيرنايا ألما أتا": "كان موكب الدفن يتحرك ببطء، وقد رأيت أمامي قامة ستالين الصغيرة المحدبة. لقد اسوَدَّ وجهه المتعرج، وبدا مريضاً".

يورد القراء غالباً شواهد للكاتب لوي رازغون من مطبوعاته "الغرائب" في مجلة "يونست" رقم /٥/ عام ١٩٨٨م: "وضع جثمان الفقيدة في مبنى الإدارة الاقتصادية التابعة لأعضاء اللجنة المركزية، والذي كان يشغل مبنى "الغوم" حالياً ومرت وفود الناس بجانب الجثمان، وكان يقف في حرس الشرف كل الأوفياء والمخلصين، طبعت الصحف والمجلات تعابير التعازي الصادقة لستالين.

كان ستالين يقف عند التابوت، وينظر نظرة ثاقبة إلى كل من يأتي، ويراقب تصرفات الجميع وتعابير وجوههم..

وقف ستالين عند حافة القبر المحفور مطأطئاً رأسه تارة ومغلقاً وجهه بيديه تارة أخرى لكنه كان يقف بحيث يرى إن كان الجميع هنا أم لا".

"أعتقد أنه يمكننا تصديق لوي رازغون، لأنه كان ولسنوات كثيرة عضو عائلة ي.م.موسكفينا، الذي ينتمي إلى أسرة قيادة الجهاز الحزبي الحاكمة، وكان نفسه مقرباً من هذه الأسرة، وبالنتيجة كان يحس بكل أهوال الاضطهادات الستالينية . هذا ما قالته أولغا غروموفا، الطالبة في مدينة لينينغراد". ويقول د.أ.سلطانوف من موسكو: "يمكن للوي رازغون، وهو يكتب عن أحداث جرت منذ خمسين عاماً، أن يخطئ،شأن أي إنسان آخر في ذلك. لكنه يورد هناك رد الفعل الشاعري لهذه الأحداث، المنقول عن الشاعر سلوتسكي، الذي لم يكن نفسه في محفل الدفن. طبعاً إن رد الفعل الشاعري نفسه ليس برهاناً، لكنه يسمح لنا بالخروج بنتيجة، وهي أن رد الفعل ذاك مسبوق بمعلومة من نوع معين. لقد عرف سلوتسكي بذلك، وهذا يعني أن أحداً قد حدثه، وهذا الأحد قد يكون واحداً أو قد يكون مجموعة من الناس، أي أنه يوجد على الأقل شهود عيان.

المسألة رغم ذلك ليست فارغة ابداً، إنها ممتعة للقارئ. ويبدو لي أنه لا داعي كي أشرح سبب ذلك. كما أظن أن واقعة إضافية في حديثنا هذا لا تفسد الحكاية. إذاً، من هو المحق؟".

لم تتكلم المقالات المنشورة في صحيفة "البرافدا" اي شيء عن مرافقة ستالين للجثمان، حتى إنه لم يذكر اسمه بين الناس، الذين ذكرتهم الصحيفة وكانوا موجودين في المقبرة. تؤكد سفيتلانا أليلييفا في مذكراتها، أن ستالين لم يذهب إلى المقبرة، ولم يزر قبر زوجته ولا حتى مرة واحدة. في هذه الحالة نقول، من كان ذاك الذي خلط للشهود بينه وبين ستالين؟.

يجيب عن هذا السؤال غريغوري يوسيفوفيتش موروزوف، الذي عرف عائلة ستالين منذ

الطفولة، والذي كان يدرس في صف واحد مع فاسيلي ستالين: "لقد خلطوا بين ستالين وبين اليوشاسفانيدزي، وهو أخ زوجة ستالين الأولى. جورجي بحت بشكله وهيئته، ويشبه ستالين، وكان يسعى دائماً أن يكون شبيهاً له، وقد خلطوا بينهما، لأنهم لم يعرفوا ستالين إلاّ من خلال الصور، ولم يعرفوه أبداً في الحياة وبين الشعب".

تبدو لنا هنا وجهة نظر العامل أ.ك.تشيريموخين، الذي كان يعمل في بناء المترو عادلة، فهو يقول: "لا أظن أنه من حق لوي رازغون، أو أي كاتب آخر، أن يربط بين تصرفات المشاركين في مراسيم دفن ن.س.ألوليفا، وبين مصيرهم المستقبلي. تبث "الغرائب" مضمونها بناءً على مواد واقعية ووثائقية، وموضوع الستالينية، ودون تحليل وثائقي متعمق، قد أصبح عرضة للتسويق في كل مكان، وبدأ يضجر ويغضب الناس، خصوصاً بالتشهير الصاخب لشخصية ي.ف.ستالين". في هذه الحالة لا نستطيع، إلاّ أن نتفق مع رأي محرر هذه الرسالة.

اعتمد على الشائعات أيضاً ظهور بعض الفرضيات التي تقول، إن من قتل ن.س.ألوليفا هو زوجها، أو إن ذلك قد تم بأمر منه.

"طبعت صحيفة" "سوفيتسكايا مولوديوج"، الصادرة باسم منظمة الكومسمول السوفييتي في ليتوانيا في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٨٨ مذكرات إيليانورا كارلوفنا إيغو، عضو اللجنة المركزية لكمسمول ليتوانيا، في الثلاثينات من هذا القرن. تقول الصحيفة إنه قد حالف الحظ هذه المرأة، حيث تقاطع طريق حياتها مع حياة فاينا بوريسوفنا غامارنيك، الطبيبة الخبيرة المشهورة التي كانت تعمل في مصحة القيادة في الكريملين (...)

كانت فاينا غامارنيك أول من تم استدعاؤها، إلى أليلوييفا بعد إطلاق النار، لتقدم لها الإسعافات الطبية اللازمة. انطفأت الشمعة، بكل معنى الكلمة، بين يديها، وقد فهمت هي كطبيب، أن الحادثة ليست مجرد قضاء وقدر، كما أنها ليست حادثة فريدة من نوعها. لقد تم إطلاق النار على أليليفا، وكان من الصعب إنقاذها. وقالت المرأة، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة: "من! إنه يوسف، فاينا.. لم يسامحني، على أنني دافعت عن ناديا كروبسكايا (زوجة لينين هم.مترجم)، عندما طلبت الرحمة.... هو نفسه.... بيديه..." . أ.ي.كارا من ريغا".

إن هذه الشائعات التي لم تؤكدها أية مصادر آخرى أظن أنها ستبقى مجرد فرضيات غير مثبتة، ولا تستحق الاهتمام، تماماً كما هي الشائعات عن انتحار ناديجدا سيرغييفنا بسبب حبها الكبير لابن صفها في المدرسة، والنزاع الناشئ عن ذلك مع زوجها.

أظن أن ما يورده الكييفلاني (مواطن مدينة كييف) ف.ي.فيتس، يخص هذا الموضوع أيضا، "يكتب بعض المؤلفين، أنه كان لأليلوييفا علاقة مع الابن الأول لستالين . ياكوف، وأنه بسبب ذلك طعنها بالخنجر".

هناك الكثير من الاساطير عن حياة أبناء ستالين وأكثر الأساطير شيوعاً هي عن ابنه الثالث: "في الخمسينات، كنت أعمل على متن باخرة الأسطول النهري الشمالي، ذات مرة، وخلال وقفة طويلة في مدينة سولفيتشيغودسك منطقة أرخانغلسك، خرج الطاقم كله للتعرف على الأماكن الأثرية في المدينة، متحف ي.ف.ستالين، الذي أنشئ في البيت الذي كان يعيش فيه خلال فترة نفيه قبل الثورة. حدثتنا صاحبة هذا البيت وبسرية كبيرة أنه ولد [illegible] ي.ف.ستالين، ولدت منه إحدى النساء المؤمنات هنا طفلاً [illegible] أخذوا هذه المرأة مع ابنها إلى موسكو، ثم عادت هي وحدها [illegible] حتى آخر أيامها في سولفيتشيغورسك. أ[illegible] من فضلك، هل بقي [illegible] للابن الثالث . بطل الأزمان كلها.. [illegible] هذه الرسالة [illegible] مدينة ستيرليتاماك من جمهورية بشكيريا السوفتيه المستقله ذاتيا

يمكن لهذا السؤال، أن يكون قد نشأ من خلال الحوالات النقدية [illegible] ي.ف.ستالين بعد عودته من المنفى. من المحتمل جداً أنه كان يأخذ النقود [illegible] ومن ثم يعيدها. لكن حتى هنا لا توجد أية وثائق رسمية تؤكد ذلك أي تؤكد أنه ترك خلفه أولاداً غير مسجلين في دوائر نفوس الدولة.

يخلط الناس كثيراً بين ياكوف جوغاشفيلي والابن السيبيري، معتمدين في ذلك، على أن زوجة ستالين الأولى يكاترينا سفانيدزي قد ماتت عام ١٩٠٧م. وقد سجّل ياكوف سنة ميلاده في كل الوثائق عام ١٩٠٨ .

فعلاً، ما الأمر؟

"عند من تربى ياكوف خلال فترة نفي ستالين؟" . يسأل ي.أ.ياشينكو من مدينة نازاروفو إقليم كراسنايار. تستطيع الإجابة عن هذا السؤال مواطنة مدينة تبيليسي د.م.موناسيليدزي، ابنة ألكساندرا سيمونوفنا موناسيليدزي، المكنّاة بعد الزواج سفانيدزي وهي أخت يكاترينا سفانيدزي، التي عاش وتربى ياكوف في عائلتها حتى بلوغه سن الرابعة عشرة (قبل انتقاله في عام ١٩٢١ إلى موسكو إلى عند أبيه). حسب شهادة د.م.فإن" عام ١٩٠٨ قد سجل في

وثائق ياكوف جوغاشفيلي، على أنه سنة ميلاده، بناءً على اتفاق بين الجدة سانّورا دوالي سفانيدزي والقديس المحلي، وذلك كي يستطيع حفيدها اليتيم أن يتأجل سنة عن الخدمة في الجيش القيصري".

بعد انتقال ياكوف إلى موسكو، نشأت بينه وبين ابيه علاقات توتر ليست جيدة، وقد يكون ذلك بسبب عدم تكيف ياكوف الكافي للعيش في موسكو، وبسبب انخفاض مستوى تربيته في الآونة الأولى عن مستوى تربية أولاد ناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا. كان ستالين الأب يغضب كثيراً من ياكوف، لكن نزاعاتهما وتناقضاتهما لم تحمل صفة سياسية وإنما كانت نزاعات عائلية فحسب. عاش ياكوف، مثل فاسيلي وسفيتلانا، تحت حماية الحرس، وكان يستخدم سيارة خدمة خاصة به.

يسأل س.موروزوف من مدينة كيروفسك مايلي: "كيف عرف ستالين بأسر ابنه، اذا كانت المعلومات حول أسره متضاربة كثيراً؟". يقول الكاتب إيفان فوتيغيتش ستانديوك الذي تحدث بهذا الشأن مع ف.م.مولوتوف، إنه عرف ستالين بهذا الأمر لأول مرة من تصريح الراديو الألماني، ثم من المنشورات.

ما هو سبب اعتقال زوجة ياكوف يوليا ميلتسر؟ . لقد طرح علي هذا السؤال كثيراً أثناء خطاباتي أمام العامة. أنا متأكد، أن ي.ف.ستالين كان يعرف، أن ابنه قد سلم للألمان بمساعدة بعض معاونيه، ويبدو أنه كان يعتبر أن زوجة ياكوف كان لها يد في ذلك. لإثبات هذه الفرضية نتوجه إلى مذكرات س.اليلوييفا، وإلى رد ياكوف على أحد أسئلة الكابتن (النقيب) ريشلي في التحقيق الذي طبعته إحدى المجلات اليوغوسلافية "يولسيتيكا" في السابع عشر من تشرين الأول عام ١٩٦٧م.

تقول س.اليلوييفا في مذكراتها: "هتفت في نهاية آب لوالد ياكوف من ستوتشي، وقد وقفت يوليا بجانبي، ولم تزح نظرها عن وجهي. لقد سألته، لماذا انقطعت أخبار ياشا، وأجابني متلفظاً الكلمات ببطء وبوضوح "ياشا وقع في الأسر"، وقبل أن افتح فمي أضاف: "لا تقولي أي شيء لزوجته الآن..". لم تكن عواطف الشفقة والمحبة ليوليا هي التي دفعت ستالين لهذه الملاحظة، فقد ولد لديه الظن، أن هذا الأسر لم يكن مصادفة"، وأن هناك من سلم ياشا للألمان وخذله، وقد شك بأمر يوليا..وعندما عدنا في أيلول إلى موسكو، قال لي: "لتبقَ ابنة ياشا عندك الآن... أما زوجته، فأظن أنها إنسان غير نظيف، يجب أن أتحقق من ذلك..". واعتقلت يوليا في موسكو في خريف عام ١٩٤١م، ومكثت في السجن حتى ربيع عام ١٩٤٣ ، عندما

تم التأكّد، أنه ليس لها أية علاقة بهذه المصيبة، وعندما تأكد ستالين من تصرفات ابنه بالأسر، أنه لم يرد أن يسلم نفسه بنفسه للأسر..". إليكم الآن جواباً من بروتوكول التحقيق "ريشلي . كيف عرفتم، أنكم ابن ستالين، بالرغم من أنه لم يكن عندكم أية وثائق تثبت ذلك؟

جوغاشفيلي "لقد خانني بعض رجالي العسكريين"..

اعتماداً على الوثائق التي تكلمنا عنها آنفاً، واعتماداً على الشهادات المصرح عنها بهذا الشأن،نجد أن هناك نتيجة تفرض نفسها، حول تسليم ياشا للألمان نتيجة الخيانة.

"هل اتخذت، بمبادرة من الاتحاد السوفييتي، خلال سنوات الحرب، أية تدابير في مصلحة تحرير ياكوف جوغاشفيلي من الأسر؟. لقد تحدثت دولوريس إيباروري بهذا الشأن في مذكراتها التي صدرت في برشلونة عام ١٩٥٨، وأكدت أنه كان هناك مثل هذه المبادرات. كتبت دولوريس، أنه قد تشكلت في أيلول عام ١٩٤٢م في الاتحاد السوفييتي مفرزة خاصة لتحرير ياكوف جوغاشفيلي من الأسر. أنزلت المفرزة خلف خطوط الجبهة المعادية، وهلكت فيما بعد بكاملها. كان في المفرزة ثلاثة أسبانيين (من أولئك الذن وصلوا إلى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٦ من بلدهم، التي كانت تخوض في بحور دماء الحرب الأهلية).

كتب د.أ.فولكوغونوف بهذا الشأن يقول، إنه: "... لم يُؤَكَّد هذا الأمر في الاتحاد السوفييتي، ولم يدحض. أريد أن أعرف رأيك بهذا الشأن..ل.غ. تشيرنيافسكي . ملازم أول متقاعد . مدينة غومل".

تم تنظيم البحث عن ياكوف في تموز عام ١٩٤١م، وقد أعطت قيادة الأركان للجيوش أوامر خاصة بهذا الشأن، وأرسلت إلى المؤخرة مجموعة بحث خاصة. فيما بعد، حاولت القيادة تحريره عن طريق إرسال فصائل تخريبية، ومن ثم تم إيقاف هذه المحاولات بسبب عدم إمكانية تنفيذها على ما يبدو. لنرَ ما كتبه مارشال الاتحاد السوفييتي غ.ك.جوكوف في مذكراته: "...سألت: . منذ مدة، وأنا أريد أن أسأل وأستعلم عن ابنكم ياكوف..أليست هناك أية معلومات عنه؟. أجابني ستالين عن سؤالي هذا بتأنٍّ، وبعد أن مشى حوالي مئة خطوة، قال لي بصوت خافت : . لن يخرج ياكوف من الأسر. سيعدمه الفاشيون. حسب معلومات الاستطلاع التي وردتني، فإن الفاشيين يسجنونه في غرفة منعزلة عن باقي الأسرى، ويحاولون كسبه لخيانة وطنه.

أحسست أنه يعاني من أجل ابنه كثيراً، وعندما كان يجلس خلف طاولة الطعام، كان يجلس مدة طويلة بصمت، قبل أن يبدأ بالطعام".

إذاً، إن ي.ف.ستالين كان يملك بعض المعلومات المحددة عن ابنه.

يكتب ل.غ. تشيرنيافسكي في رسالة أخرى: "هل اتخذت بمبادرة من الاتحاد السوفييتي،بعد الانتصار على ألمانيا، أية تدابير جدية لمعرفة مصير ياكوف جوغاشفيلي؟"، ويجيب بنفسه: "في نهاية الحرب، كنت على الجبهة الأكرانية الثالثة. عملتُ مساعداً للقومندان العسكري في فرع السكك الحديدية في بلغاريا. بعد النصر بقليل، في أيار. حزيران عام ١٩٤٥، قرأت في أحدى الصحف البلغارية مقالة صغيرة عن تعريفة إعلان صادر عن جنرالية ستالين، يطلب فيه، لقاء جائزة مالية كبيرة تقدر بمليون مارك ألماني غربي، إعطاءه معلومات موثوقة وثابتة عن مصير ضابط المدفعية ياكوف جوغاشفيلي.

لا أذكر الآن بالضبط اسم تلك الصحيفة، فقد كنت أقرأ في ذاك الوقت صحفاً كثيرة، لكن غالباً كنت أقرأ صحيفة "الجبهة الوطنية أتيتشيشتفيني فرونت" و"رابوتنيتشيسكوديلو" لا أدري إن كان هذا الخبر موثقاً أم لا، فقد كانت الإشاعات الإعلامية في ذاك الزمان كثيرة". لقد عرف طبعاً ي.ف.ستالين بعد الحرب باستشهاد ابنه، وهو لم يظهر اية ردة فعل، عندما أخبروه من السفارة السوفيتية في ألمانيا، أنه قد جاءهم الماني، يعرف مكان دفن ياكوف. وعدم تأثره ذلك، إنما يدل على معلوماته اليقينة المسبقة بذلك، وإلاّ فكيف يمكن تفسير هذه اللامبالاة؟.

تناقل العامة بعد الحرب أساطير كثيرة عن مصير ياكوف، أكان ذلك في الاتحاد السوفييتي أو خارجه، وهناك الكثير منها، ما زالت تروج حتى يومنا هذا. لنعد للرسائل!.

"في عام ١٩٤١ سارت أحاديث في معسكر الأسرى، الذي كنت فيه، عن وقوع ابن ستالين في الأسر، حتى إنهم قالوا، إن ابن مولوتوف أيضاً أسير لكنني لم اصدق ذلك. في هذه الفترة قرأت مقالة تقول، إن ياكوف ستالين، قد استشهد في معسكر الاعتقال رافينزبروك. أنا لاأصدق ذلك للسبب التالي: عندما سافرت إلى ألمانيا، عملت في مدينة ميونيخ في مصنع الموبيليا والفرش، الذي يحمل اسم "زايدر". في عام ١٩٤٤ قصف طيران الجوية الأمريكية المصنع، وقد نُقِلَ ما تبقى منه مع العمال إلى قرية هينحيندورف التابعة لمحافظة شتامبر، وكانت قد نظمت هنا مجموعة تناضل ضد الفاشية.

ذات يوم مساءً، في شباط عام ١٩٤٥، وصل إلينا من مدينة ميونيخ إلى القرية قائد هذه المجموعة، عضو الحزب الشيوعي الألماني يوزف هسلر، واخبرني أنا شخصياً، أن الشيوعيين قد خطفوا من معسكر الاعتقال رافينزبروك ابن ستالين، ونقلوه إلى مدينة مينسك (عاصمة روسيا البيضاء . م.مترجم).

بعد عودتي إلى الوطن، كنت أتذكر دائماً هذا التصريح، لكنني لم اتفوه بكلمة. كنت أصمت لأنني لا أعرف عواقب تصريحي بذلك ثم إني لم اقرأ بهذا الشأن أي تصريح رسمي في الصحف، ولم اسمع عنه بالراديو وقد أكون أهملت سماع مثل هذا الخبر.

صدقت وما زلت أصدق هسلر، وتصريحه لي حقيقة واقعة لا ريب فيها، وذلك لأني رأيت بأم عيني بطاقته الحزبية ووصلاً من اشتراكاته الحزبية أيضاً، قبل سيطرة الفاشيين على السلطة، ثم إنه لم يكن بيني وبين هسلر في هذه المجالات أية مناقشات، وأعتبر تصريحه لي في غاية الجدية، فلم يكن مجبراً على ذلك.

إن الإعلان الوارد في مقالتكم عن موت ابن ستالين هو إعلان غير صحيح، وأريد أن أنوه، أن الشيوعيين كانوا يشغلون المناصب القيادية في معسكرات الاعتقال، وكانوا قادرين على إرسال أية جثة أخرى إلى المحرقة بدلاً من جثة ياكوف، واعتبار ياكوف ميتاً، وهذا طبعاً كان سيسجل في الوثائق الأرشيفية. أما ياكوف نفسه فيوضع في القسم الوبائي من المعسكر، حيث لا يعلم الحرس أين يعيش بكنية مستعارة حتى عام ١٩٤٥ .

أما بعد، فقد نقل من معسكر الاعتقال "اسفينتسيم"، بطريقة ما، المدعو يوزف تسيرانكيفيتش الذي كان يقود مجموعة تعمل ضد الفاشيين، وقد فضح الحرس هذا الأمر.

كما أني لا اصدق الوثائق الأرشيفية التي يقدمها الإنكليز. يمكن كتابة أي شيء على الورق، ويمكن اعتبار الورق موثوقاً، فيما إذا قدم، كما فعلت الصحافة ذات مرة، عندما نشرت خبر موت إرنست تيلمان.

أنا شخصياً أعتقد أن طريق البحث عن ياكوف ستالين، يجب أن يبدأ من مينسك. و.ماكسيمتشوك، مدينة إيفانوفرانكوفسك".

هنا لابد من إبداء تدقيق ينفي كل ما ذكر في الرسالة. كان في معسكر الاعتقال / رافينزبروك/ أطفال ونساء فقط، ولا يمكن لياكوف جوغاشفيلي أن يكون في هذا المعتقل.

"في عام ١٩٦٦، قرأت في الصحيفة التركية "جمهورية"، وعلى الصفحة الأولى، مقالة كبيرة تحت عنوان "بعد عشرين سنة". تقول المقالة إن ياكوف قد هرب من الأسر، وانضم إلى الفدائيين الإيطاليين، ومن ثم تزوج من إيطالية، وأنجب منها طفلين: صبياً وبنتاً. وفي عام ١٩٦٦، كان ابن ياكوف جوغاشفيلي يخدم في الجيش الإيطالي وكانت ابنته تدرس في المعهد الموسيقي العالي . كانسير فاتور. كان الفدائيون يسمون ياكوف "الكابتن مونتي"، وقد أخفى عنهم أنه ابن ستالين. عندما وقع ياكوف مرة أخرى في الأسر عند الألمان، فجر نفسه ومن حوله من الألمان بقنبلة مضادة للدبابات. بعد ذلك تتحدث المقالة، أن سفيتلانا بنت ستالين، كانت تساعد أولاد أخيها بالنقود، بعد أن سكنت في الولايات المتحدة الأمريكية.

طبعت الصحيفة ايضاً صور ياكوف محاطاً بالفاشيين (قبل استشهاده على ما يبدو)، وصورة ابنته . حفيدة ستالين.

كنت أريد أن أعرف رأي المؤرخين الأخصاصيين بذلك. هل هذا صحيح؟ أم أنها مفاجأة مثيرة بالنسبة لهم؟

مع جزيل الاحترام

المقدم الاحتياط ن.إيلياسوف، مدينة أوديسا

في الرسالة التالية، يحدد تاريخ استشهاد ياكوف: "استشهد الملازم أول ياكوفـجوغاشفيلي في الحادي عشر من نيسان عام ١٩٤٥م. لقد قتل مع اثنين من أصدقائه من قبل الحرس على ضفاف بيغي في مدينة أتيندورف. حاول شاهد الجريمة أ.مينتيشاشفيلي البحث عن الجثث في النهر، لكن دون جدوى، لأن نهر بيغي هو نهر جبلي وغزير. يعيش الشاهد في موسكو، وأنا لا أعرف عنوانه. عرف بذلك السرجنت فاسيلي إيفانوفيتش غانزيوك من قرية ستارايا أوشيتسا منطقة نوفوأوشيتس محافظة فينيسيا، والكابتن لوكاش سيمون إيفانوفيتش من قرية ميخائيلوفكا إقليم بريمورسك. يمكن معرفة مكان لوكاش من عائلة غ.ك.جوكوف.

كيميروفو، الرفيق برودفيك غ.ك

هناك فرضية أخرى أيضاً: "هناك شائعات كثيرة تتناقلها العامة. يعيش في بنايتنا وفي البناية المجاورة أناس، ممن كانوا من ذيول الفاشيين، والذين أنهوا مدة سجنهم على الخيانة الوطنية التي

ارتكبوها، خلال الحرب الوطنية العظمى. يحدّث هؤلاء، أن ستالين قد بادل ياكوف جوغاشفيلي بالفعل، لكن ليس بباولوس، كما يظن الكثيرون، وإنّما ببضع مئات من الضباط الألمان، وأن ابنه نقل بعد ذلك إلى أمريكا. نريد معرفة الحقيقة!.

آنّا فاسيليفيــنا شالوبودا، متقاعدة، محارب العمل القديم، وفي سنوات الحرب كانت معتقلة في معسكر الاعتقال شبانداو رقم ٧١١٠، دينبرودزيرجينسك".

إليكم الآن هذه الأسطورة الغريبة التي أوردها أ.س.يفتيشسن من موسكو: "كنت في حزيران عام ١٩٧٧م في المشفى التاسع والعشرين في مدينة موسكو. كان المرضى في غرفتي من عمر واحد تقريباً، وكانوا كلهم من المشاركين في الحرب، وجو الغرفة الاجتماعي كان أكثر من جيد.

كان ينام على السرير الذي بجانب سريري، واحد من كبار مهندسي التصميم، وإليكم ما حدثنا به هذا الشخص: "ذات يوم، في وقت متأخر من الليل، عندما كانت مسائل العمل كلها قد نوقشت، أعلمنا أرتيم نيكويان أخ أناستاس إيفانوفيتش نيكويان، في مكتبه الصغير، وبين مجموعة صغيرة وفي درجة عالية من السرية، مايلي: في الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٤٥ خرجت من منزلي الصيفي، وكنت مسرعاً لكي ألحق بمسيرة النصر، وفجأة رأيت عند مدخل بيت ستالين الصيفي شخصاً يقف. في البداية لم أعره انتباهي، لكنني عندما أمعنت النظر، تعرفت في وجهه على ياكوف جوغاشفيلي. عندها سألته: . ياكوف، أهذا أنت؟!، وأجابني: . نعم، أنا،

. كيف بقيت على قيد الحياة؟

. لا تسألني..عندما سنلتقي يوماً ما، سأحدثك.

كنت مسرعاً، ولم يبق هناك وقت للكلام، اعتذرت منه وغادرت، ولم أره بعد ذلك قط. لم يكن لدينا اساس في عدم تصديق الشخص الذي نقل إلينا ما قاله أرتيم نيكويان. كان عند ستالين إمكانيات جمة للمحافظة على حياة ياكوف، وإن فعل ذلك، فإنه ليس من مصلحته أن يعلن ذلك للناس، خصوصاً عندما تركت الحرب في كل بيت آلاف المصائب".

إذاً، هناك معلومة جديدة للمناقشة والتمحيص.

ترون جميعكم أن هناك أساطير كثيرة عن ياكوف، لكن لم تملك أي منها اي أساس لها يرفعها لأن تشغل مرتبة معينة في بناء الحقيقة.

لنعد إلى الوثائق المحفوظة في قسم وثائق الحرب المصادرة، التابع للأرشيف القومي في الولايات المتحدة: في الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٤٣م وجه هيملر رسالة إلى وزارة الخارجية الألمانية يقول فيها: "عزيزي ريبينتروب! ارسل إليك تقريراً عن الظروف، التي تم فيها إطلاق النار على الأسير ياكوف جوغاشفيلي، ابن ستالين، وقتله، عند محاولته الفرار من المجمع الخاص "A" في زاكسينخاوزن بالقرب من أورانينبورغ.

هائِلْ هتلر!

صديقك هنري هيملر".

هاك أيضاً تقريراً عن موت ياكوف جوغاشفيلي، كتبه الطبيب الشرعي لفرقة "الرأس الميت" في الرابع عشر من نيسان عام ١٩٤٣م،: "وبعد أن فحصت الأسير، تبين لي أن موته ناتج عن طلقة في رأسه، تتوضح فتحة اختراق الطلقة للجسم اسفل الأذن بمسافة أربعة سنتمترات، تحت قوس الوجنة تماماً، ولقي الأسير حتفه بعد إصابته بالطلقة مباشرة. يبدو أن سبب الموت هو تحطم القسم السفلي من الدماغ".

أريد الآن أن أورد رسلة تجعل وجود ياكوف جوغاشفيلي في السجن الخاص في زاكسينخاوزن، عرضة للريبة والشك: "في عام ١٩٥٠ و١٩٥١م كنت في صفوف القوات المسلحة السوفيتية، المتمركزة فوق أراضي ألمانيا الشرقية، وكنت أعيش بالقرب من معسكر الموت زاكسينخاوزن في مدينة أورانينبورغ. على الأصح في عام ١٩٤٩م عندما تشكلت ألمانيا الشرقية، أرسلت فرقتنا بنصابها الخاص إلى منطقة هذا المعسكر وذلك بعد أن تم تنظيف هذه المنطقة من مجرمي الحرب الموجودين هناك. كنت هناك مدير مكتبة الفرقة، وكنت أسير وأتجول في كل منطقة المعسكر، ولم يكن هناك أمكنة مسورة بشريط شائك، أو مناطق ميتة، بل كان المعسكر كله "منطقة ميتة". لماذا لم يكن هناك شريط شائك، ألكي يرمي الإنسان بنفسه عليها؟ لا، وإنما للسبب التالي: كانت مساحة معسكر زاكسينخاوزن الكبيرة محاطة بسياج من البيتون المسلح بارتفاع /٥ . ٦/ أمتار، وذي سماكة كبيرة وكان في أعلى هذا الجدار فقط قبعة صغيرة من الشريط الشائك المكهرب. لم يكن ممكناً لياكوف جوغاشفيلي، أن يصل إلى هذا الجدار ولا بأي حال من الأحوال.

كان يوجد داخل هذا السياج، على مسافة /١٥٠ . ٢٠٠/م، جدار آخر، أخفض من الأول بقليل، لكنه من البيتون المسلح أيضاً. على كل حال، لا يمكن للمرء أن يرى من فوق هذا الجدار اي بيت أرضي، أو أي بناء آخر، وإنما كان يستطيع أن يرى فقط مدخنة المحرقة،

والمشنقة المبنية من جائزين حديديين فوق المصنع، الذي كان يصنع الثياب والأحذية والشعر وغير ذلك. وكانت تمتد داخل هذا الجدار مساحة كبيرة، بنيت عليها أسيجة اخرى في عدة أماكن، وكانت كلها جدراناً منخفضة من البيتون المسلح مع غرف صغيرة للمساجين عليها. في أحد هذه الأسيجة الصغيرة، أثناء الانتقال من معسكر لآخر عاش مدة يومين أو يومين ونصف اليوم إرنست تيلمان.. هذا ما حدث به بعض الناس العارفين.

أما ما يخص احتواء واستشهاد ياكوف جوغاشفيلي في هذا المكان وفي ذاك الزمان، فلم يتحدث أحد عن ذلك. لكن بما أنه كان موضوعاً في مكان خاص، هذا يعني أنه كان في مثل هذه الأمكنة الصغيرة المحاطة بجدران عالية صماء، وعليه كان في حال الهرب، أن يتخطى ثلاث عقبات أمثال هذا الجدار، وكان المساجين قادرين على تخطي هذه الجدران عن طريق البوابات فقط (وهي بوابات معدنية ولها ارتفاع الجدران ذاتها)، وباتجاه واحد . للداخل.

مع احترامي العميق

بارساغايف ب.أ.

فعلاً، بعد هلاك ياكوف ونقل الإنكليز من الغرفة الصغيرة، تمت إزالة الشريط الشائك. الجدير بالذكر، أنه عندما رمى ياكوف بنفسه على الشريط، كان يضمر الهلاك لنفسه بشكل إرادي، ولم يرد أن يهرب من المعسكر، وهو يعرف أن هذا الأمر كان مستحيلاً.

احدى الأساطير الأكثر انتشاراً، هي أنه كان لياكوف شبيه.

انتشرت مثل هذه الشائعات، لأن بعض الجنود الحمر، كانوا يقولون إنهم من أبناء ستالين، عندما كانوا يقعون في الأسر، حيث كانوا يتوخون النجاة من جراء ذلك، أو ربح قليل من الوقت للنجاة. وتعتبر خير برهان على ذلك رسالة أ.ي.بونداريكو من مدينة إيليتشيفسكا محافظة أوديسا: "عمري /٥٢/ عاماً. خدمت ضمن صفوف القوات المسلحة السوفييتية في ألمانيا، ما بين عامي ١٩٥٦ . ١٩٥٩م. أصبحت عضواً في الحزب الشيوعي وأنا في الجيش. عندي رجاء، أن تجيبوا عن رسالتي.. لا أدري لماذا لكني أحس أن رسالتي ليست الأولى التي تتطرق لهذا الموضوع. أمضيت خدمتي بالقرب من برلين، في منطقة تسمى "شونفالدي الكبيرة".

في عام ١٩٥٧ تقريباً، حضر إلى النادي العسكري (الذي يحتوي على /٥٠٠/ مكان للجلوس)، في اجتماع عاجل عسكريون من كافة كتائب تجمعنا العسكري هناك (بمن فيهم

أنا). كان النادي كبيراً، وكان مخصصاً لعرض الأفلام السينمائية، وتنظيم السهرات والأمسيات العسكرية.

جلسنا جميعاً مباشرة، وأعلمنا أحد مبعوثي مكتب التوجيه السياسي عن سبب الاجتماع. كان هناك على خشبة المسرح طاولة وعدة كراسٍ، وصعد إلى هناك، على ما أذكر، خمسة عسكريين وواحد مدني.

دون مقدمات، سألنا أحد الجنرالات مباشرة:

. هل تذكرون تلك الحادثة خلال سنوات الحرب، عندما قال ستالين: إننا لا نبدل جندياً بمارشال؟

. نذكر، نذكر!...

. اعلموا إذاً، أن ذلك لم يحدث! أتى اليوم معنا إنسان بولوني الجنسية، اضطرته الأقدار، أن يلعب دور ياكوف ستالين، واستطاع بفضل هذا الدور أن ينجو بحياته. سيحدثكم هو بكل شيء.

بعد ذلك، اقترب من المنبر شخص قصير القامة، وتحدث معنا قرابة الساعة. وقع هذا الإنسان في الأسر، ورموه الألمان بعد جلسات تعذيب مطولة في حفرة بيتونية، وسألوه من خلال فتحة، إذا كان سيتكلم (أمضى هناك حوالى أسبوع). بعد ذلك، أخذوا يصبون الماء في الحفرة، وسبح هو منهك القوى تحت الفتحة، ولكنهم كانوا يدفعونه للأسفل في الماء. أخيراً قال لهم، إنه سيتكلم. عندها سحبوه، وعالجوه حوالى الأسبوعين، لأنه قال إنه ابن ستالين. وقد بقي هذا الشخص حياً.

هناك الكثير من القصص الخيالية والأساطير قيلت أيضاً حول الابن الثاني لستالين . فاسيلي. إذا أخذنا الرسائل بعين الاعتبار، فإن الكثيرين يعتبرونه ابناً غير شرعي لستالين:

"ولد فاسيلي ستالين في قرية زيموفييكا إقليم طوروخانسك، حيث كانت أمه معلمة، وكان أبوه ي.ف.ستالين في المنفى.

في نهاية العشرينات، عندما كان س.م.بوديني في رحلة رقابية في مدينة إيركوتسك، كان له حديث ودي مع السكرتير الأول للجنة الإقليمية السيبرية الشرقية

للحزب الشيوعي البلشفي وقد عرف منه، أن هناك معلمة قروية تضايقه دائماً، وتطالب بتخصيص تعويضات لها لتربية ابنها الذي ولدته من ستالين. عندها طلب بوديني استدعاء المعلمة مع ابنها البالغ من العمر أحد عشر عاماً، وبعد أن تحدث معها، اصطحبها إلى موسكو، مجهزاً بذلك مفاجأة لقائده. قد يكون ستالين غير عالم بهذا الابن. أخذ ستالين الولد ضمن عائلته، وبما أنه كان متزوجاً من ن.س.أليلوييفا ليس قبل عام ١٩٢٠ سجّل فاسيلي على أنه ولد شرعي من أليلوييفا، مع اعتبار كل الحالات والظروف المحيطة، ومع اعتبار أن أليلوييفا في عام ١٩١٧ كانت تبلغ من العمر ستة عشر عاماً فقط.

في عام ١٩٤٥ توجه فاسيلي ستالين إلى قومندان أحدى المدن البولونية وهو د.ب. كازانسكي، يطلب منه جمع طرد محدود لأمه. هذا يعني، أن أمه كانت في عام ١٩٤٥ حية وفي السيرة الذاتية للعائلة عين تاريخ موت ن.س.أليلوييفا في عام ١٩٣٢م.

لم يُنفَ أيضاً فاسيلي إلى كازان، كما قيل، وإنما كان هناك في طريقه إلى العيش في الصين، بدعوة شخصية من ماو ـ تسي ـ دونا، لكنه مرض في الطريق ومات.

أعجب، أن يملك المؤرخون الموسكويون معلومات بهذا الفقر وغير مؤكدة، عن ابن واحد من أشهر مشاهير شخصياتهم.

ي.روماشوف، مدينة بلغورود ـ ٢

هناك نماذج أخرى أيضاً لهذه الفرضية:

"فاسيلي ليس ابن ستالين الأصلي، وإنما هو ابن بطل الحرب الأهلية . ألكساندر بارخومينكو. تبنى ستالين فاسيلي، عندما كان عمره ثلاث سنوات، وذلك بعد مقتل أبيه بارخومينكو. دفن فاسيلي ستالين في موسكو في مقبرة نوفوديفيتشي، وقد حفر قبره مقابل قبر أليلوييفا زوجة ي.ف.ستالين. لقد رأيت هذا بنفسي، وعليكم أن تصححوا أخطاءكم.

ي.ي.سوتوف، مدينة كوستروم

"هناك شائعات تقول، إنّ فاسيلي ستالين، لم يكن ابن ستالين الاصلي وإنما هو ابن

الثائر المعروف أرتيم، وتبناه ستالين بعد مصرع أرتيم في حادث سيارة.

ف.أ.براجنيك، مدينة كريمينتشوك، محافظة بولتافا

ينتشر واسعاً التأكيد القائل: إن فاسيلي ستالين هاجر إلى الصين:

"في الخمسينات، رأيت في مجلة "أوغونيوك" صورة فاسيلي ستالين في بذلة جنرال.

تتناقل العامة حتى الآن الأحاديث عنه، بأنه بعد فضيحة عبادة الشخصية ليوسف فيسارينوفيتش ستالين هاجر إلى الصين، وأخذ يخدم هناك في الجيش الصيني.

ب.ب.ياروشين، قرية بتريلوفو، محافظة مينسك

"ليس هناك أية معلومة عن حياة فاسيلي بعد موت أبيه. نحن نعرف فقط، أنه سافر بالطائرة إلى الصين وبقي هناك، حيث أصبح واحداً من كبار قادة سلاح الجو الصيني، وهناك مات. لكن، هل مات موتاً طبيعياً؟

س.سيدوف، ١٨ /تشرين الأول/ ١٩٨٨م

"إلى أين ذهب ابن ستالين فاسيلي؟ سمعنا أنه هاجر إلى الصين بعد فضيحة عبادة الشخصية، التي لحقت بأبيه.

ف.ي.بولدين مدينة إيرتيل ـ محافظة فورونيج

لم تنشأ هذه القصص الخيالية دون مساعدة فاسيلي نفسه. بعد أن وضع في السجن، غاب عن أنظار الكثير من الناس الذين كانوا يعرفونه. وهنا ولدت الشائعات. لقد كتب هو نفسه الرسائل إلى عدة أماكن، وطلب فيها إخراجه من السجن، وإرساله لإكمال خدمته في الصين. يبدو أن هذه القصص الخيالية، كان مصدرها أولئك الناس الذين تلقوا رسائل من فاسيلي.

تحمل الرسائل التالية معلومات إضافية عن فاسيلي، في فترات متنوعة من حياته:

"قد يكون مهماً، ما سمعته من أخ زوجته، العسكري السابق بوريسوف إيفان إيفانوفيتش. لقد كان بوريسوف في الكلية الجوية في بداية الحرب في مطار ساراتوف أو كوييشسوف، وقد حذرهم المندوب من مخالفة القنوانين الانضباطية، ومنعهم من التدخين. خلال ذلك، حطت الطيارة على الأرض، ثم خرج الطيار، وأخذ بتأنٍّ يولع سيجارته على الجناح. ركض المندوب وأراد أن يبدأ تأنيبه، لكن الطيار (وهو فاسيلي ستالين) صفع المندوب بقفازاته الجلدية على وجهه أمام الجميع. هناك حادثة أخرى جوهرها، أنه صعد طائرته دون سابق إنذار أو تعليمات، وطار بها فوق محافظة موسكو وفق خط عشوائي، وهنا اضطربت مراكز الخدمات الأرضية، ولم يعرفوا، كيف عليهم أن ينظموا الطيران مع تجنب الحوادث.

ف.يا.ليبين، مدينة موسكو

"كانت حادثة ممتعة. عندما تطوع فاسيلي ستالين في الكلية الجوية، قُدِّمتْ له شروطٌ مميزة خاصة: كان يعيش في غرفة مستقلة، وكثيراً ما كان يحصل على الطرود البريدية (لكنه كان يحملها مباشرة إلى المعسكر ويتقاسمها مع الجميع) ولم يشارك في الكثير من التدابير والاجراءات. بعد مضي فترة من الزمن، جمع أحد الضباط برتبة مقدم، كافة الطلاب، وقرأ عليهم أمراً بإقالة مدير الكلية من منصبه. بعد الانتهاء من قراءة الأمر، وضح القارىء سبب إزاحة المدير من منصبه، بأنه قد أعطى ميزات تفضيلية لفاسيلي ستالين.

نقل فاسيلي مباشرة بعد ذلك إلى مهجع بين مهاجع باقي الطلاب، ولم يعط فيما بعد أية امتيازات عن زملائه. يقع سقوط فاسيلي ستالين كلياً على ضمير خروشوف، ولم تكن دموع خروشوف الغزيرة حين ملاقاته لفاسيلي، إلاّ ضرباً من الرياء والنفاق وقد كان هو في هذا المجال معلماً لا مثيل له، وممثلاً بارعاً.

س.أ.توييف، مدينة موسكو

"أيها الرفيق كوليوسنيك أ.ن.! يبدو أنك تريد أن تكون الذئاب مملوءة البطون، والنعاج سليمة في نفس الوقت، وإلاّ لما ضمَّنْتَ مقالتك المقابلة الخاصة مع ابنة فاسيلي ستالين . ناديجدا.

قل لي من فضلك، من يتكلم بالسوء عن أبيه؟ أنا لم أصادف مثل هؤلاء بعد. إذاً ما هي الفكرة من مقالتك وكلامك؟ من كان بالفعل فاسيلي ستالين؟ هل كان كما وصفته ابنته، أم كان كما تصفه الشهادات؟.

تلوم ناديجدا فاسيلييفنا عمتها س.جوغاشفيلي، على أنها تخالف ضميرها، عندما تكتب عن سهراته وحفلاته. لكن في هذه الحالة نقول، أن ناديجدا، أيضاً تخالف ضميرها، عندما تصور أباها بصورة الملاك. لقد كان تصريحكم بالنسبة لي اكتشافاً لم أعرفه من قبل. في تلك الأيام، أي في ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ /نيسان/ ١٩٥٣م، التقيت مع فاسيلي، وأستطيع أن أشهد، أنها كانت أيام حفلات ورقص وعربدة، ولم يكن أحد يفكر بأي نوع من الاعتقالات. لقد التقينا بفاسيلي عنده في بيته (جادة غوغوليفسكي، ٧)، حيث عاشت ناديا أيضاً (كان عمرها في ذاك الحين /٨ . ٩/ سنوات). لكن، بالرغم من أنها كانت في ذاك الوقت طفلة، فإنني أظن أنها تذكر، أنه قد زار أباها آنذاك ثلاثة طلاب من الكلية البحرية، وأنهم أهدوها الكعكة والشوكولا، وكيف أن أحدهم رقص رقصة "التفاحة" في غرفة الاستقبال..بقي فاسيلي ستالين في ذاكرتي إنساناً متسلطاً وفظاً، ولم يضع اعتباراً لأي إنسان ولا لأي شيء. لقد كان مستعداً، أن يعطي لأي رئيس نوتيه في الأسطول مئة علامة زيادة، في مجال المسبات والشتائم المقذعة. لا أظن أن ناديا لا تذكر، كيف شتم أمامنا جميعاً خادمة بيته الكبيرة في السن، فقط لأنها (بالاتفاق معي) رفضت أن تجلب له فودكا. لقد كان ذلك حدثاً لا ينسى، وسوف لن أنساه حتى آخر أيامي.

هل من الممكن، أن تجهل ناديا، أن أباها كان يعاني من قرحة معدية حادة جداً، وكان لا يجوز له شرب الفودكا أبداً، لكنه كان يتابع الشرب؟ أظن، أن الأعمى فقط، يمكن ألا يلاحظ عيني ناديا ورفيقتها المرعوبتين، عندما ناديناهما أمام عيني أبيها وسلمناهما الهدايا: كعكة وشوكولا وحلوى. وهل تذكر ناديا، كيف تابع الجميع عندهم الفيلم السينمائي؟ لقد كان القبو عندهم مجهزاً بأجهزة عرض سينمائي ممتازة، وبطاولة بيلياردو.

لكن الأب هو أب، وأنا، على كل حال، أستطيع فهم ناديا.

ب.آ.شولغا، مدينة موسكو

سنورد لكم الآن مقتطفات من رسالة المقدم المتقاعد ي.ب.ترافينكوف (موسكو) بما يتعلق بمطبوعاتي عن ف.ي.ستالين:

"...من الممكن إتمام تقرير المواصفات السيئة عن فاسيلي، لكنه من غير اللائق أبداً تحقير شخصية ي.ف.ستالين أبيه والتشهير به. لا أصدق أن أباه قد علمه منذ الصغر على شرب الخمر، الذي تحول فيما بعد إلى عادة سيئة من عاداته.

إنكم تبتعدون عن المذنبين الحقيقيين المسببين لهذه العادة السيئة، وهما بولغانين وبيريا وغيرهما، من الذين كانوا يشاركون فاسيلي هذه السهرات في أعياد ميلاده وفي المناسبات الأخرى ودون مناسبات أيضاً، والذين قد أخفوا عن ي.ف.ستالين أفعال فاسيلي السيئة . هذا هو أحد أهم الأسباب في فشل فاسيلي.

.... أنتم تكتبون عن انطلاقات فاسيلي السريعة وترقيته في الخدمة، معتمدين بذلك على أقوال نديمٍ أو سميرٍ معين دون ذكر اسمه ورتبته ومنصبه، وتؤكدون على لسان هذا الشخص، أن ذلك من عمل ستالين.. لا، إن ذلك من عمل بولغانين ومن معه، ممن عرفوا نقطة ضعف فاسيلي، وأخفوا عن أبيه الحقيقة، وأعلموه دائماً عن الأمور الإيجابية في أفعال وتصرفات فاسيلي، معزّزين بذلك شخصيتهم ومكانتهم عند ستالين.

أنتم تتساءلون: "أيمكن للأب ألاّ يعرف بتصرفات ابنه وعيوبه؟ ذاك الأب الإنسان الذي يدير بقوة أمور آلاف، بل ملايين الناس؟ إن عدم تدخل ستالين بأمور الخدمة التي تخص ابنه، كانت أكبر خدمةٍ لفاسيلي. لقد طرحت الأسئلة بشكل صحيح، أما النتائج فهي غير موضوعية، والواقع يدحضها.

لم يهمل ي.ف.ستالين أي تصرف من تصرفات فاسيلي، ولم يتركه دون عقاب قاسٍ. الوقائع تثبت ذلك، وليست الاتهامات الكلامية الفارغة والافتراضات التي يضعها المؤلفون.

عندما أصبح فاسيلي رئيس فرع المراقبة في سلاح الجو الأحمر، التقى بزوجة مخرج مشهور، وذهبا باتفاق مشترك إلى صديق فاسيلي. عندما عرف زوجها بالخيانة، لجأ إلى صديقه فلاسيك، الذي كان، كما هو معلوم، قائد مفرزة الحرس الخاص لستالين. استمع فلاسيك بهدوء له، واقترح عليه، أن يكتب كل شيء لستالين كما حدث. نقل فلاسيك الرسالة إلى عنوانها، وأعقب ذلك قرارٌ رئاسي: "يوضع فاسيلي (العقيد) في السجن، وتعاد المرأة إلى زوجها" . وهذا ما نفذه فلاسيك. بعد انقضاء مدة العقاب، تمّت إقالة فاسيلي من منصبه بأمر من ي.ف.ستالين.

... عندما أصبح فاسيلي في رتبة قائد التشكيلات الجوية، اخذ إن صح التعبير، يضرب السمكة في الماء. حدث ان انفجرت حجرة التحكم المركزي في الطائرة، فقتل مهندس التسليح، واصيب أحد العقداء الحائز على وسام بطل الاتحاد السوفييتي، إصابة خطيرة في رجله، اما فاسيلي فقد أصيب ببعض الرضوض. علم ي.ف.ستالين بذلك، وبعد تماثل فاسيلي للشفاء، أقيل من منصبه بأمر من ستالين.

إليكم واقعة أخرى: في أحد الأعياد، وهو يوم الأسطول الجوي، أعلن ي.ف.ستالين في توشين، وعبر شاشة التلفزة، شكره الطيارين المنفذين للحركات الجوية البهلوانية. كان فاسيلي في مركز قيادة القسم الجوي العسكري، وكان نائبه ى.م.غورباتيوك وعضو المجلس العسكري لوحدات الجيش المرابطة هناك س.ك.فيودوروف يقودان تنفيذ العمليات الجوية العسكرية.

كان فاسيلي مخموراً، لكن ما إن سمع كلمة الشكر التي وجهها ستالين حتى انتشى، وتوجه مباشرة إلى المبنى، حيث كان قادة الحزب والحكومة والقادة العسكريّون، يراقبون العمليات المنفذة بنجاح، وقد وصل إلى هناك، لأن الحرس كانوا يعرفونه جيداً.

دخل فاسيلي الصالة، وهو يتأرجح، وعندما رآه أبوه في هذه الحالة سأل مندهشاً: "ما هذا؟" فأجابه فاسيلي: "إني متعب"، وعقب الاب: "وهل تتعب كثيراً بهذا الشكل؟"، فأجابه: "لا!"، وهنا صرح قائد القوات الجوية العسكرية ب.ف.جيغاريف لستالين قائلاً: "كثيراً، يوسف فيسارينوفيتش"، فأجابه فاسيلي بفظاظة، وعندها قاطع ستالين ابنه بحدة قائلاً: "اجلس!". ساد بعد ذلك هدوء تام، وبعد ذلك قال ستالين متضايقاً: "اخرج من هنا!" في اليوم التالي، أصدر مارشال الاتحاد السوفييتي بولغانين، بأمر من ستالين، أمراً يقضي بعزل فاسيلي من منصبه. ما رأيك بهذه الوقائع".

إليكم الآن ما حدث به مارشال القوى الجوية يفغيني ياكوفليفيتش سافيتسكي، الحائز على وسام بطل الاتحاد السوفييتي مرتين، عن تعرفه على فاسيلي ستالين، وهو بذلك أراد أن يقاسمنا ملاحظاته حول هذا الموضوع.

. حدث ذلك في ألمانيا، في نهاية الحرب. قبل ذلك كنت أسمع فقط عنه: فاسيا ستالين، فاسيا ستالين، القدير فاسيا ستالين. لماذا علي أن أخفي الخطأ؟ كان الجميع ينحنون أمامه، ويخافون منه. في ذاك الوقت، كنت أقود فيلقاً جوياً مقاتلاً. ذات يوم جاءنا أمر، يقضي بتعيين فاسيلي ستالين قائداً للفرقة /٢٨٦/ عندي في الفيلق. كان ذلك مفاجأة كبيرة لي، وأعترف أني قد ارتبكت قليلاً: ابن مثل هذا الأب..عندي!!! نحن نعرف الآن فقط عن طغيان واستبداد ستالين، ونسميه جلاداً، أما في ذاك الوقت، فقد كان عدد الناس الذين يفكرون فقط بذلك قليلاً جداً. كنا نعبده، ونعتبر كل من حولنا أعداءً . كلهم أعداء للثورة،داخليين وخارجيين، وستالين وحده يقاتل الجميع.

المهم... وصل فاسيلي إلى الفيلق. لكن ما أدهشني مباشرة، أنه كان مع حاشية خاصة به:

ياور وأربعة حراس. قلت له، أن عليه أن يجري عمليات تسليم واستلام الفرقة كما يجب، فأجابني بحركة يده غير مهتم بما أقوله وعقَّب: "هه!! هذا ما كان ينقصني! غداً سأستلم القيادة". وهنا عبَّر طبعي عن نفسه، وقلت له "انتظر، أنا هنا من يعطي الأوامر. لذا، نفذ من فضلك ما اقوله لك"، فأجابني: "لا، سوف تفعل أنت ما أقول"، أي أنه حاول مباشرة أن يملي شروطه، لكني أصررتُ أن يستلم الفرقة كما يجب، وحسب القواعد المتبعة.

بشكل عام، كان فاسيلي عنيداً وصعب القيادة، وأنا هنا لم أستطع فعل شيء. تقول مقالتكم، إن فاسيلي كان شخصاً سهلاً، وحتى إنه يستحق الشفقة: علموه شرب الخمر، ودللوه. لكنني أظن، أنه كانت فيه بعض الجينات أو المورثات السيئة، هذا إذا نظرنا إلى شخصيته الطاغية والمتسلطة والمنتقمة عندما كبر، والذي اعتاد على العيش بترف وإصدار الأوامر للجميع. أستطيع أيضاً، أن أذكركم بالكثير من أفعال فاسيلي السيئة الأخرى، التي أتى على إثرها أوامر من موسكو ألا تفضحوا الأمر، واجعلوه طي الكتمان.. وهذا ما كنا نفعله.

. لكنه كان من مرؤوسيك؟ . قد يسأل أحدهم مثل هذا السؤال . قدم تقريراً بذلك.

. من السهل الآن علينا أن نقول: قدم تقريراً بذلك. قدمه أنت، عندما ترى أن ركب الجميع ترتعش من الخوف. كان فاسيلي ستالين مخيفاً قوياً. بعد ذلك تفهّموا ألاعيبه. لقد كان بعيداً عن أبيه في ذاك الوقت، ولم يكن أبوه يحترمه كثيراً، لكننا لم نعرف نحن بذلك. كان لفاسيلي أخت، هي سفيتلانا، وكانت تعيش مع أبيها. كان يحبها كثيراً، واستغل حبها كما يجب، حيث كانت تنقل له كافة أسرار "القصر" والقيادة. كان في ذاك الوقت ك.أ.فيرشينين القائد العام للقوى العسكرية. لم يرض عنه ستالين بشكل أو بآخر، ونقلت سفيتلانا عدم رضا أبيها هذا لأخيها فاسيلي. عندها أخذ يظهر فاسيلي عدم رضاه لأبيه بشكل علني: فيرشينين سيء، وعليك إقالته من منصبه. وبالفعل، بعد مضي خمسة أو ستة أيام، خلع فيرشينين من منصبه، وبعد ذلك بعدة سنوات عاد لنفس المنصب من جديد، وتكون لدى الجميع انطباع، بأن فاسيا ستالين هو من أقاله من منصبه.

إذا قارنا بين أنواع السلوك العسكرية الثلاثة التي قدمت عن فاسيلي في سنوات الحرب، نلاحظ، أن كل قادته المباشرين، حاولوا التأثير عليه إيجابياً، وقد وفقوا بذلك على ما يبدو، لكن ليس في كل الأحيان، فالانشقاقات في سلوكه كانت كثيرة بما فيه الكفاية.

يطرح في الكثير من الرسائل هذا السؤال: ما هو مدى صحة الفرضية القائلة، إن ستالين مات مسموماً، الأمر الذي قد كرره فاسيلي كثيراً؟

أظن أن الإجابة على هذا السؤال، تكمن في مذكرات عضو أكاديمية الطب السوفيتية العليا، البروفيسور يا.ل.مياسنيكوف (١٨٩٩ . ١٩٦٥)، وهو أشهر طبيب سوفييتي وحائز على الجائزة العالمية في الطب . جائزة "المسماع الذهبي"، والمشارك في هيئة الشورى الطبية عند فراش ي.ف. ستالين لحظة موته: "في وقت متأخر من الليل، في الثاني من آذار عام ١٩٥٣م، جاء إلي في شقتي المنتدب الخاص لمشفى الكريملين وقال: "لقد جئت لأصطحبكم . إلى المعلم المريض...". كان ستالين مضطجعاً متجهماً، وقد تبين لي أنه قصير وبدين، وكان وجهه متجعداً، ويده ورجله اليمنيانِ متجادلتين .كان يتنفس بصعوبة، تارة بهدوء، وتارة بقوة (تنفس تشين . ستوكس). أعطى قياس الضغط ٢١٠ . ١١٠ . إنه الارتجاف اللّيبيفي الأذيني، أو ما يسمى الانقباض الخيطي الأذيني، وكثرة الخلايا البيض حتى ١٧٠٠٠، وكانت درجة حرارة جسمه مرتفعه ٣٨° ونيفاً... عندما سمعت دقات قلبه، لم ألاحظ أية انحرافات عن المعدل، وفي الأقسام الجانبية والأمامية من الرئتين لم أجد أي سبب مرضي. أعطى التحليل، والحمد لله، نتائج واضحة: نزيف دموي في نصف الكرة الدماغي الأيسر، سببه ارتفاع في الضغط الدموي والتصلب التعصدي. حددنا له الكثير من أنواع العلاج...

كان كل منا يحمل ساعته بيده عند فراش المريض. كان أيضاً بجانب المريض دائماً واحد من المكتب السياسي للجنة المركزية، وكان هناك على الأغلب فوروشيلوف وكاغانوفيتش وبولغانين وميكويان.

في الثالثة صباحاً، كان على الهيئة الطبية، أن تعطي جواباً لما لينكوف عن التشخيص و الأمور المتوقعة. كان الجواب الذي أعطيناه سلبياً . الموت لا مفر منه. أفهمنا مالينكوف أنه كان ينتظر مثل هذه النتيجة التشخيصية، بالرغم من أنه كان يأمل، أن تعطي الاجراءات والتدابير الطبية بعض النتائج المرضية، فإذا لم تحفظ له حياته، فهي على الأقل تُطيلها قليلاً لمدة كافية. أدركنا نحن هنا، أن مالينكوف يقصد بالمدة الكافية تلك المدة التي تستطيع القيادة فيها تنظيم وتعيين حكومة جديدة، ولتحضير الرأي العام لذلك.

أخذ مرض ستالين صدى واسعاً في الاتحاد السوفييتي وخارجه..وقد قدمت بعض الاقتراحات والنظريات عن وجوب اتخاذ بعض الاجراءات، وأراد المقترحون نقل اقتراحاتهم إلى الهيئة الطبية الخاصة.

أرسلت بالبريد توجهات ورسائل محزنة وقلقة، وعبر الشعب عن ثقته بالمجلس الطبي، وبقدرته على إنقاذ القائد العظيم، الأب والمعلم. كانت هذه التوسلات، بالرغم من أنها تعبر

عن الثقة والتفاؤل بقدرة الطب السوفييتي، لكنها كانت تطالب بداخلها بإنقاذ ستالين وتأكيد قدرتها. صرّح الضباط الشباب والجنود الحمر عن إمكانية تبرعهم بالدم . بكل دمهم حتى آخر قطرة، وبعضهم كتب، إنه مستعد دون تراجع لإعطاء قلبه حيّاً ("ليستأصل الجراحون قلبي الشاب ويضعوه مكان قلب الرفيق ستالين").

علينا أن ننوه، أن ستالين قبل أن يمرض . في السنوات الثلاث الأخيرة . لم يحتجْ للمساعدة الطبية إطلاقاً... على كل حال. هذا ما قاله رئيس المستوصف الخاص في الكريملين... كان يتجنب الطب في موسكو على ما يبدو. لم يكن في بيته الصيفي في كونتسيفو حتى صيدلية صغيرة، تحتوي على الوسائل الطبية الأولية الضرورية. حتى إنه لم يكن لديه نيتروغليسرين، وإن أصيب هناك بذبحة صدرية، كان من الممكن أن يموت من التشنج الذي تمكن إزالته بقطرتين من هذ الدواء. منذ متى يعاني ستالين من ارتفاع الضغط؟ أيضاً، لا أحد يعرف، وهو لم يعالج هذا المرض أبداً.

كان ستالين يتنفس بصعوبة، وأحياناً يئن، وأحيناً يبدو أنه للحظة يرمق الجميع حوله بنظرة واعية مدركة. عندها ينحني فوروشيلوف فوقه ويقول: "رفيق ستالين، نحن كلنا هنا حولك، رفاقك وأصدقاؤك ومناصروك المخلصون. كيف تشعر يا عزيزي؟". لكن نظرته لم تكن تعبر عن شيء... في الليل، بدا لنا عدة مرات، أنه يموت. في صباح اليوم التالي، الرابع من آذار أتت لأحدهم فكرة في رأسه: ألا يمكن أنه يعاني، إضافة لكل ذلك، من احتشاء عضلة القلب؟. طلبنا تخطيطاً للقلب، فأتت من المشفى طبيبة شابة، وأخذت تخطط القلب، ثم قالت بحزم: "نعم، احتشاء"، وهنا الكارثة!. سار بين الأطباء، أن عدم تشخيص احتشاء عضلة القلب، كان مقصوداً لقتل القائد الكبير، والآن، ها نحن...نحن حتى الآن لم نُشِرْ في تقاريرنا الطبية عن احتمال وجود الاحتشاء هذا، والذي هو معروف في عالم الطب أجمع. طبعاً، لم يستطع ستالين الذي كان فاقداً للوعي غالباً، أن يحدد ألمه، ويعرف الأطباء مرضه، كما أن كثرة الخلايا البيض وارتفاع درجة الحرارة هما من الأمور التي تشير إلى احتشاء عضلة القلب.

في صباح الخامس من آذار، بدأ ستالين يتقيأ دماً، مما أدى إلى هبوط النبض وانخفاض الضغط الدموي. أوقعتنا هذه الظاهرة في حيرة، ولم نستطع تفسيرها مباشرة.

لإيقاف هبوط الضغط، أعطيت لستالين أدوية مختلفة. تجمع كل أعضاء الهيئة الطبية حول المريض، وفي الغرفة المجاورة مضطربين وقلقين ومحتارين. كان يناوب من اللجنة المركزية ن.أ.بولغانين، وقد لاحظت، أنه ينظر إلينا بارتياب، وحتى بعدائية. كانت نجوم المارشال تلمع

على كتفيه. وكان ذا وجه منفوخ ولحية وخصلة شعر ممدودة للأمام، وكان يشبه قليلاً القيصر رومانوف أو جنرالاً من جنرالات الحرب الروسية اليابانية. كان يقف عند الأريكة، عندما توجه نحوي قائلاً: "بروفيسور مياسنيكوف، ما سبب الإقياء الدموي هذا عنده؟ وأجبته: "قد يكون هذا نتيجة لنزيف دموي ضئيل في جدار المعدة، ذي أصل وعائي، وقد يكون هذا متعلقاً بارتفاع الضغط أو بالنزيف المخي". "ممكن. أجاب هو بارتياب ومن دون ثقة. ومن المحتمل، أنه يعاني من سرطان في المعدة. ما هذا. أضاف بلهجة التهديد. كل شيء لديكم هو وعائية، وعائية، أمّا المهم في الأمر. فإنكم تُ... (من الواضح، أنه أراد أن يقول: تتناسونه، أو تلعبون حوله. لكنه توقف وأكمل: تهملونه").

في الخامس من آذار، كنا قد وجدنا الوقت في الواقع لكتابة بعض التقارير واليوميات. في تلك الأحيان، اجتمع في الطابق الثاني أعضاء اللجنة المركزية. اقترب أعضاء المكتب السياسي من المريض، أما الناس الأقل أهمية، فقد نظروا من الباب إليه، دون أن يجرؤوا على الاقتراب من ذاك الشبح الذي يموت. أذكر، أن ن.س.خروشوف، كان أيضاً عند الباب. على كل حال، حتى في هذه اللحظة، كان هناك اعتبار للمقامات والدرجات: في المقدمة كان مالينكوف وبيريا، ثم تلاهما فوروشيلوف، وبعده كاغانوفيتش، ثم بولغانين ونيكويان ومولوتوف، الذي كان في حالة غير سليمة، حيث كان يعاني من التهاب رئوي انفلونزي، لكنه رغم ذلك، كان قد أتى مرتين أو ثلاثاً لبعض الوقت.

لقد أدخل في التقرير الطبي الختامي المفصل الشرح الكامل لحالة النزيف المعدي المعوي الدموي، وسجل في مذكراتي. تم تحضير ذاك التقرير في نهاية اليوم، حيث أن المريض كان مازال يتنفس، لكننا كنا ننتظر الموت بين ساعة وأخرى.

أخيراً أتت لحظة النهاية. في الساعة الحادية والعشرين وخمسين دقيقة في الخامس من آذار. كانت تلك لحظة دخلت التاريخ. عندما تأكدّنا جميعاً، أن النبض قد توقف، ولم يعد المريض يتنفس، وأن القلب لم يعد يدق. دخل إلى الغرفة الكبيرة بهدوء قادة الحزب والحكومة وابنة ستالين سفيتلانا، وابنه فاسيلي والحرس. كلهم وقفوا دون حراك مدة طويلة حداداً على روح الفقيد، حتى إنني لا أدري، كم وقفوا من الزمن. حوالى ثلاثين دقيقة أو أكثر. إنه دون شك حدث تاريخي كبير. لقد غادر الحياة قائد، اهتزّت أمامه الدولة بأكملها، وبشكل أو بآخر، العالم كله أيضاً. إن هذا الدكتاتور العظيم الذي كان منذ فترة عظيماً، ولا يمكن الوصول إليه، تحول في لحظة إلى جثة هامدة، وغداً ستمزقه أيدي المشرحين الباثولوجيين إلى قطع، ومن ثم سوف يتحول إلى تراب، شأنه شأن باقي جثث عامة الناس...

في السادس من آذار، ما بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ظهراً، تم في جناح مشفى سادوفايا . تريومفالنايا، المتوضع أمام المبنى، والخاص بقسم البيوكيمياء في مخبر التشريح الأول، تشريح جثة ستالين. حضر من الهيئة الطبية الخاصة لوكومسكي وأنا فقط، وكان هناك أناس من الحرس. شرّح الجثة أ.ي.سترونوف، برفيسور مخبر البيوكيمياء الأول، وحضر ن.ن.أنيتشكوف (مدير أكاديمية الطب)، والبيوكيميائي البروفيسور س.ر.مارداشيف، الذي كان يجب عليه أن يحنط الجثة، والمشرحون الباثولوجيون التاليون: البروفيسور سكفورتسوف، وميغونوف وروساكوف. خلال التشريح كنا طبعاً قلقين، وتساءلنا: ما الذي جرى للقلب؟ ما سبب الإقياء الدموي؟...كل شيء تأكد. لم يكن هناك احتشاء في عضلة القلب، بل كان هناك بعض نقاط من النزيف الدموي...

إن التصلب الشديد للشرايين المخية، الذي رأيناه خلال تشريح جثة ستالين، والذي لم يحدث بلا شك خلال يوم أو يومين، بل خلال السنوات الأخيرة كلها من حياته، يمكنه أن يوضح سبب التغيّر في حالة ستالين وطبعه في تلك السنوات. نحن نعرف جيداً، أن التصلد الثروي للأوعية المخية، الذي يؤدي إلى نشوء اختلالات في تغذية الخلايا العصبية، يكون مصحوباً أيضاً بمجموعة من الاختلالات الوظيفية في عمل الجملة العصبية. نلاحظ قبل كل شيء، عند الناس ذوي النشاط العصبي الزائد، ضعفاً في بعض عمليات التثبيط، وخصوصاً التثبيط التفريقي. يسهل علينا أن نتصور، أن ذلك كان يظهر في سلوك ستالين في فقدانه القدرة على التفريق والتحديد: أيهما جيد وأيهما سيء؟ أيهما مفيد وأيهما ضار؟ ما هو المسموح وما هو غير المسموح؟

من هو الصديق ومن هو العدو؟. إضافة إلى ذلك، تزداد بالتوازي حدة التعبير عن الخطوط العامة للشخصية: الإنسان الغاضب يصبح شريراً، والشيء المريب قليلاً يصبح مريباً بشدة، كما أن الإنسان يبدأ بتعقب الآثار وتتبع الآخرين . تلك كانت طبيعة سلوك ستالين في آخر سنوات حياته.

أظن أنه عندما نريد أن نقيّم الشخصيات التاريخية المعروفة، لا يجوز أن نكتفي بإعطاء وصف. أدبي أو نفسي عنهم، وإنما علينا أن نقدم تحليلاً كاملاً من وجهة نظر طبية أيضاً، فهم بالرغم من كل شيء يمرضون بشكل أو بآخر، على الأقل قبل نهاية حياتهم، وبناءً على ذلك، قد يتغير سلوكهم نوعاً ما مع المرض. أعتقد أن قسوة وريبة ستالين، وخوفه من أعدائه، وفقدان روح التساوي عند تقييم الناس والأحداث، وعناده الشديد، هذا كله قد خلق عند ستالين،

لدرجة معينة، مرض التصلد الثروي للشرايين المخية، أو على الأصح لقد زاد من حدة هذه الصفات لديه. كان يقود الدولة في الواقع إنسان مريض. لقد كان يخبئ مرضه، ويتجنب الطب..لقد خاف الفضيحة. يتطور تصلب الأوعية المحية ببطء خلال العديد من السنين. وجدوا عند ستالين آثار ليونة في المخ، حصلت عنده منذ فترة طويلة. كما هو معروف، إن الإدراك العقلي خلال هذا المرض، قد لا يتأثر أبداً أو يتأثر قليلاً، لذا فإن مثل هؤلاء المسنين، يستطيعون المحافظة على الكثير من ظواهر النشاط العقلي في درجة معينة من التطور، أما الجوانب النفسية الأخرى (أو خصوصاً ردود الفعل الانعكاسية الحسية) فقد تتأثر وتتغير..."

تحتوي هذه المذكرات على إجابتين: فيما يخص فرضية تسمم ستالين، وفيما يخص الموت الطبيعي له. أولاً ـ فعلاً لقد وصل الأطباء متأخرين لعلاج المريض ـ في نهاية الثاني من آذار فقط، ثانياً ـ ليس هناك أية إثباتات، أن عملية الموت مصنوعة، وخصوصاً أنه لا يوجد إنسان محدد يصرح بذلك. أظن، أن الجواب المفيد عن هذا السؤال سيأتي لاحقاً.

هناك شائعة تروج منذ زمن بعيد، تقول بأن ي.ف.ستالين كان يملك حساباً مصرفياً نقدياً كبيراً، وكانت تستثمر هذا الحساب ابنته. من أين بدأت هذه الشائعة، وكيف طبعت في الصحافة... أظن أنه من خلال الرسائل التالية:

"في أيار عام ١٩٤٣ رمى الألمان في منطقة محطة "زيمني" (الخط الحديدي: موسكو ـ ريغا) منشورات على أمكنة تجمع الجنود الفقراء، واكدوا فيها، أن ي.ف.ستالين، في أحرج الفترات، التي مرت بها دولتنا، في عام ١٩٤١ حَوَّل إلى أحد البنوك السويسرية مبلغاً من المال قدره /٢/ مليون روبل، وذلك تحسباً للهزيمة.

في ذاك الوقت، كنت أحارب في فوج الاستطلاع الخاص /١١١٥/ الفرقة الخاصة / ١٣٤/، وقد جمعنا هذه المنشورات وحرقناها. حينها لم يكن أحد يصدق ذلك.

لكن عندما هاجرت ابنة ستالين ـ سفيتلانا إلى الهند، ومن ثم إلى الولايات المتحدة، ومرت بطريقها إلى إيطاليا (على ما أذكر كانت في نابولي)، نزلت من الباخرة، وسافرت إلى سويسرا لفترة قصيرة، ومن ثم عادت، وتابعت طريقها إلى الولايات المتحدة.

أنا الآن لا أشك، أن سفيتلانا، قد حولت حساب أبيها في سويسرا بصفتها الوريثة الوحيدة له إلى حسابها، وتابعت طريقها إلى الولايات المتحدة، وهي تعيش حتى الآن متنقلة بين بلد وآخر، وتصرف وتبذر كما تشاء. أرجو منكم أن تكتبوا هذه المعلومات في صحيفة "براهين

ووقائع . أرغومينتي إي فاكتي"، لأنني أظن أنه لابد من وجود أثر ما يثبت ذلك، في المصرف الحكومي المركزي أو في ديوان وزارة المالية.

المشارك في الحرب الوطنية العظمى،
المتقاعد ن.ي.بيتروف، مدينة كالينين

"قرأت في مكان ما، أنه كان عند ي.ف.ستالين حساب في مصرف سويسري، وقد استثمرت هذا الحساب أ.أليلوييفا. إذا لم أكن مخطئاً، فإن ذلك يفقد الثقة لدى الكثيرين بإخلاص وتواضع قائد الشعوب السوفييتية العظيم.

أ.سلاتكوفسكي، مدينة
دينبرودزيرجينسك

"كُتِبَ في صحيفة "سلسكايا جيزن" رقم /١٢/ (٢٠٥٩٦) تاريخ ١٤/٢/١٩٨٩م، في مقالة للكاتب أغيلدييف، تحت عنوان "الفراق" مايلي: "كان (أي ستالين) يملك حساباً كبيراً في أحد المصارف السويسرية، واستثمرت هذه الأموال وريثته التي هي ابنته سفيتلانا التي سافرت خارج البلاد".

يكون رائعاً، لو علمنا قيمةالمبلغ، وكيف استطاعت سفيتلانا استثماره؟ فهي عام ١٩٥٧ رفضت كنية ستالين، وأخذت كنية أمها.

ن.ف.كلوتكوف قرية بوكروفكا،
منطقة أكتيابرسك، إقليم بريمورسك

إن هذه التأكيدات، لا تملك أية إثباتات وثائقية. لم يكن عند ي.ف.ستالين أبداً أية حسابات مصرفية في البنوك الأجنبية، وكان يملك في الاتحاد السوفييتي ثلاثة آلاف روبل (اي ثلاثين ألف روبل قبل التعديل المالي). عاشت سفيتلانا أليلوييفا بعد سفرها من الاتحاد السوفييتي على ما كانت تكسبه بنفسها، من جراء طباعة كتبها الأدبية، وعلى ما كانت تحصل عليه من أضحيات من بعض المواطنين والمنظمات الخاصة.

هناك الكثير من الرسائل، يعبر فيها مؤلفوها عن احتجاجهم ضد تحديد أي نفقات مالية لابنة ستالين س.أليلوييفا (وأظن ليس لها وحدها فقط) بعد عودتها إلى الاتحاد السوفييتي.

"…. عندما عادت (أي أليلوييفا) إلى الاتحاد السوفييتي، أُعْطِيَتْ بسرعة شقة ومعاشاً تقاعدياً، وعينت لها سيارة لتنقلاتها. هنا تنشأ بعض التساؤلات: ما الذي قدمته، حتى تستحق المعاش التقاعدي، وغيره من الامتيازات؟ قد يكون عن أبيها، أو أنها استحقتها لسبب ما، لم يرد ذكره في المقالة؟ إن كل إنسان عادي، يكدح ويعمل مدة محددة من حياته بنزاهة وإخلاص، يستحق المعاش التقاعدي. أما ما يخص إعطاءه الشقة في موسكو أو في أي مدينة أخرى فهذا أمر غير وارد أبداً، فما بالك بالسيارة أيضاً.

سأكون ممتناً جداً لو حصلت على إجابة لتساؤلاتي على صفحات صحيفتكم "براهين ووقائع". أظن أن ذلك لا يهمني وحدي ويهم رفاقي فقط.

ن.ك.نيكيفوروف، مدينة غرودنو

"أين أجد الكلمات، كي أعبّر عن يأسي وانزعاجي؟ أنا فلاح كولخوزي،وصلت في الحرب الوطنية العظمى إلى برلين. جرحت عدة مرات، وتلقيت الكثير من الرضوض والإصابات في برلين. حصلت على ثلاثة أوسمة حربية، تكريماً لي على قتالي المسيري من دائرة كورسك حتى برلين (قصر الريخستاغ)، وأعيش حتى الآن في سكن عمالي.

أما أليلوييفا فحصلت على شقة وسيارة.

أين الحقيقة؟؟

ب.غ.شاورين، مدينة إيسكيتيم،
محافظة نوفوسيبيرسك".

كم هو محرج وصعب هذا الأمر، لكن علينا أن نعترف، أن العدالة قد أهملت بشكل كبير هنا. لم تستحق سفيتلانا أليلوييفا أية امتيازات. نملك في هذه الحالة تجسيداً مسيخاً لقانون حملة العلوم الحكومي على حساب الشعب في عهد الجمود. وهذا ما تسعى البيريسترويكا لتفاديه. بغض النظر، عن أن مذكرات س.أليلوييفا لم تطبع في الاتحاد السوفييتي أبداً، لكنها موجودة في متناول أيدينا على شكل مخطوطات يدوية متنوعة، تنقل وتصور وتطبع من يد لأخرى، وتخلق شائعات وأقاويل وتفسيرات متنوعة ومختلفة.

"سمعت، أن سفيتلانا أليلوييفا قد نشرت خارج البلاد كتاباً بعنوان "خلف كواليس الكريملين"، وأن هذا الكتاب صادر عندنا أيضاً ومحفوظ في الأرشيف.

أ.ي.غولتسوف، مدينة نوريلسك

"أرجوكم أن تفهموني، هل يعتبر كتاب "عشرون رسالة لصديق" من الناحية السياسية ضاراً، أو يحتوي على مضمون دعائي ملفق؟

إن الإجابة عن هذا السؤال وشرحه، سيقدمان مساعدة لا تقدر بثمن لأبناء بلدنا، الذين كانوا يمتلكون هذا الكتاب في عهد الجمود (وأظن أن الكثير ما زالوا يمتلكونه) بالكامل، أو أجزاءً منه على شكل صفحات مطبوعة على الآلة الكاتبة.

أعتقد، أن أي إنسان في بلدنا مخلص للحزب وكل شيء يربطه بوطنه، لا يمكن أن تهزه أي حملة أدبية دعائية ضد الدولة السوفييتية، وهو نفسه يستطيع أن يفرق بين الصح والخطأ، أما الخائن، مهما حاولت أن تمنعه، وتضع في طريقه المحرمات، فإنك لن تجعله مخلصاً لوطنه. لذا، أعتقد أنه لابد لكل منا، أن يعرف ماذا يكتب عن بلدنا الصديق والعدو، وفي هذه الحالة فقط، كلٌّ سيظهر على حقيقته.

ك.س.تير - أبراميان، مدينة ييريفان

إن مؤلفات سفيتلانا أليلوييفا، شأنها شأن باقي المذكرات، مزينة بنتائج إحساسها الشخصي، ولا تخلو هذه المؤلفات دائماً من الخطأ والتفسيرات الشخصية غير الموضوعية للأحداث. وبالرغم من ذلك، وبناءً على اعتراف المؤلفة، فقد أدخلت فيها الكثير من التصحيحات الخاصة بحالة السوق والتسويق. نستطيع اليوم قراءة مؤلفات س.أليلوييفا الأصل في مكتبة لينين في موسكو، فهذه المؤلفات ليست مخبأة عن القارىء، وهي تجعل مختلف الناس يقيمونها بأشكال مختلفة، بل وبأشكال متناقضة أحياناً.

...لا تشمل القصص الآنفة الذكر كل شيء عن عائلة ي.ف.ستالين، لكن وجود هذه القصص يدل على الاهتمام الكبير بحياة ي.ف.ستالين نفسه، وليس فقط في مجال نشاطه السياسي، وإنما في إطار حياته الشخصية أيضاً.

يوجد في هذه الشخصيات، مثل شخصية ستالين، دائماً شيء ما سحري عجيب. لذا، عندما يكتشف الناس سر هذا السّحر، ينتقلون إلى التساؤل عن كل تفاصيل حياته كاملة.

زوجة ستالين

كان أجداد ناديجدا سرغييفنا أليلوييفا، زوجة ستالين، من عبيد الإقطاع. ولد جدها ياكوف تيموفييفيتش أليلوييف وجدتها مارفا بيتروفنا من عبيد الإقطاع، وكانا يتبعان معاً

للإقطاعي المالك تريجيفسكي. ياكوف كان يعمل حوذياً، ومارفا وصيفة. كما كان يعمل في قصر المالك أيضاً كل أقاربهم. بعد أن تحررت عائلة أليلوييف من التبعية الإقطاعية، انتقلت للعيش في قرية "راميني"، قضاء نوفوخوبيرسك، محافظة فورونيج، حيث مات كبير العائلة عندهم من الكوليرا، وكانت زوجته تعمل مياومةً، وتخيط كافة الملابس اللازمة لأبناء القرية، لكنها كانت تطعم أولادها بصعوبة بالغة، وعاشوا في فقر وعوز كبيرين. بالنسبة لوالدي ناديجدا سرغييفنا فقد كانا ثائرين محترفين، حيث تتكلم عن ذلك الوثائق المحفوظة في مستودعات الأرشيف السياسي:

"أمر إداري:

١٣ كانون الثاني عام ١٩٠٥ .

أنا الموقع أدناه رئيس المجلس الأمني لمدينة موسكو، اللواء رودنييف، وبناءً على الوثائق والإثباتات الموجودة في قسم حفظ الأمن والانضباط في مدينة موسكو، عن زوجة الفلاح المقيم في محافظة فوروينج، قضاء نوفوخو بيرسك، ناحية باركوفسك، أولغا يفغينيفنا أليلوييفا، واستناداً إلى المادة /٢١/ من قانون الحماية الأمنية الحكومية، الصادر والمصدق عن الهيئة التشريعية العليا في الدولة في ١٤/آب/١٨٨١م، أقرر مايلي: توضع المعتقلة أليلوييفا حتى يبت في أمرها، تحت الحراسة في سجن محافظة موسكو، مع احتوائها وفقاً للمادة /١٠٤٣/ من قانون العقوبات الجنائية، في غرفة منعزلة. يُبَلّغ هذا الأمر، وفقاً للمادة /٤٣١/ من نفس القانون، للمعتقلة، وتُرسل نسخة عن هذا الأمر إلى القاضي الأول في مجلس قضاة موسكو، وإلى مكان احتواء المعتقلة.

عُرض الأمر على المعتقلة اليلوييفا، لكنها رفضت التوقيع على تبلغها إياه.

اللواء رودنيف.

الرفيق مساعد رئيس السجن . التوقيع

الأمر صدر وأفهم".

تم الاحتفاظ ببروتوكول التحقيق الخاص بوالد ناديجدا سرغييفنا أيضاً:

"١٦/شباط/١٩٠٥ في موسكو. أنا ضابط فيلق الجندرمة الخاص، المقدم بابتشينسكي، استناداً إلى المادة /١٠٣٥/ من قانون المحكمة الجنائية وبحضور قاضي محكمة محافظة

موسكو، الرفيق س.ي.فيسارينوف، ومع مراعاة المادة /٤٠٣/ من نفس القانون، أجريت تحقيقاً مع المسمى أدناه، المعتبر متهماً، وكانت الإجابات التالية:

١ . اسمي (الكنية، الاسم، والأبوة، وتذكر المتزوجات كنيتهنّ الأولى قبل الزواج) سرغي ياكوفليفيتش أليلوييف.

٢ . عمري /٣٩/ عاماً، ولدت في /٢٥/ أيلول /عام ١٨٦٦م في محافظة فورونيج، قضاء نوفوخوبيرسك، ناحية ياركوفسك، قرية راميني.

٣ . الديانة: مسيحي أرثوذكس.

٤ . القومية: فيليكوروس.

٥ . المنبت: فلاح، من قرية راميني.

٦ . الجنسية: روسي.

٧ . المقام: فلاح.

٨ . مكان الإقامة الدائم: مدينة موسكو، شارع فلاديميرو . دولغوروكوفسكايا، بيت يغوروف.

٩ . مكان تسجيله وفقاً للطبقة: .

١٠ . مكان تسجيله لخدمة العالم (شعبة التجنيد): شعبة تجنيد نوفوخوبيرسك. الخدمة: استدعي في عام ١٨٨٩ وألحق بالجيش برتبة محارب من الدرجة الثانية.

١١ . الحرفة أو المهنة: خرّاط وسائق

١٢ . وسيلة العيش: منتوج العمل الخاص.

١٣ . الوضع العائلي (الاسم والأبوة الخاصة بالزوج أو الزوج، وأسماء الأولاد وأعمارهم وأعمالهم وأماكن سكنهم): متزوج من المواطنة التيفليسكية أولغا يفغنيفا فيودورنيكو، البالغة من العمر /٢٧/ عاماً. يعيش معي أولادي: بافل، فيودور، أنّا، وناديجدا، وجميعهم قاصرون.

١٤ . علاقات القرابة (الأبوان، الأخوة، الأخوات، أسماؤهم وأبواتهم وأعمارهم وأعمالهم وأماكن سكنهم الدائمة): الأخوة: ميخائيل /٤٣/ عاماً . يعيش عند محطة أوريويينو، في منطقة فويسكو دونسكافا، بقّال. بافل . /٣٥/ عاماً . يعيش في محافظة بوريسوغليبسكي تامبوفسك، خياط. أختي: ماريا، وكنيتها حسب كنية زوجها "كارينا" تعيش في بوريسوغليبسكي وزوجها نجّار.

١٥ . مكان الإقامة الدائمة للوالدين أو من ينوب عنهما...

١٦ . الوضع الاقتصادي للوالدين...

١٧ . مكان التربية واسم المعيل، واسم المؤسسات التربوية والعلمية، وسنوات التسجيل والانتهاء للوالدين: منزلي...

١٨ . ....

١٩ . هل كان خارج الحدود، أين ومتى ولماذا: لم أكن.

٢٠ . هل طلب للشهادة أو للتحقيق في بعض القضايا الحكومية الإجرامية؟ وإذا طلب، فمتى وأين وكيف انتهى الأمر: طلبت في عام ١٩٠٠م إلى قسم جندرمة المحافظة في تريفليسك، وذلك على مشاركتي في إضراب عمال السكك الحديدية، وأوقف التحقيق بالأمر، وفي عام ١٩٠٢م بتهمة العمل لصالح منظمة سرية، وفي عام ١٩٠٣ اعتقلت هناك أيضاً بتهمة لم يصرّح عنها. حُرِمت من الإقامة في القوقاز.

٢١ . هل كان خاضعاً لحكم أو لتحقيق بأمور ذات طابع جنائي: لم أكن.

أجيب عن الأسئلة التي توجه لي، وأقول، أنا لا أعترف بأني مذنب، ولم أشارك في نشاطات المنظمة التي تهدف كما هو معروف لإسقاط الحكم السائد في روسيا. لم أعرف أي إنسان باسم تشيتسكايف، ولم انتظر الحصول على أية منشورات من أي إنسان كان. في تشرين الأول عام ١٩٠٤م وصلت من سيربوخوف إلى موسكو بحثاً عن العمل، لكني لم أتعرف على أي عامل أو أية مجموعة عمال في موسكو. عاش عندي بشكل طفيلي مساعد صيدلي باسم تسخوميليدزي لكني لا أعرف إن كان قد استقبل أحداً في غيابي، ثم أني لم أر المنشورات التي وجدت في جيب سترة زوجتي، والتي أراني إياها رجال البوليس خلال التفتيش، ولا أعرف كيف وصلت هذه المنشورات إلى شقتي.

سرغي ياكوفليفيتش أليلوييف.

المقدم بابتسينسكي

الرفيق القاضي س.فيسارينوف

اتخذت الإجراءات الموافقة بحق والدي ناديجدا مباشرة. لكننا سنعود من جديد للوثائق.

"من رئيس قيادة جندرمة محافظة موسكو

٣/آذار/١٩٠٥م رقم /٢٩٩٨/

إلى السيد رئيس قسم الحماية في موسكو:

سري

إن المطلوب للعدالة، ضمن إطار صلاحياتي، للتحقيق بتهمة الجريمة، المنصوص عنها في المادة /١٢٦/ من قانون الجنائيات، وهو مواطن محافظة فورونيج، قضاء نوفوخوبيرسك، قرية راميني، الفلاح سرغي ياكوفلوفيتش أليلوييف، قد أحيل من عندي، استناداً للتحقيق الذي جرى على أساس الجزء الثاني، المادة /٤١٦/ من قانون المحاكمات الجنائية، ليوضع تحت مراقبة قوات الأمن الخاصة. (البوليس الخاص).

ملاحظة: أعطيت شهادة الميلاد وشهادة العماد لسرغي أليلوييف من الكنيسة الروحانية في فورونيج عام ١٨٦٦ تحت رقم /١٠٩٥٢/، وخلاصة عن قيد النفوس والميلاد لأولغا أليلوييفا من الكنيسة الطبية في تيفليسك في /٣/ كانون الثاني /عام ١٨٧٨م.

العقيد سوبوليوف

المقدم باتشينسكي".

"من رئيس قيادة جندرمة منطقة دونسك.

٢٠/أيار/١٩٠٥م، رقم /٢٣٦٢/ على رقم /٣٠٣٩/.

إلى رئيس قيادة جندرمة محافظة موسكو:

سري

نحيطكم علماً، أن المطلوب للعدالة، ضمن إطار صلاحياتي، والموضوع تحت مراقبة البوليس الخاصة، الفلاح سرغي ياكوفلوف أليلوييف، قد اختفى عندما وصل إلى مدينة روستوف على الدون، وعند إجراء التفتيش اللازم في مدينتي روستوف وناخيتشيفاني على الدون، تبين أنه ليس له مكان إقامة فيهما، ولذا فإن مراقبة أليلوييف لم تتم.

الروتميستر (التوقيع)".

عُقِدَ قران سيرغي ياكوفلوفيتش على أولغا يفغينفنا في عمر الشباب. وقد كتب فيما بعد س.يا. أليلوييف: "التحقت زوجتي أولغايفغينفنا بالحركة الثورية، منذ الأيام الأولى لزواجنا، ونفذت دائماً المهمات السرية الموكلة إليها خلال فترة نضالي الثوري كله، وكانت ولا تزال مساعدي ورفيق طريقي المخلص المحب. كان هذا الزواج سعيداً. ولدت ناديجدا في باكو، وأمضت طفولتها في القوقاز. درست في مدرسة الجمنازيا في بطرسبورغ، وعرفت أباها في تبيليسي على صهره المستقبلي، رغم أنه لم يفكر أحد في ذاك الوقت بأي نوع من تلك القرابة. يقول تاريخ العائلة، أن يوسف ستالين في عام ١٩٠٣م، أنقذ حياة الطفلة ناديجدا، البالغة من العمر سنتين آنذاك عندما كانت تلعب على الشاطئ في باكو، وسقطت في البحر، عندها غطس ستالين خلفها وأنقذها. بعد أربعة عشر عاماً التقت طالبة الجمنازيا البالغة من العمر ستة عشر عاماً، مع الثائر المنفي البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً، والعائد لتوه من المنفى من سيبيريا.

إذا أخذنا بعين الاعتبار يوميات ناديجدا، نجد أنها قبيل ثورة أكتوبر كانت بعيدة كل البعد عن السياسة: "لم نرد نحن الرحيل من بطرسبورغ. كانت أمورنا مع الرقابة جيدة. يمكننا إيجاد البيض والحليب والخبز واللحم، رغم أن كل شيء كان غالياً. بشكل عام كان يمكننا العيش، بالرغم من أن مزاجنا (بل ومزاج الجميع) كان سيئاً للغاية، وأحياناً نبكي: شيء مُمِلٌّ جداً، وليس هناك مكان تذهب إليه. لكن منذ أيام، كنت مع مدرسة الموسيقا في مسرح الدراما الموسيقية، وشاهدت مسرحية "معرض العقعق"، وكنت مسرورة جداً. هناك أحاديث في بطرسبورغ، أنه ستبدأ في العشرين من اكتوبر (تشرين الأول) حركة البلشفيين، لكنني أظن ذاك هراء.

الأول من اكتوبر عام ١٩١٧م.

"...أنا الآن في مدرسة الجمنازيا. لقد جمعوا عندنا بعض التبرعات لصالح المستخدمين والموظفين العسكريين، وكلٌّ يعطي روبلين أو ثلاثة. عندما أتوا إلي، قلت لهم: "أنا لا أريد أن

أتبرع"، عندها سألوني "يبدو أنك قد نسيت حمل النقود معك؟"، وقلت: إنّني لا أريد أن أتبرع أبداً. حينها،حدثت العاصفة! ومنذ ذلك الوقت، أصبح الجميع يسمونني بلشفية، لكن ليس من باب الشر، بل بمحبة...

مضى شهران، وأنا أمارس الموسيقى. لا أستطيع القول، إنني أحرزت تقدماً جيداً. لنرَ ماذا سيحدث بعد. أما الآن . إلى اللقاء. علي أيضاً أن أدرس قانون الربانية التعيس.

١١/كانون الأول/١٩١٧م

"تجري الدروس في الجمنازيا بشكل بطيء جداً. نزور طول هذا الأسبوع المؤتمر الروسي العام لمجالس النواب العماليين والعسكريين والفلاحين. شيء ممتع جداً، خصوصاً عندما يتكلم تروتسكي أو لينين، أما الباقي فيتحدثون بغير حيوية ودون مضمون واضح. غداً، السابع عشر من كانون الثاني، هو اليوم الأخير من المؤتمر، ونحن سنذهب كلنا بالتأكيد.

١٦/كانون الثاني /١٩١٨م

".... في بطرسبورغ مجاعة مخيفة. يعطوننا في اليوم ثمن رطل من الخبز، وفي أحد الأيام لم يعطونا شيئاً، حتى إنني شتمت البلاشفة. لكنهم وعدونا اعتباراً من /١٨/ شباط بزيادة الحصة للجميع . لنرَ!...لقد نزل وزني بمقدار عشرة ارطال تقريباً، وأنا مضطرة اليوم لتضييق كافة تنانيري وثيابي،...كل شيء يسقط عني، حتى إنهم بدؤوا يرتابون بأمري . أأنا عاشقة أم لا؟...

زارنا لمدة عشرة أيام بافلوشا، وسافر من جديد. لقد التحق بصفوف الجيش الاشتراكي الجديد، بالرغم من أنه يقول: أن الجبهة المستمرة قد أضجرته. ماما شتمته، أما نحن، فقد كنا خلال ذلك نرفع صراخ النصر "أورا". أبي أيضاً يريد أن يلتحق بالجيش، لكنه طبعاً، يمزح..".

بعد ذلك بقليل تزوج ستالين من ناديجدا أليلوييفا، وعاشا في موسكو.كانت ناديجدا تعمل في سكرتارية ف.ي.لينين، عند ل.أ.فوتييفا التي كانت مع زوجها على الجبهة الجنوبية.

في عام ١٩٢١ ولد لديهم الطفل الأول الذي أسمياه فاسيلي، وقد كان يمارس تربية الطفل بشكل رئيسي أهل الأم والخدم. أخذت ناديجدا تدريجياً تنضم إلى نشاطات الحياة الاجتماعية، وفي عام ١٩٢٣ أصبحت مرشحة للدخول في عضوية الحزب الشيوعي البلشفي الروسي.

في عام ١٩٢٦ ولدت عند ستالين طفلة، وأسموها سفيتلانا. في ذاك الوقت، كانت ناديا نشيطة سياسياً وتركت مهمة تربية الطفلة بشكل رئيسي للمربية.

كانت ناديجدا امرأة متواضعة جداً، وقد أورد حفيدها أ.ف.بوردونسكي في مقابلة صحفية لصحيفة "فيتشيرناياموسكفا" مثالاً مميزاً جداً على ذلك، حيث قال: "في الخمسينات تقريباً، أرسلت إلينا أخت جدتي آنّا سيرغييفنا أليلوييفا صندوقاً، يحتوي على بعض أشياء ناديجدا سيرغييفنا. لقد أدهشني تواضع ملابسها وفساتينها. كانت هناك سترة قديمة مرقعة تحت الإبطين، وتنورة مهترئة من الصوف الداكن وكان قفاها مليئاًبالرقع. كانت تلك ملابس امرأة شابة، قالوا عنها إنها تحب الملابس الأنيقة والجميلة".

يصعب علينا نعت زواج أليلوييفا بالزواج السعيد. كان ستالين مشغولاً كثيراً بالعمل وأمضى معظم وقته في الكريملين. كان واضحاً، أنه كان ينقص زوجته اهتمام الزوج المحب. لقد هجرته مع أولادها أكثر من مرة، وقبل موتها بفترة، صرّحت أنها عندما ستنتهي من دراستها في الأكاديمية الصناعية سترحل إلى أقاربها. كانت أليلوييفا بكل تأكيد عالمةً بأعمال وأسرار زوجها. في ٢٣/كانون الأول/عام ١٩٢٢ كانت أليلوييفا حاضرة، عندما نقل السكرتير المناوب للينين م.فولوتشييفا لستالين نسخة عن "دعوة لينين، للمؤتمر (المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي البلشفي الروسي). تقول فولودتشييفافي مذكراتها: "كانت الساعة متأخرة، عندما عدتّ إلى السكرتارية. جلست هناك مطولاً منقبضة النفس ومكتئبة، أحاول فهم وتفسير ما سمعته عند لينين. بدت لي رسالته مقلقة جداً. اتصلت بليديا ألكساندروفنا فوتييفا (سكرتير مجلس اللجنة الشعبية)، وقلت لها، أن لينين، قد أملى علي رسالة هامة جداً للمؤتمر الدوري للحزب، وسألت لينين عندها، إن كان عَليّ ألا أريها لأحد، فأجابتني ليديا ألكساندروفنا: "يمكنك أن تريها لستالين، وهذا ما فعلته.

رأيت في شقة ستالين، ستالين نفسه وناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا، وس. أوردجونيكيدزي ون.ي.بوخارين ونازارتيان...

كان مهماً بالنسبة إليّ أن اوصل إلى مسامع ستالين، أن فلاديمير إيليتش، بالرغم من مكوثه في الفراش، إلاّ أنه حي ونشيط، وكلماته تنساب بوضوح وحيوية. تكون لدي انطباع، أن ستالين أراد أن يفسر معنى دعوة لينين للمؤتمر، بسبب حالته المرضّية الخاصة. فقال لي: "أحرقي الرسالة"...".

في هذه الرسالة، دان لينين، كما هو معروف، سلوك ستالين، في أنه أخطأ بحق كرويسكايا (زوجة لينين)، حيث قال له فيها: "هل أنت موافق على سحب ما قلته والاعتذار؟ فإن كان الجواب سلبياً؟ فلتقطع كافة العلاقات بيننا؟". في إجابة ستالين على هذه الرسالة، يمكننا أن نرى جوهر علاقته بزوجته أيضاً. إليكم ما كتبت م.فولودتشيفا عن ذلك: "أعطيت رسالة لينين لستالين باليد، وطلبت منه أن يكتب رسالة لفلاديمير ايليتش لأنه ينتظر الجواب بقلق. قرأ ستالين الرسالة واقفاً وأنا موجودة، وبقي وجهه خلال ذلك هادئاً ولم يتغير، ثم فكَّر قليلاً، وأجاب ببطء، متلفظاً كل كلمة بوضوح وبفارق زمني معين بين الكلمة والأخرى: "إن من يقول هذا ليس لينين، إنه مرضه. أنا . لست طبيباً، أنا . رجل سياسة. أنا . ستالين. لو أن زوجتي، العضو في الحزب، تصرفت بشكل خاطئ وعاقبوها، لما اعتبرت أن من حقي، أن أتدخل في هذا الأمر. وكروبسكايا . عضو في الحزب، وبما أن فلاديمير ايليتش يصر، فأنا مستعد، أن أعتذر لكروبسكايا على الفظاظة التي صدرت مني تجاهها".

ما اكتشفته زوجة ستالين . ناديجدا سيرغييفنا، لنفسها في زوجها ستالين، وما عرفته عنه، وما جعل حياتها معه لا تطاق في تلك اللحظة، لم تكن لتعرفه أبداً، في أي لحظة أخرى، لم تحتمل نفسيتها هذا الضغط، وفي الليل ما بين الثامن والتاسع من تشرين الثاني عام ١٩٣٢ كانت تلك الطلقة الأبدية.

في العاشر من تشرين الثاني، نقلت صحيفة "إزفيستيا" خبراً عن تشكيل لجنة للدفن، تألفت من: إنكويدزي (رئيساً)، بيترسون، خازان، كاغانوفيتش، باوكر، وروبين. وقع رسالة التعزية بموت ناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا كل من: يكاتيرينا فوروشيلوفا، بولينا جيمتشوجينا، زينايدا، أوردجونيكيدزي، دورا خازان، ماريا كاغانوفيتش، تاتيانا بوستيشيفا، أيخن ميكويان. في الحادي عشر من تشرين الثاني، نشرت صحيفة "إزفستيا" نفسها قصيدة شعر للشاعر ديميان بيدني بعنوان "للموت غدره القاسي". بعد ذلك طبع إعلان وكالة تاس: "في المدفن ألقى كلمته كل من: كاغانوفيتش وكلاشنيكوف (أكاديمية الصناعة) وبوخارين (اللجنة الحزبية في منطقة كراسنوبريسنينسك)".

هناك ثلاث فرضيات حول موت ناديجدا أليلوييفا:

الأولى: أنها انتحرت، بأن أطلقت النار على نفسها. كُتِبَ عن هذا الأمر بالتفصيل في مذكرات ابنتها سفيتلانا "عشرون رسالة لصديق".

الثانية: أن ستالين هو من أطلق النار عليها وقتلها. إليكم ما حدثنا عن ذلك في رسالته إيفان سبيريتشيف من مدينة كونستانتينوفسكا، محافظة روستوف: "أذكر أني كنت طالباً في السنة الأولى في كلية التربية في ستافروبول، وكان لدي تلميذ أعلمه الفيزياء والكيمياء، كان أبوه دكتوراً مشهوراً في المدينة، ويعمل في قيادة المنطقة التابعة لوزارة الداخلية. في أحد الأيام، أخذت أحد أعداد صحيفة "البرافدا"، وهناك رأيت رسالة التعزية، التي قيل فيها، أن ناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا قد ماتت إثر مرض قلبي. عندما أتيت إلى شقة تلميذي، أعلمته بما حصل. لكن تلميذي سألني، بإبتسامة لا تخلو من المكر والسخرية: "وهل تعرف كيف ماتت؟". عندها اصبح وجهها والديه شاحبين، وأحسست أنا، أن شيئاً غير طبيعي قد حدث، وقررت تفريغ الشحنة التي عبأها الموقف. هززت التلميذ، وقلت له: "اصمت وإلاّ..، أنت تعرف أكثر من اللازم". هكذا تم إيقاف الحديث.

كان التلميذ يرافقني بعد الدرس إلى السكن الجامعي، حيث كنت أعيش. خرجنا من شقتهم إلى الشارع، وبدأ هو الحديث من جديد عن أليلوييفا. قال: "لقد اطلق ستالين عليها النار"، وسألته، من أين له هذه المعلومات؟ فأجابني، أن أباه كان اليوم في عمله في القيادة، وهناك يتحدث الجميع عن ذلك".

سمعت فيما بعد تصريحاً، أوردته إحدى الإذاعات الأجنبية (أظنها "صوت أميريكا" من واشنطن)، وهناك أيضاً جرى الحديث عن جريمة قتل. قالوا، أن أليلوييفا، دخلت في مجموعات "الإثنان والتسعون" المعادية لستالين، وكانت تحضر نفسها، لكي تفضح "قائد الشعب" في مؤتمر الحزب القادم".

أين الحقيقة؟

أظن أن كاتب الرسالة نفسه غير واثق من صحة هذه المعلومات، إذا كان نفسه يسأل عن الحقيقة رغم أن هذا ما قالته فاينا غامارنيك التي تحدثنا عنها فيما سبق.

أما الخادمة في بيت ستالين، التي وجدت ناديجدا أليلوييفا ميتة، فتؤكد أنها انتحرت بنفسها. تم استدعاء الأطباء من قبل زوجة مولوتوف بولينا سيمونوفنا جيمتشوجينا، التي حدثت بالتفصيل صديقتها إيميليا فلاديمير وفنابيستروفا (التي كانت في ذاك الوقت نائبة رئيس اللجنة الشعبية في الصناعة الخفيفة، وهي تعيش حتى الآن). تؤكد بيستروفا نقلاً عن جيمتشوجينا، أن ن.س.أليلوييفا ماتت ليلاً إثر انتحارها، وأن ستالين لم يعرف ذلك إلا صباحاً.

الثالثة: هي أنه تم إطلاق النار على ناديجدا أليلوييفا بأمر من زوجها.

أظن أن الفرضيتين الأخيرتين لن تجدا ما يؤكدهما، وستبقيان مجرد فرضيتين لعدم وجود المؤكدات والإثباتات الوثائقية.

قال نيكيتا سيرغييفتش خروشوف، الذي كان يدرس مع زوجة ستالين، والذي كان يعرفها جيداً، قال فيما بعد: "... كنت أحترم كثيراً ناديجدا أليلوييفا. كانت تتميز عن ستالين كثيراً! كنت دائماً مندهشاً لشدة تواضعها...

بعد ذلك انتحرت ناديا. ماتت في ظروف غامضة. لكن مهما كانت أسباب موتها، فإنه يعود إلى أفعال ستالين، ولابد أن سفيتلانكا كانت تعرف بذلك، حتى أن الناس قالوا، إن ستالين قتل ناديا بيده. وفقاً لفرضية أخرى، كانت أشبه إلى الحقيقة، أظن أن ناديا انتحرت، بعد أن وجهت إليها إهانة مست بشرفها كامرأة. لابد أن تكون سفيتلانكا، قد عرفت شيئاً عن ممات أمها، وقد كانت تعاني من ذلك كثيراً.

ماالذي يمكن أن تكون قد عرفته ابنة ستالين؟ وكيف وصفت عملية دفن أمها، وحالة أبيها بشكل عام؟ أظن أن هذه الأخبار، ستكون ممتعة أكثر، لأن الكثير من الموسكويين الذين راقبوا مراسيم دفن زوجة ستالين، يؤكدون أنهم شاهدوا ابنة ستالين سائرة خلف الجثمان، على مسافة قريبة من أبيها. كما أن الكثيرين يكتبون في رسائلهم، أنهم اقتربوا من ستالين كثيراً، حتى أنهم لمسوه، وقد كان حسب أقوالهم دون غطاء رأس وشاحباً، وقد رأوا على وجهه طبقة من الماكياج، لأنه لم يكن هناك أي أثر لجدريات وجهه.

تقول سفيتلانا أليلوييفا في مذكراتها: "...كان أبي مصدوماً كثيراً بما حدث، وقد كان مصدوماً، لأنه لم يفهم: لماذا؟ لماذا طعنوه هذه الطعنة القاسية في ظهره؟ لقد كان شديد الذكاء لكي يفهم أن المنتحر يفكر دائماً "بعقاب" شخص ما . أي أن أمي كانت تفكر وهي تنتحر: "هاك سأنتحر، لكي تعرف من أنا!". كان هو يفهم ذلك، لكنه لم يدرك، لأيّ شيء، ولأيّ ذنب فعلت هذا؟

وقد سأل من حوله: هل كان هو قليل الاهتمام بزوجته؟ ألم يحبها ويحترمها كزوجة وكإنسـان ؟ هل كان الأمر مهماً بالنسبة لها جداً ، ألاّ يذهب معها مرة أخرى إلى المسرح؟ هل هذا مهم؟.

كان في الأيام الأولى مهزوزاً، وكان يقول، إنه لا يريد أن يعيش بعد ذلك... كنا نخاف أن نترك أبي وحده، لقد كان في حالة يُرثى لها. أحياناً كان يحتد ويغضب ويتهيج، وكان سبب ذلك، أن تركت له أمي رسالة.

من المؤكد، أنها كتبت تلك الرسالة في الليل. أنا طبعاً لم أرها أبداً، وعلى ما يبدو أنهم أبادوها مباشرة، لكن وجود رسالة، كان أمراً أكيداً، وقد تكلم عنها من رآها. كانت رسالة فظيعة، وكانت مليئة بالإتهامات والمسبات. لم تكن تلك رسالة شخصية فحسب، وإنما كانت رسالة ذات طابع سياسي من ناحية جزئية أيضاً. عندما قرأها أبي، كان يمكنه أن يفكر، أن أمي كانت بجانبه بالمظهر فقط، وهي في الواقع، كانت تسير بجانب المعارضة، التي كانت في تلك السنوات. كان أبي مهزوزاً وحانقاً لذلك، وعندما أتى لوداعها في الحفلة التأبينية، واقترب للحظة من الجثمان، دفعه عنه بيديه، واستدار، ومضى خارجاً. كما أنه لم يذهب للدفن، ودفن أمي الأصدقاء والأقرباء، ومشى خلف الجثمان عَمّها بالعماد آفيل إينوكيدزي. فقد أبي السيطرة على أعصابه لفترة طويلة، فهو لم يزر قبر أمي في مدفن نوفوديفيتشي ولا مرة...لم يستطع فعل ذلك. كان يعتبر، أن ماما ذهبت كعدو شخصي له".

إن تأكيد سفيتلانا أليلوييفا أن أمها قد تركت وصية سياسية، لم يرد في كلام وتأكيدات بيستروفا التي عرفت جيداً تفاصيل موت ناديجدا سرغييفنا، والأحداث التي تلت ذلك.

في ١٨/تشرين الثاني/ ١٩٣٢ نشرت الصحف المركزية رسالة ستالين، التي شكر فيها المنظمات والمؤسسات وبعض الشخصيات، الذين رفعت له تعازيها بمناسبة وفاة زوجته ناديجدا أليلوييفا ـ ستالينا.

بالمناسبة، إن تأكيد الابنة، على أن أباها لم يحضر دفن أمها، كانت حتى عام ١٩٦٧ تضع مصداقية بعض مواد سيرة ستالين الشخصية موضع الشك، وخصوصاً التالي: "في ١١/تشرين الثاني /١٩٣٢م، رافق ستالين التابوت مع جثمان ناديجدا أليلوييفا ـ ستالينا إلى مثواها الأخير في مدفن نوفوديفيتشي" (مجموعة مؤلفات ي.ف.ستالين، المجلد /١٣/، موسكو، دار النشر السياسية الحكومية غوسباليتيزدات، ١٩٥١ ص٤١١).

لكن هذه المادة، تنتقل حتى يومنا هذا من كتاب لآخر!.

إليكم ما يكتبه المتقاعد ف.أ.غوتشينكوف، من قرية فينوغرادني، إقليم كراسنودارسك: "كُتِبَ في مجلة " سمينا" في عددها رقم /١٣/ لعام ١٩٨٨ تحت عنوان "بمناسبة العيد

السبعين لميلاد الكومسمول السوفييتي. ذكرى حية "مايلي: "كان ستالين وهو يسير على جثث تعسفه واستبداده الذاتي، يلعب ببراءة دور الحداد والحزن على فقدان الصديق، تماماً مثلما كان يسير عبر كل شوارع موسكو خلف جثمان زوجته أليلوييفا التي دفعها هو نفسه للانتحار".

وإليكم الآن شهادة الكاتب لوي رازغون، المنشورة في مجلة "يونست" في عددها رقم / ٥/ لعام ١٩٨٨ حيث يقول: "...سكب ستالين على رأسه رماداً، وأخذ يمثل دور النادم المقهور".

شيد النحات على قبر أليلوييفا تمثالاً رائعاً من الرخام الأبيض، وبنى مقابل التمثال مقعداً رخامياً أيضاً، كان يجلس عليه زوج الفقيدة المشتاق، عندما يأتي لزيارتها. كما كان هناك مصباح، ينيروجه أليلوييفا الجميل ويدها الرخامية البيضاء الرائعة، وكان يختبئ الحراس خلف الشواهد التذكارية القريبة. كانت مقبرة أو مدفن نوفوديفيتشي منظفة ومطوقة مسبقاً، ولم يكن هناك شيء يمنع ستالين من الاستسلام للحزن، والتفكير بمن سمح لنفسه أن "يشك" بإخلاصه. أعتقد، أنه في تلك اللحظات بالذات، بدأت تتجمع في ذاكرته قوائم بأسماء الناس الذين سيخضعون لعقابه. لكن هذا كله كان فيما بعد. أما الآن فنقول، أن موت ودفن الزوجة، أصبحا بالنسبة لستالين مقياساً لعلاقة الناس به. كان يطلب من الناس الشفقة وإظهار الحب...طبعاً ليس تجاه أليلوييفا، وإنما تُجاهه هو نفسه. كان جثمان الفقيدة في مبنى الإدارة الاقتصادية الخاصة بالقيادة المركزية، والتي يشغلها الآن مبنى "الغوم"، ومر من جانبي التابوت آلاف الناس، ووقف في حرس الشرف الأصدقاء المخلصون، ونشرت الصحف والمجلات تعابير التعازي الصادقة والمخلصة لستالين.

ستالين نفسه كان جالساً دائماً بجانب جثمان الفقيدة، وينظر بعينين صفراوين براقتين: من أتى؟ من وكيف يتصرف؟ ما هي تعابير وجه كل واحد؟... كانت تلك ميزة من ميزات طبعه. كتب الشاعر بوريس سلوتسكي قصيدته، دون أن يعرف أي شيء عن مراسيم دفن أليلوييفا: "عندما أجبرني أن أبكي، ظنني أبكي بتزلف.."

يكتب في مذكراته بهذا الصدد أيضاً قنسطنطين سيمونوف "رؤية ابن جيلي" ("زناميا" رقم /٣/ عام ١٩٨٩م، ص٣٤): ".... نحن لا نعرف بالضبط ماالذي حدث فعلاً في عائلة ستالين، ولم نعرف بالتحوّل التراجيدي في علاقاته مع زوجته، ولم تصلنا أية أخبار عنه كمذنب في موتها، نعرف جميعاً، أنه سار خلف الجثمان، وكان يبكي فقدانها...".

كتب الموسكوي أ.ف.ريفزين موضحاً: "أبي عضو في الحزب الشيوعي السوفييتي منذ عام ١٩١٩ وتعلم في أكاديمية الصناعة مع ن.س.أليلوييفا ون.س.خروشوف. لقد حدثنا، أنه بعد المأساة التي حصلت لناديجدا أليلوييفا، أرسِل هو وبعض رفاقه لحضور مراسيم الدفن. كان في مبنى "الغوم" ستالين نفسه. إذاً، فقد كان حاضراً في بداية مرسيم الدفن". لكن هناك الكثير من الشهود الذين يؤكدون، أن ستالين كان في المدفن أيضاً، وقد ذكرنا أسماءهم في الفصل الأول من هذا الكتاب.

إذاً، نستطيع القول، إن سفيتلانا أليلوييفا، وهي المشارك المباشر في عملية الدفن، شهدت أن أباها لم يكن في مراسيم الدفن.

تؤكد دراسة بعض الصور والمقابلات الشخصية مع بعض أقارب ستالين، الذين مازالوا على قيد الحياة، (والذين طلبوا منا ألا نذكر أسماءهم)، أن الناس قد خلطوا بين ستالين وأ.سفانيدزي، أخ زوجته الأولى.

لو سار ستالين بنفسه خلف الجثمان ، لما جلس على الأسيجة أي إنسان، ولما استطاع أحد الاقتراب كثيراً منه. لو حدث ذلك لطوقه الحرس من كل مكان.

كان مأساوياً مصيرُ الكثير من أقرباء ناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا. في عام ١٩٣٨ اعتُقِلَ زوج أختها آنّا، الذي كان عضواً في المجلس الشعبي الحكومي في ريدينس. قبل فترة من اعتقاله، أُرسِل إلى مكان خدمته الجديد في كازاخستان، وبعد ذلك استدعي واعتقل، ثم أُعدِم. بالنسبة لـ ب.س.أليلوييف، أخ ناديجدا سيرغييفنا، فقد كان يعمل قوميساراً عسكرياً في إدارة المركبات والمدرعات. عندما عاد ذات يوم بعد قضائه لإجازته الاعتيادية، لم يجد العاملين معه، الذين كانوا قد اعتقلوا، ومات مباشرة في مكتبه من نوبة قلبية.

أما ما يخص أخت زوجته آنّا سيرغييفنا، وزوجة أخيها بافل سيرغييفيتش، فقد وُضعا بعد فترة قليلة من ذلك في السجن بتهمة "العمل التجسسي"، وخرجا من السجن في عام ١٩٥٤ فقط، هذا عدا عن أن آنّا سيرغييفنا، قد أمضت ست سنوات وحيدة، لأنها خرجت في حالة نفسية صعبة. وجهت لها خلال التحقيق تهمة، وهي أنها "كانت تروج في وسطها أقاويل وشائعات دعائية كاذبة بحق رئيس الحكومة السوفييتية". تحت الضغط، وباستخدام كافة أنواع التعذيب من قبل مجموعة المحققين برئاسة نائب رئيس مجموعة التحقيق ذات المهمات الخاصة في وزارة الأمن الحكومي السوفييتي كوماروفيتش، اعترفت آنّا سيرغييفنا بنفسها مذنبة

بالتجسس، وتزويد وحدات الاستطلاع والتجسس الأجنبي بمعلومات عن حياة ستالين الخاصة، وبترويج الدعاية المضادة للحكومة السوفيتية، وبانضمامها للمنظمات المعارضة للثورة. في عام ١٩٥٤ اتخذت الهيئة العسكرية قراراً لرد اعتبار آنّا سيرغييفنا، وكتب في القرار: "نتيجةً للطرق غير القانونية في إجراء التحقيق".

كان مأساوياً أيضاً مصير أخ زوجة ستالين الأولى، وهو أليوشا سفانيدزي، الذي خلطوا بينه وبين ستالين في مراسيم الدفن، اعتقل هذا الشاب قبيل الحرب، كما اعتقلت زوجته. وبالرغم من أنواع التعذيب، التي اتبعت، لم يستطيعوا أن يحصلوا منه على أية شهادات ضده. أُعدم رمياً بالرصاص في عام ١٩٤٢م. أما زوجته التي كانت في المنفى، عندما سمعت بأمر الإعدام، ماتت بالجلطة. اعتقلت أيضاً أخت ألكسي سفانيدزي . ماريكو، التي كانت تعمل في سكرتارية أ.إينوكيدزي، وماتت أيضاً في السجن. كما نفي ابن أ.سفانيدزي وكان منفاه كازاخستان.

كانت تلك تراجيديا أو مأساة عائلة وأقارب ناديجدا أليلوييفا وزوجة ستالين الأولى.

الابن الأكبر

في السابع من آب عام ١٩٤١م وصل إلى يد أ.أ.جدانوف الوثيقة ذات المحتوى التالي:

"سري:

إلى عضو المجلس العسكري على خط الجبهة الشمالي الغربي، الرفيق أ.أ.جدانوف:

أرسل إليكم ثلاثة منشورات، رمتها طائرات العدو على خطوط جبهتنا.

المرفقات: ثلاثة منشورات للمرسل إليه فقط.

رئيس الإدارة السياسية على خط الجبهة الشمالي الغربي.

٧/آب/١٩٤١م (التوقيع غير واضح)".

نورد الآن نص المنشورات كاملاً: "أيها الرفاق المقاتلون الحمر! ليس صحيحا، أن الألمان يعذبونكم أو حتى يقتلون الأسرى...ذلك تزوير خسيس! إن الجنود الألمان يعاملون الأسرى

جيداً! قادتكم يخدعون الشعب بأكمله! يخوفونكم، كي تخافوا من الألمان! تجنبوا إراقة الدماء، التي لا معنى لها، وانتقلوا بهدوء لصالح الألمان!.

توجد هنا صورتان لضابطين ألمانيين مع الأسرى، وفي الأسفل نص يقول: "يتحدث الضابط الألماني مع ياكوف جوغاشفيلي. ابن ستالين. ياكوف جوغاشفيلي هو ملازم أول قائد بطارية مدافع هوتزر، التابعة للفوج الرابع عشر الفرقة المدرعة الرابعة عشرة، استسلم للألمان وسلَّم نفسه للأسر. إذا كان مثل هذا الضابط السوفييتي المعروف والقائد الأحمر المشهور قد استسلم للأسر، فهذا يعني بوضوح تام، أن أي مقاومة للجيش الألماني لا جدوى منها أبداً. لذا، توقفوا عن القتال، وتعالوا إلينا!.

خلف المنشور هناك نص، كتب بخط اليد: "والدي العزيز! أنا في الأسر، سليم وبصحة جيدة، وسيرسلونني قريباً إلى أحد معسكرات الاعتقال الألمانية الخاصة بالضباط. المعاملة جيدة. أتمنى لك الصحة، والسلام عليكم. ياكوف.

كتب في أسفل الصفحة الثانية بأحرف طباعية هذا التعليق: "تلك رسالة ياكوف جوغاشفيلي لوالده يوسف ستالين، نُقِلت إليه عن طريق الخط الدبلوماسي.

في اليوم التالي، لم تظهر أية وثائق، تثبت أن مثل هذه الرسالة، قد وصلت إلى ي.ف.ستالين، لكن، ألا يدعو للشك ذاك الأمر، في أن جدانوف قد أعلم ستالين بذلك. لقد كان جدانوف عضو المكتب السياسي، وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي، وعضو المجلس العسكري على خط الجبهة الشمالي الغربي، وكان يحظى بثقة ستالين الخاصة، والتقى عدة مرات بابنه، عند ستالين، وعنده في البيت أيضاً.

كان ياكوف جوغاشفيلي ابن ستالين من زوجته الأولى. كانت أمه، يكاترينا سفانيدزي امرأة فقيرة، وربت ابنها، وهي تعمل تارة خياطة وتارة غسالة، وكانت تعطي النقود القليلة التي تكسبها لأبيه. في عام ١٩٠٨م وعن عمر يبلغ الثانية والعشرين توفيت يكاترينا سفانيدزي من جراء التيفوئيد الجوفي الذي أصابها. تربى ياكوف بعد موت أمه عند خالته أخت أمه. فيما بعد انتقل إلى عند أبيه في موسكو، حيث أنهى المدرسة في تسع سنوات. يقول الشهود والمعارف، الذين عرفوا ياكوف جيداً، إنه كان متواضعاً جداً. إليكم ما كتب بهذا الصدد الموسكوي ي.ي.تشاليخ: "خدمت منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤١م في فوج استثمار السكك الحديدية الثالث "زابفو"، الذي كان يتبع لحامية المحطة. كنّا ضمن ألوية النقل الحديدي، نؤمن عمليات النقل العسكري إلى منطقة خالخين. غولا.

كان يخدم معي في نفس الجماعة موسكويون، قد أنهوا المعهد الهندسي للنقل في موسكو "مييت" منهم: غينادي ليغكوف، ناتان رودينتسكي، وغيرهما.

حَدَّثَ أولئك عن ياشا جوغاشفيلي ابن ستالين، الذي كانوا قد درسوا معه، مايلي: كان ياشا إنساناً متواضعاً ومهذباً جداً. لم يكن، كما يقولون الآن، مميزاً في أي مكان. كان يحب كثيراً لعب الشطرنج، وقد أصبح بطلاً في كل مباريات الشطرنج في المعهد. حدثونا أيضاً، كيف تقدم ياكوف للدراسة في معهد "مييت". حسب كلامهم، لم ينتبه أحد، لا في لجنة القبول، ولا في الإدارة، إلى كنية جوغاشفيلي، وبذلك لم يفكر أحد، أن هذا الشاب الذي قدم أوراقه للقبول في المعهد هو ابن ستالين.

ذات مرة، في نهاية اختبارات القبول، اتصلوا بمدير المعهد، وقالوا له، إن الرفيق ستالين سيتكلم معه. يقول شهود العيان، إن المدير المرتبك المذهول، الذي قد "سقط قلبه حتى ركبتيه" على ما يبدو، أخذ السماعة بيد ترتجف، وتأتأ بصوت يكاد يختفي:

. أنا أسمعك، يا رفيق ستالين!

. قل لي من فضلك، هل نجح ياكوف جوغاشفيلي في امتحانات القبول في معهدكم؟

لم يفهم المدير أي شيء وعمن يدور الحديث، لكنه أجاب ضائعاً بين كلماته:

. نعم، رفيق ستالين، جوغاشفيلي مقبول في معهدنا!".

يمكننا تحديد الكثير من ميزات شخصية ياكوف جوغاشفيلي بالوثائق المحفوظة في مصنفه الخاص في الأرشيف المركزي لوزارة الدفاع السوفيتية، وفي سيرة حياته الذاتية التي كتبها بخط يده. كان خطه صغيراً، وكانت هناك تصحيحات كثيرة. يمكننا أيضاً الخروج ببعض النتائج من بيان السلوك الحزبي وشهادة السلوك العسكرية.

سيرة الحياة الذاتية:

"ولدت في عام ١٩٠٨م في مدينة باكو، في عائلة ثائر محترف. يعمل والدي الآن، وهو جوغاشفيلي . ستالين ي.ف. في المجال الحزبي. ماتت أمي عام ١٩٠٨م. أخي فاسيلي ستالين، يدرس في الكلية الجوية. أختي سفيتلانا . طالبة في الإعدادية في مدينة موسكو.

ولدت زوجتي . يوليا إسحاقوفنا ميلتسر في أوديسا في عائلة مستخدم. يعمل أخ زوجتي

مستخدماً في مدينة أوديسا، وأم زوجتي . ربة منزل في مدينة أوديسا. كانت زوجتي حتى عام ١٩٣٥ تعيش على إعالة أبيها، لأنها كانت تتعلم، وعملت ما بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧ في محطة معمل ستالين الكهربائية بصفة مهندس مداخن مناوب. تقدمت عام ١٩٣٧م للدراسة في القسم المسائي في أكاديمية المدفعية العسكرية، وفي عام ١٩٣٨ دخلت في السنة الرابعة من الكلية الأولىفي أكاديمية المدفعية العسكرية.

ياكوف جوغاشفيلي ١٩٣٩/٦/١١م".

بيان السلوك "السياسي" الحزبي

للحصول على عضوية الحزب الشيوعي البلشفي في السنة الخامسة من الكلية الأولى في أكاديمية المدفعية المسماة باسم دزيرجينسكي والحائزة على وسام لينين.

جوغاشفيلي ياكوف يوسيفو فيتش

هو عضو في الحزب الشيوعي البلشفي منذ عام ١٩٤١م، رقم البطاقة الحزبية / ٣٥٢٤٨٦٤/ تولد عام ١٩٠٨ مستخدم. مخلص لقضية حزب لينين . ستالين. يعمل مثابراً لرفع مستواه الفكري النظري. يهتم على وجه الخصوص بالفلسفة اللينينية . الماركسية. يشارك في الأعمال الحزبية. شارك في العمل في عداد طاقم لجنة تحرير جريدة الحائط، وأظهر نفسه كمنظم جيد.

يدرس بصدق وأمانة، ويتغلب على الصعاب بحزم وإصرار وعناد. يحظى بسمعة طيبة بين زملائه.

ليس عليه اشتراكات حزبية.

وقع هذا البيان وصدق في اجتماع المكتب السياسي المؤرخ بتاريخ ١٩٤١/٤/١٤م.

سكرتير المكتب السياسي للسنة الخامسة

تيموفييف".

هناك أيضاً شهادة، أعطيت لجوغاشفيلي، قبيل الحرب الوطنية العظمى:

"المستوى السياسي والعام جيد. منضبط، مطيع للأوامر. المستوى الدراسي جيد. يشارك بنشاط في أعمال الصف السياسية والاجتماعية. حصل على شهادة عليا (بصفة مهندس فني حراري). تقدم إلى الخدمة العسكرية طوعاً.

يحب النظام المنضم ويدرسه. يفكر بتمعن قبل البدء بحل أي مسألة تصادفه. دقيق في عمله ونظيف. من ناحية البنية الجسمانية جيد. درجة استعداده التكتيكي والمدفعي الناري جيدة. اجتماعي. يحظى بسمعة جيدة.

هو قادر على استخدام المعلومات التي حصل عليها من دروس الأكاديمية، بشكل جيد. أدى الدروس التكتيكية الحسابية على نطاق فرقة بدرجة "جيد". المستوى الفكري الماركسي - اللينيني - جيد.

مخلص لحزب لينين - ستالين في الوطن الإشتراكي. هو قائد هادئ ولبق وحازم وقوي الإرادة. أظهر نفسه في دورة إعداد قائد بطارية مدفعية في غاية الاستعداد والجاهزية. أنجز مهامه بشكل جيد. بعد هذه الدورة سيعين قائد كتيبة مدفعية. يستحق رتبة النقيب، التي ستمنح له بشكل دوري..

قرار لجنة الشهادات

يمنح الدبلوم الذي يهيئه للحصول على منصب قائد بطارية مدفعية". في أيار عام ١٩٤١م، أصبح ياكوف جوغاشفيلي قائد بطارية مدفعية. وفي السابع والعشرين من حزيران عام ١٩٤١م بدأت البطارية التابعة للفوج رقم /١٤/ مدفعية هوتزر عملياتها القتالية، وفي الرابع من تموز، وقعت في الحصار.

لم يُعرف مكان وتاريخ أسر الملازم أول ياكوف جوغاشفيلي، إلاّ من خلال المنشورات الألمانية المحمولة إلى القسم السياسي في الجيش السادس التابع للجبهة الجنوبية. كتب عليها قرار: "منتشرة في محافظة نيكوبولسك. ١٩٤١/٨/١٣م، مدير القسم السياسي في الجيش السادس، القوميسار غيراسيمينكو".

طبعت على المنشور صورة، وكتب أسفلها: "هذا ياكوف جوغاشفيلي، الابن الأكبر

لستالين، قائد بطارية المدفعية التابعة لفوج مدفعية هوتزر الرابع عشر، التابع للفرقة المدرعة الرابعة عشرة، والذي استسلم في السادس عشر من تموز للأسر، بالقرب من فيتيبسك مع آلاف القادة والمحاربين الآخرين.

يعلمكم تيموشنيكو وغيره من الهيئة السياسية، بأمر من ستالين، أن البلشفيين لا يستسلمون، لكن المحاربين الحمر ينتقلون إلينا باستمرار. إن قوميساراتكم تهول لكم الأمر وتكذب عليكم عندما تقول لكم، إن الألمان يعاملون الأسرى بفظاعة.

لقد أثبت ابن ستالين شخصياً، أن هذا كذب. لقد استسلم وحده للأسر، لأن أي مقاومة للجيوش الألمانية منذ الآن هي مقاومة لا جدوى منها! اتبعوا مثال ابن ستالين، فهو حي وسليم وبصحة وعافية. لماذا عليكم أن تقدموا الأضحيات التي لا فائدة منها وتسيرون في طريق الموت المحتوم، إذا كان ابن رئيس حكومتكم الأعلى، قد سلم نفسه للأسر؟.

انتقلوا إلينا!".

كان الإيديولوجيون الألمان يظنون، أنه عندما يقرأ المحاربون الحمر هذه الوثائق الزائفة، سيبدؤون حملة استسلام جماعية. لذا، نشر الألمان رخصة انتقال لعدد غير محدود من القادة والجنود الحمر، الذين يودون الانتقال إلى جانب القوات الألمانية:

رخصة انتقال:

إن من يظهر هذه الرخصة، لا يريد هدراً لا معنى له لمزيد من الدماء، في مصلحة اليهود والقوميسارات، ويترك الجيش الأحمر المهزوم، وينتقل إلى جانب القوات المسلحة الألمانية. إن الجنود والضباط الألمان، سيظهرون استقبالاً جيداً للمنتقل، وسيطعمونه ويعطونه عملاً.

لقد أُسِرَ ياكوف جوغاشفيلي من قبل الفرقة المدرعة الرابعة، التابعة لمجموعة جيوش "المركز" أجري التحقيق معه في مقر قيادة أركان مجموعة جيوش "المركز، التي يقودها الجنرال فيلدمارشال غيونترفون كليوغي، وقد أجرى التحقيق الجاسوس المحترف النقيب شتريكفيلد، الذي كتب فيما بعد في مذكراته، عن محاولاته الفاشلة في شراء ياكوف لصالحه: "له وجه جميل وذكي، يملك تقاطيع جورجية صارمة. حافظ على نفسه قوياً وثابتاً. تكلم مع أبيه آخر مرة، قبل الذهاب إلى الجبهة بالهاتف. نفى قطعياً وجود حل وسط بين الرأسمالية والشيوعية، لكنه كان يؤمن بالنصر المحتم للألمان".

اقترحوا عليه أن يكتب رسالة لعائلته، وأن يتكلم عبر الراديو، وأن يصدر منشورات . كل ذلك كان مرفوضاً مباشرة وبدون أية شروط.

بالرغم من ذلك، كانت آلة التضليل والتمويه تعمل بكل طاقتها، وقد زيفت واستخدمت مختلف أنواع "المنشورات الصارخة": "اتبعوا مثال ابن ستالين! سلّم نفسه للأسر. إنه حي وسليم وبصحة جيدة. لماذا تريدون السير بطريق الموت المحتوم، إذا كان ابن قائدكم قد استسلم للأسر؟ السلام على الوطن المعذب! شاهدة في الأرض!" لا يعطي بروتوكول التحقيق ولا المنشورات الألمانية أية إجابة عن السؤال: كيف وقع ياكوف جوغاشفيلي في الأسر؟ في سنوات الحرب، عندما كان يقرأ الكثيرون هذه المنشورات على الجبهة، لم يكونوا يصدقون، أنه سلّم نفسه طوعاً.

إليكم ما قالته إحدى المحاربات، التي شاركت في القتال في الحرب الوطنية العظمى: أظن أن هذه الإشاعات، لم تكن تخص فقط مصير ياكوف جوغاشفيلي، وكل من استشهد في الأسر. لم يكن ياكوف قائداً من قادة الجيش السوفييتي فحسب، بل وكان إنساناً، يحمل على كاهله عبء مجد أبيه الثقيل.

نسجت عن أسر ياكوف ومصيره المستقبلي،الكثير من القصص الخيالية والأساطير القريبة من الواقع على الجبهة. أذكر لكم إحدى هذه الأساطير الواقعية، التي أصدقها أنا شخصياً: في عام ١٩٤٢م شاركت فرقتنا في القتال في المعارك، التي دارت عند ستالينغراد. كان الألمان يستخدمون كافة القوى والوسائل لكسر مقاومتنا. كانوا يرمون بالمنشورات التي تدعو جنودنا للاستسلام للأسر، واستخدموا أيضاً وسائط البث الإذاعي.

رأيت بنفسي على إحدى المنشورات صورة ياكوف محاطاً بالضباط الألمان، ويبتسم ابتسامة مرهقة ومعذبة. لم يوفر الفاشيون المنشورات. لذا، قرأ الكثير هذه المنشورات بسخط وامتعاض. دارت الكثير من الأحاديث، وإليكم أحدها حرفياً! في لحظات الهدوء، جلس قرب شجيرات التوت البري قرب النقطة الصحية بعض الجنود، وكانوا يتحدثون عن ياكوف. أنا لم أصغ إلى الحديث، لكن صرخة الاستطلاعي كاتامادزي لفتت انتباهي: "ها! ياشكا يسلّم نفسه للأسر؟!! . هراء. لقد كان يلاحق ياشكا أفضل الجواسيس الألمان! وكان بجانبه خائن بكل تأكيد. ذات مرة ضربوه، وأفقدوه وعيه، وسحبوه، لكن أصدقاءه أنجدوه. بعد ذلك أصبح ياكوف منغلقاً على نفسه ومرتاباً، وابتعد عن الناس، وهذا ما قضى عليه. لكي يشوهوا سمعة ستالين، ضربوا ياشا وأفقدوه وعيه وخطفوه".

سأل أحدهم: "من أين تعرف هذا؟" فأجاب كاتامادزي: "صديقي أخبرني".

سمعت مثل هذا الافتراض الواقعي عن أسر ياكوف جوغاشفيلي عدة مرات. إذا قارنا الوقائع، نأتي إلى نتيجة، أن أسر ياكوف جوغاشفيلي، كان بالقوة وأساسه الخيانة. كان المحاربون الجورجيون كثيرين جداً... إذا لم تكن خيانة، فمن أين عرف الألمان الفاشيون، أن ذلك هو ياكوف جوغاشفيلي، ابن ستالين؟ إن الأدباء والصحفيين يهملون بكل أسف مذكرات المحاربين القدماء.

أحياناً، تفتح حادثة بسيطة على الجبهة أمامنا صورة الحرب، وثبات وشجاعة المقاتلين. اتصل بالمحاربين القدماء، فقد تجد إنساناً، يعرف حقيقة اسر ياكوف جوغاشفيلي دون مزاودات أو مبالغات.

« الممرضة العسكرية قديماً كوفاليوفا ليديا نيكيتيتشنا، مدينة موسكو».

إليكم ما كتب في وثيقة أخرى كتبها شاهد عيان، محارب قديم من محاربي الحرب الوطنية العظمى، ي.د.دوبوفي: "أنا لست شاهداً على تلك الأحداث فحسب، بل ومشاركاً بها مشاركة مباشرة.

إليكم كل شيء بالتسلسل: كنت أخدم قائداً لجماعة الإشارة في بطارية المدفعية الخامسة التابعة لفوج مدفعية هاوتزر الرابع عشر، التابع للفرقة المدرعة الرابعة عشرة. لقد عرفنا أن ابن ستالين سيصبح قائداً للبطارية السادسة من هذا الفوج قبيل الحرب فقط.

عندما بدأت الحرب، مضت عدة أيام في البداية على التسليح وتسليم المهمات للفوج. بعد ذلك تحرك الفوج على طريق سمولنيسك باتجاه الغرب.

في منطقة محطة ليوزنو، أمرونا بأخذ مواقعنا، ومكثنا هناك عدة أيام.

في الرابع من تموز عام ١٩٤١م، تحركنا من جديد نحو الغرب، وقطعنا مدينة فيتيبسك، وأخذنا مواقع إلى الغرب من هذه المدينة، وعلى ما أعتقد كانت هذه المواقع على الضفاف الشرقية لنهر دفينا الغربي. هنا في الخامس من تموز، ولأول مرة دخلنا المعركة.

كان هناك مركز مراقبة واستطلاع واحد لكل الفرقة، وفيه كان قائد الفرقة وقادة البطاريات الرابعة والخامسة والسادسة، وكذلك عناصر الاستطلاع والإشارة. بما أني كنت قائد حماعة

إشارة البطارية الخامسة، كنت هناك أيضاً مع بعض عناصر الإشارة، وكان معنا جهاز اتصال نوع ٦ . ب ك. وكان هناك بالطبع ياكوف جوغاشفيلي. حاولت فرقتنا مدة ثلاثة أيام: ٥ ، ٦ ٧ تموز إخراج الألمان من مواقعهم التي احتلوها، لكن غياب المساعدة والمؤازرة الجوية، لم يسمح لنا بتحقيق النجاح، وكنا نعود في كل مرة إلى مواقعنا الأولية خائبين.

كانت الاتصالات السلكية بين مركز المراقبة والمواقع الهجومية المتقدمة للفرقة، تنقطع بين حين وآخر نتيجة لقنابل المدفعية المتساقطة. حينها لم نضطر لإعطاء الأوامر بإطلاق النار عن طريق الاتصالات السلكية.

في نهاية يوم السابع من تموز، لم يعد جهاز الاتصال المسجل باسمي يعمل، وكان لابد من نقله إلى ورشة تصليح الفرقة. في هذا الوقت، جاء أمر بإنشاء مخابئ عسكرية عند مركز المراقبة.

جرت أعمال حفر الخنادق طول الليل، وكذلك أعمال تحطيب الأخشاب من الغابة القريبة ونقلها إلى مركز المراقبة. خلال ذلك، لم يبق في مركز المراقبة، من المحاربين الحمر والقادة الصغار، إلاّ من كان يقوم بأعمال الحفريات ونقل الحطب دورياً، ولم نضع حراساً للمراقبة. وكنت أنا أيضاً أشارك في نقل الأخشاب إلى مركز المراقبة.

لم نر من حلكة الظلمة، حتى وجوه من كانوا في المركز، بل إنه لم يكن هناك وقت لذلك كنا نستعجل في بناء المخابئ.

عند حلول فجر يوم الثامن من تموز، كانت المخابئ مبنية جاهزة، واستأذنت أنا قائد الفصيلة مع اثنين من عناصر الإشارة، ونقلنا جهاز الاتصال إلى ورشة إصلاح الفرقة. كان الطريق إلى هناك يمر من جانب المواقع الهجومية المتقدمة، وهناك عرضوا علينا تناول طعام الإفطار . انتهينا من الإفطار، عندما أخذت المدفعية الألمانية، تقصف مواقعنا المتقدمة. أخذوا يسحبون الأسلحة بالقاطرات من تحت القصف.اتجهت أنا مع عناصري والجهاز إلى الطريق، وفجأة التقينا سيارة كانت تحمل كلَّ من كان في مركز المراقبة، ولم يكن بينهم الملازم الأول ياكوف جوغاشفيلي.

اتضح، أنه جاء أمر بنقل فرقتنا صباح الثامن من تموز، لمسافة عدة عشرات الكيلو مترات جنوباً. لماذا إذاً كنا نبني المخابئ ليلاً؟ لم يعرقل الألمان حركتنا عندها، ولم تقم سوى طائرة الاستطلاع "راما" بالتحليق فوقنا. بعد ذلك مباشرة، بدأ التراجع على الخط الشرقي. تراجع الفوج بكامل عدته وعتاده، ولم يحاصر لاهو ولا البطارية السادسة. أما ما يخص أمر أسر

الملازم أول ياكوف جوغاشفيلي، فلم أعرف إلاّ فيما بعد من المشورات الألمانية. لكن، كيف وقع في الأسر؟!

إذا حللنا ما ذكر آنفاً، نأتي إلى نتيجة، أن ذلك قد حدث في الليل ما بين السابع والثامن من تموز، أثناء بناء المخابئ في مركز المراقبة. ظلام حالك، وحركة مستمرة، وعدد الناس في مركز المراقبة قليل. كما أنه لم يكن هناك حراس، وهذا ما استفادت منه عناصر الاستطلاع الألمانية.

لقد حفظت بذاكرتي تاريخ أول معركة لي، والتي هي أول معركة لبطارية ياكوف جوغاشفيلي، طول العمر، تماماً كما حفظت تاريخ آخر معركة لي، يوم الثاني من أيار عام ١٩٤٥ في مدينة برلين.

من المحتمل جداً، أن قيادة الفوج والفرقة، قد زورت في المعلومات الوثائقية قليلاً عن قصد، كي تتهّرب من المسؤولية".

هناك وثيقة أخرى، تخص أسر ياكوف جوغاشفيلي، وتتحدث عن العملية التي نفذتها قوات التجسس والاستطلاع الألمانية: "في تموز عام ١٩٤١م، كنت أخدم بشكل مباشر تحت قيادة الملازم أول ياكوف جوغاشفيلي. بأمر من القيادة، وضعت فصيلتنا المدرعة، المكونة من آليات نوع "ب أ . ٦"، التابعة للفوج المدرع السادس والعشرين، في حماية ميدانية للفوج المدرع الرابع عشر، المشكّل من مدفعية هاوتزر. جاءنا أمر كالتالي: في حال اختراق الألمان، ووجود خطر حقيقي، يجب إخراج قائد البطارية ياكوف جوغاشفيلي من ميدان المعركة. لكن ما حصل، أنه خلال فترة التجهيزات لإخراجه من المعركة، جاءه أمر بالحضور مباشرة إلى مقر قيادة الفرقة، وعندما نفذ الأمر، تبين أن المساعد الذي كان معه قد قتل، وياكوف لم يعد من هناك. نحن قررنا آنذاك، أن تلك كانت عملية منظمة. لقد كان هناك أمر بالتراجع، وعلى ما يبدو، لم يكن هناك أحد في مقر قيادة الفرقة. عندما وصلنا إلى طوف كاتين لاقتنا فرقة المهمات الخاصة. لقد حققوا معنا نحن الثلاثة عدة مرات، أقصد هنا: قائد الفصيلة النارية الأولى ومراسل ياكوف جوغاشفيلي وأنا قائد فصيلة الحماية الميدانية المدرعة. كيف حدث أن خرجت البطارية والفصيلة، أما ياكوف جوغاشفيلي فغدا أسيراً؟ كان الرائد، الذي يحقق معنا، يقول دائماً: "سنضطر لقطع رأس أحدكم". لكن لحسن الحظ، أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد".

تم رمي المنشورات مع صور ياكوف جوغاشفيلي في مؤخرة القوات السوفييتية، وقد تركت هذه المنشورات، على ما يبدو، نوعين من الانطباعات. لقد كان لهذه الانطباعات طبعاً تأثير محدد، لكن ليس دائماً وليس على كل الناس، حتى أن محتواها في بعض الأحيان، كان يبعث على الكثير من الريبة عند الجنود الحمر. يقول عن ذلك في رسالته شاهد العيان أ.ف.ماسلوف، والذي يسكن الآن في مدينة يلابوغ التابعة لجمهورية تاتاريا المستقلة ذاتياً: "خلال تراجعنا الدوري ذات مرة، وذلك في نهاية آب أو بداية ايلول تقريباً، في عام ١٩٤١م، وفي منطقة جبال بوشكين في نوفورجيف، اجتمعت مجموعة من المقاتلين ونحن معهم. ثلاثة ضباط شباب. جرى الحديث عن تراجع الجيش الأحمر، والأراضي التي تركناها خلفنا. كنا نسأل بتألم بعضنا البعض: ماذا حدث؟ لماذا نتراجع؟ نقاتل بقوى قليلة، أين جيشنا؟ لماذا نقلت الوحدات العسكرية المرابطة بجانبنا فجأة إلى الشرق، وتركتنا نحن المنهوكين المنتهين؟... وإلى ما هنالك من الأسئلة. وصلنا إلى نتيجة، أن جيشنا، يجمع قواه، لدحر العدو في معركة حاسمة. لابد من بعض الوقت. من المميز، أنه لم يتحدث أحد عن هزيمتنا.

أخرج أحد الجنود الذي قد ائتمننا على ما يبدو، منشوراً ألمانياً عن ياكوف جوغاشفيلي (كان التقاط مثل هذه المناشير وحفظها في ذلك الوقت، أمراً لا يخلو من الخطر). تناولت المنشور بيدي مباشرة. كنت في ذلك الحين ملازم قائد دبابة وعمري /٢٢/ عاماً. كان في أعلى المنشور صورة تبدو كالتالي: جلس على الكرسي، أو على الأصح، استلقى على الكرسي رجل، يلبس بذلتنا العسكرية، دون أية علامات فارقة على كتفيه، ورأسه قد تدلى عن ظهر الكرسي باتجاه اليسار، ووجهه كان يبدو بلا حياة.

كان نص المنشور كالتالي تقريباً: انظروا من هذا. إنه ياكوف جوغاشفيلي، ابن ستالين. انظروا من استسلم لنا من الناس، وأنتم المجانين تقاتلون!. بعد ذلك تأتي دعوة للاستسلام. على الجهة الثانية من المنشور، هناك معلومات عن خساراتنا، أذهلتنا جميعاً. كان كل شيء بالنسبة لنا جديداً، وهذا ما جعلنا نجمد في أماكننا بشكل طبيعي.

أول من استفاق من ذهوله، كان الملازم الأول المدفعي، قال مهتاجاً إنه يعرف ياكوف جوغاشفيلي وخدم معه. قال لنا، أن مثل هؤلاء الناس، لا يستسلمون للأسر، وهو من أكبر الرجال الوطنيين في وطننا: " لا أصدق أنا الألمان. الأصح أن يكون الألمان قد وجدوه ميتاً، فأجلسوه على الكرسي وصوروه. انظروا إليه، إنه غير حي، إنه ميت، الأمر واضح".

وأنا عبرت عن رأيي بالمنشور، وقلت أنه مليء بالأخطاء، ويا لأمية الشخص الذي كتبه.

ألم يجد الألمان يا ترى خائناً فهيماً بين مجموعة الأسرى، لكي يكتبوا المنشور بشكل صحيح. أظن أن شيئاً ما هنا غير صحيح، فالألمان يريدون تضليلنا، وها هم يكتبون مثل هذه التفاهات. كان مثل هذا المنشور أيضاً عند جندي آخر، أخرجه ومزقه مباشرة ورماه.

لم يكن لدي الشجاعة، كي أكذب المدفعي. قد يكون الملازم أول على معرفة بياكوف جوغاشفيلي "بالسمع"، لكنه أبدى صرامة وحزماً في التأكيد، لأنه كان يؤمن بانتصار قضيتنا، ولم يرد أن يظهر بجانبه، من يملك أدنى شك بذلك، وقد كان مثل هؤلاء".

في نفس الوقت، استمرت المنشورات التي ترسم صور جوغاشفيلي، بالصدور والتساقط فوق جنودنا، وقد ظهر منشور ثالث إضافة إلى المنشورين الأولين، وقد رسم عليه بشكل واضح صورة ياكوف، وهو يقف بمعطفه العسكري المفتوح الياقة، وهو يفكر.

ما يدهش، أنه لم تكن هناك صورة، ينظر فيها جوغاشفيلي إلى العدسة. يبدو أن كل الصور قد أخذت من مكانٍ مخفي.

في خريف عام ١٩٤١م نفذت محاولة أخرى، لاستخلاص أكبر رأس مال سياسي من أسير عسكري غير عادي آخر.

نُقِلَ ياكوف إلى برلين، ووضعوه تحت تصرف قوات هيبلس شخصياً، تاركين مراقبته على عاتق الغستابو، وأسكنوه فندقاً فاخراً يسمى "أولون" وأحاطوه بمعارضي الثورة الجورجيين السابقين. على كل حال، كان ذاك مخططاً منفذاً بدقة، يرتبط بمحاولة التأثير على الأسير عن طريق جعلهيحسّ بالفروق ما بين معسكرات الاعتقال وحياة الفنادق الفاخرة، مع عرض الأفلام المستمر عن هزائم الجيش الأحمر.

هنا بالذات، أخذت صورة ياكوف جوغاشفيلي مع غيورغي سكريابين، الذي كان كما قالوا ابن رئيس مجلس الوزراء السوفييتي آنذاك فياتشيسلاف مولوتوف. أخذت الصورة مع خلفية مصورة لفصل الخريف، وكان الاثنان في البذلات والمعاطف دون أحزمة، وأيدهما في الجيوب. كان سكريابين ينظر إلى الجانب، وكان ياكوف ينظر في الأرض. كان الاثنان يملكان وجهين جديين متجهين بتركز تجاه شيء ما. أُرِّخَتْ الصورة بتاريخ ٢٥ /تشرين الثاني/ ١٩٤١م، وأرفقت بنص: "انظروا إليهما! هؤلاء هما رفيقاكم البارحة، اللذان رأيا أن المقاومة لا تجدي، واستسلما للأسر. إنهما ولدا ستالين ومولوتوف! هما الآن في الأسر عند الألمان. حيّان صحيحان يأكلان ويشربان بشكل جيد. أيها المقاتلون، أيها القادة! اتبعوا مثال وَلَدَيْ ستالين

ومولوتوف! وستتأكدون بأنفسكم، أن هناك حياة جديدة، أفضل من الحياة التي يجبركم قادتكم أن تعيشوها".

لماذا جمع الهتلريون جوغاشفيلي وسكريابين معاً؟ ليس لدينا معطيات موضوعية عن ذلك، ويبدو أنهم كانوا يظنون، أنهم سيقنعون بذلك الجنود الحمر على الاستسلام أكثر، وعلى ترك قناعاتهم ومبادئهم، وجذبهم لجانبهم. لكن الفاشيين أخفقوا بذلك.

في بداية عام ١٩٤٢م، نقل جوغاشفيلي إلى معسكر اعتقال الضابط "أوفلاغ ١٣ . د" الواقع في هاملبورغ. هنا أراد الهتلريون، أن يكسروا نفسيته بتعذيبه جسدياً وقطع الطعام عنه. لكنهم لم يأخذوا شيئاً من ذلك.

إليكم ما كتب في رسالته المندوب الصحفي الاسترالي السابق، والذي أصبح يملك بعد الحرب صحيفة صغيرة تسمى "كييس هوبر": "من كييس هوبر، فوروينديزي، ٨٠ ، فوردسفورت أفينيو، ويلز.

/٢٢/آب/١٩٤٥م.

صديقي السوفييتي العزيز!

إن كتابة هذه الرسالة لكم، تعطيني إحساساً، بأنني أرد حصة صغيرة من دين البريطانيين للأمة الروسية. اسمحوا لي أولاً أن أقدم نفسي: أنا استرالي، وعمري /٢٤/ عاماً، كما أني جندي لأنني في بداية الحرب، كنت أخدم في المشاة في الجيش الاسترالي. لا أدري، إن كنتم تعلمون، أن الجنود والبحارة والطيارين الاستراليين (حوالي مليون شخص من سكان استراليا البالغ عددهم سبعة ملايين) هم متطوعون. انطلقت من بيتي في نيسان عام ١٩٤٠م. وتوجهنا إلى فرنسا، لكن بما أنه كان هناك خطر دخول الإيطاليين للقتال ضدنا،فقد أرسلونا بدلاً من ذلك إلى فلسطين ومنها إلى مصر، حيث هزمنا هناك الايطاليين في أول لقاء معهم عند بردية ما بين الثالث والخامس من كانون الثاني عام ١٩٤١ م. كانت تلك أول عملية حربية للجيوش الاسترالية. (كانوا يسموننا "يغبيرس" نسبة لقبعاتنا ذات الحواف الطويلة) منذ اختراقهم، خلال الحرب العالمية الأولى، لخط غيندينبورغ في فرنسا، حيث كانوا آنذاك في طليعة القوات البريطانية المقاتلة: في أول يوم قتال لي، ترفعت إلى رتبة سرجنت (رقيب)، وبعد بردية أخذنا طبرق (التي لم تسلّم للألمان، طالما كانت القوات الاسترالية تدافع عنها، بالرغم من أنها كانت محاصرة لمدة عشرة أشهر)، بعد ذلك انتقلنا إلى درنة وبرص وبنغازي وصولوتش وأجيدابيه.

في أيار عام ١٩٤١، استُبْدِلت فرقتنا بفرقة استرالية أخرى، واتجهت إلى اليونان. أظنكم سمعتم عن المعارك الطاحنة، التي دارت، عندما كنا نتراجع ونحن نقاتل باتجاه البحر الأبيض المتوسط وحتى كريت، حيث قاتلنا هناك اثني عشر يوماً مع الهونيين، بالرغم من أننا لم نتلق أية مساعدة من الجو، وأية مؤونات إضافية، وقتلنا من العدو /٢٠٠٠٠/ فرد، حتى هزمنا في النهاية.

في النهاية أسروني، وأخذوني إلى ألمانيا، حيث أمضيت هناك أربعة أعوام في معسكرات الاعتقال. وقعت مرتين في الفصائل المميزة مع الشباب الروس، لقد كنا أصدقاء حميمين. تم اعتقال معظم رفاقنا عند خاركوف، وبعضهم كان يتقن اللغة الانكليزية. أما نحن، فبالرغم من أننا لم نتقن اللغة الروسية، إلاّ أننا كنا نتكلم باللغة الألمانية المكسرة. صادقت شباباً من دنيبروبتروفسك، وستالين وفورونيج وسيفاستوبل وموسكو وفيازما. كنا في المعسكرات المميزة، ليس كغيرنا في معسكرات العمل، نحصل على طرود بريدية من منظمة الصليب الأحمر، مرة واحدة كل شهر، وكنا نتقاسم هذه الطرود مع رفاقنا الروس، ولكي يردوا لنا الجميل، كانوا يرقصون لنا في الليالي الرقصات الروسية، ويغنون لنا الأغاني الروسية، وكنا نرقص معهم، حتى تفتل رؤوسنا، ونسقط من الإرهاق.

بالرغم من قساوة الظروف التي كنا نعيشها وصعوبتها، كنا كلنا أحياناً نمرح ونفرج عن همومنا. لكن كانت هناك أوقات تمر علينا، نتألم كثيراً فيها لأجل رفاقنا الروس الذين كانوا يهلكون أحياناً على مجموعات مؤلفة من ٤٠، ٥٠، ٦٠ شخصاً في اليوم من الجوع والمعاملة القاسية، ويبقون دون دفن. لقد ازددنا قساوة لرؤية هذا، حتى إنّنا كنا قادرين على قتل الأعداء بيدين عاريتين. أنا أذكر، أن ابن ستالين الأكبر. ياكوف، كان معنا، أجبره الألمان على تنفيذ مختلف الأعمال الصعبة والقاسية. أريد أن أعرف، إن كان مازال حياً، ويذكر الأستراليين في معسكر ١٣. د هاملبورغ، بالقرب من سفينفورت في بافاريا..".

للأسف، إنّ ياكوف جوغاشفيلي، لن يستطيع الإجابة أبداً لطلب كييس هوبر.

في بداية نيسان عام ١٩٤٢ نقل جوغاشفيلي إلى معسكر "أوفلاغ خ.س" في ليوبيك، الذي كان يضم أكثر الضباط خطورة على الرايخ والخارجين من مختلف الدول، وكان بينهم ألفا ضابطٍ ومئتا جندي بولوني. كان بجوار ياكوف النقيب الحربي الأسير ريني بلوم. ابن رئيس مجلس وزراء فرنسا آنذاك ليون بلوم.

بموجب أمر خاص، ألقيت على عاتق قومندان المعسكر المقدم فون فاخموستر، مسؤولية شخصية خاصة تُجاه الأسير السوفييتي. لم يسمح لياكوف جوغاشفيلي، أن يحصل على طرود غذائية، ولم يستطع الحصول حتى على الرسائل التي كانت مسموحة للمعتقلين البولونيين والفرنسيين والإنكليزيين، والذين كانوا يحصلون أيضاً على كفايتهم من النقود. لكن اجتماع الضباط البولونيين خرج بقرار ينص على تخصيص حصة من الطرود البريدية الشهرية لياكوف.

أعتقد أنه من حقنا أن نفترض، أنه قد بدأت في هذا الوقت مرحلة جديدة، من تكثيف العمل ضد جوغاشفيلي. أصبحت وسيلة الضغط الأساسية على ياكوف المنشورات والصحف التي طبعت عليها شهادات مزورة عن لسان ياكوف. يشهد بذلك الملازم البولوني السابق ماريان فينتسليفيتش : "في الرابع من أيار عام ١٩٤٢ قاد ثلاثة من الحراس المسلحين برئاسة ضابط برتبة نقيب، إلى مهجعنا أسيراً في بذلة عسكرية سوفييتية. كان ذلك الملازم أول جوغاشفيلي، الذي عينت عليه حراسة خاصة. لقد عرفناه مباشرة: كان دون غطاء رأس، أسود الشعر، تماماً كما هو فيالصورة، التي طبعتها الصحيفة الفاشية... تسنى لي أن ألتقي بياكوف عدة مرات عيناً بعين، وقد حدثني، أنه لم يصرح للألمان أبداً بأي تصريح، وطلب مني أنه إذا قُدر له، ألا يرى وطنه بعد ذلك، أن أبلغ والده، أنه بقي مخلصاً لشرفه العسكري دائماً، وكل ما لفقته وكتبته وسائل الدعاية الفاشية . كذب واحتيال".

حُفِظَت شهادة شاهد عيان آخر أيضاً، كان نقيباً حربياً بولونياً أسيراً، وهو ألكساندر سالاتسكي. "خلال فترة مكوثه بليوبيك، تقرب جوغاشفيلي كثيراً من البولونيين وصادقهم. كان من أصدقائه المقربين: الملازم كورداني، الذي كان يتكلم الروسية بطلاقة، والملازم فينتسيليفيتش، والملازم ميلوفسكي. كنا نتحدث بمواضيع مختلفة، ونلعب بورق الشدة وبالشطرنج...

عندما كان يتحدث عن معاناته المأساوية، كان يؤكد، أنه لن يخون وطنه أبداً، وأن تصريح وسائل الإعلام الألمانية، كذب علني واضح. إنه يؤمن بالنصر المؤكد للاتحاد السوفييتي". بعد ذلك بقليل، حاولت مجموعة من الضباط البولونيين مع جوغاشفيلي الهروب من المعسكر، لكنهم فشلوا، ونقل ياكوف في هذه المرة إلى معسكر الموت زاكسينخاوزن، ووضع في قسم، يوضع فيه عادة أقرباء الشخصيات القيادية الهامة في دول الحلفاء المتحاربة مع دول المحور.

كان المعسكر أصعب معسكر للأسرى بين كل معسكرات الاعتقال، وقد هلك بين جدرانه

مئة ألف من المواطنين السوفييت. يبدو أنهم أرادوا الضغط على مشاعر وأحاسيس القيادة السوفييتية العليا، لكي تتوجه بطلب للقيادة الهتلرية، كي تعيد لها الابن الأسير.

انتهت معركة ستالينغراد مأساوياً بالنسبة للألمان. هل عرف هتلر بشأن جوغاشفيلي الأسير؟ بكل تأكيد، عرف! تقول الأحداث، إنَّ ياكوف شغل مكاناً خاصاً في مخطط تصفية حساباته مع الناس الذين أراد أن يلقي على عاتقهم مسؤولية الهزيمة. يبدو أن هتلر كان يأمل بمبادلة ياكوف مع المشير المارشال فريدريك باولس، الذي شارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهو أحد أهم مصممي مخطط "بارباروس"، وقائد القوات الذي أعطى عند ستالينغراد أمراً بوقف المقاومة والاستسلام للأسر. هل كان يمكن لستالين أن يصادق على هذه المبادلة؟ هل تشاور مع أحد بهذا الخصوص، أم اتخذ قراراً لنفسه بنفسه؟ تصعب اليوم الإجابة عن هذا السؤال. يقول التصريح الرسمي الذي نقله رئيس منظمة الصليب الأحمر السويدية الكونت برنادوت، مايلي: "لا أبدل جندياً بمارشالٌ".

لم يكن مثل هذا القرار أمراً بالإعدام بحق الملازم أول ياكوف جوغاشفيلي فحسب، لابل وبحق كل الجنود السوفييت الآخرين الذين كانوا خلف جدران المعتقلات الهتلرية.

حفظت حتى يومنا هذا وثيقة رسمية في الأرشيف، عن مذكرات معسكر زاكسينخاوزن، كان قد تركها المعتقلون: "كان ياكوف جوغاشفيلي، يحس دائماً بعدم وجود مخرج له، وكثيراً ما كان يسقط في نوبة إنهاك عصبي، ويمتنع عن الطعام، وكان يؤثر عليهم كثيراً تصريح ستالين، الذي كان الألمان يبثونه عبر راديو المعسكر، والذي يقول: "ليس هناك أسرى حرب، انما هناك خونة للوطن". من المحتمل، أن يكون هذا التصريح، هو الذي دفعه لتلك الخطوة الجنونية: مساء الرابع عشر من نيسان عام ١٩٤٣م، امتنع ياكوف عن الدخول إلى المهجع، وركض إلى المنطقة الميتة، فأطلق الحراس النار، واستشهد ياكوف مباشرة. عندها رميت الجثة على السياج الشائك المكهرب بتوتر عالٍ. "محاولة هروب". هكذا قالت إدارة المعسكر، وقد حرقت جثة ياكوف جوغاشفيلي في محرقة المعسكر..".

هل يعطي النص المنقول آنفاً الجواب عن كل الأسئلة المطروحة؟ لماذا امتنع ياكوف جوغاشفيلي عن الدخول إلى المهجع؟ لماذا فضل الموت من طلقة حارس؟ من كان غيره في المهجع في ذاك الحين؟ هل عرفوا بهذه الحادثة في الوطن؟ لنعد إلى وثائق أخرى...

إليكم مذكرات الضابط س.س.هارفيخ عن موت ياكوف، وقد كان الضابط مناوباً في

ذاك اليوم: "مرجوغاشفيلي مس الشريط، وأصبح ضمن الحزام الوسطي المعتدل، ثم وضع قدمه على حزام الشريط الشائك، وأمسك بيده العازل بنفس الوقت، ثم تركه وأمسك بسلك الكهرباء. وقف لحظة دون حراك، وقدمه اليمنى مردودة للخلف، وصدره باتجاه الأمام، وصرخ: "أيها الحارس! أنت جندي، لا تكن جباناً، أطلق النار علي!".

أطلق هارفيح رصاصة من مسدسه، فأصاب رأس جوغاشفيلي على مسافة أربعة سنتمترات من الأذن اليمنى. مات ياكوف مباشرة".

هناك الكثير من الأمور، توضحها مذكرات الأسير القديم الكساندر سالاتسكي، التي نشرت في العدد الأول من "الاستطلاع التاريخي الحربي - فوينو - إيستوريتشسكوي أوبوزرينيا" لعام ١٩٨١ في وارسو: "كان في المهجع، عدا ياكوف وفاسيلي كوكورين أربعة ضباط انكليز، هم: وليام ميرفي، إندريوولش، باتريك أوبراين وكوشينغ، وكانت العلاقات بين الروس والإنكليز متوترة جداً.

حسب رأي الروس، كانت وقفة الإنكليز مع شد القامة، أمام الألمان، في وضعية الاستعداد، إهانة كبيرة وعلامة جبن، وهذا ما كان يُفْهِمُ الروس للإنكليز. أما بالنسبة للإنكليز، فإن امتناع الروس عن تقديم التحية للضباط الألمان، ومخالفة التعليمات والمجابهة العلنية، أوقعت الجميع بالكثير من المتاعب. كان الإنكليز يسخرون دائماً من الروس، ويعتبرونهم أمة ذات عيوب قومية كثيرة، وكان كل هذا يزرع الخصام والنزاع بينهم.

احتدت العلاقات كثيراً، وفي يوم الأربعاء، الرابع عشر من نيسان عام ١٩٤٣م، بعد الغداء، حدث نزاع حاد، تطور إلى قتال. تهجم كوشينغ على ياكوف واتهمه بعدم صفاء ونقاء الأصل، عندها تدخل باقي المعتقلين في النزاع. وقف أوبراين وشتم كوكورين بقوله "خنزير بلشفي". شتم كوشينغ ياكوف أيضاً وضربه بقبضته على وجهه، وهذا ما لم يستطع ياكوف تحمله، وكانت هذه الحادثة نقطة الأوج في مكوثه بالأسر.

نحن نستطيع تفهم ياكوف. من جهة هو ابن ستالين، الذي كان دائماً يقاوم، بالرغم من العقوبات، ومن جهة أخرى، هو أسير معتقل، كان اسمه يستخدم للتزييف والدعاية القوية، وهذا ما كان يمكن أن ينتظره حتى بعد خروجه من الأسر.

في المساء، امتنع عن الدخول إلى المهجع، وطلب القومندان. وعندما تلقى الرفض، صرخ: "أعدموني! أعدموني!". وفجأه انطلق باتجاه السياج الشائك وارتمى عليه. عندها اشتغل نظام الإنذار، واشتعلت كافة المصابيح في أبراج الحراسة..."

لقد أخفى الهتلريون خبر موت ياكوف جوغاشفيلي، ولم يتوقفوا، حتى بعد مماته، عن ترويج الدعايات باسمه، واستخدام صوره للتزييف والكذب. ربما، لأنهم خافوا من معاملة مشابهة بحق الأسرى الألمان من قبل الجانب السوفييتي.

بعد استسلام ألمانيا الفاشية، وقعت الكثير من الوثائق المتعلقة بأسر ياكوف جوغاشفيلي بيد المجموعة الإنكليزية الأمريكية التي فتحت الأراشيف الألمانية، وقد بقيت تلك الوثائق بعيدة عن متناول العامة سنوات طويلة.

هل قاموا بمحاولات، لاستخدام شخص ياكوف جوغاشفيلي، لمصلحتهم الشخصية؟ حتى بعد الحرب، كانت هناك قصص كثيرة عن ياكوف.

أظن أن رسالة موظف الخارجية البريطانية مايكل واينين، لزميله الأمريكي في الولايات المتحدة، والمؤرخة بتاريخ ٢٧/تموز/١٩٤٥ لم تعط الإجابة عن كافة الأسئلة المطروحة. تقول الرسالة: "رأينا، أن لا نخبر المارشال ستالين بهذا الأمر. ستكون العلاقات سيئة بكل تأكيد، لو أننا لفتنا الاهتمام، إلى أن سبب موت ابنه، كان أساسه خصاماً إنكليزياً . روسياً".

شاركت في إخفاء المعلومات أيضاً الجهات الأمريكية الرسمية.

إذا نظرنا إلى القضية رقم /ت . ١٧٦/ المحفوظة في قسم الوثائق الأجنبية المحتلة التابعة لأرشيف الولايات المتحدة الوطني، فإننا سنجد فيها بعض الوثائق، التي لا تخلو من الأهمية: "واشنطن. ٣٠/حزيران/ ١٩٤٥ الساعة الثانية بعد الظهر. برقية من القائم بأعمال السكرتير الحكومي للولايات المتحدة غريو إلى سفير الولايات المتحدة في الاتحاد السوفييتي غاريمان: توجد في ألمانيا اليوم، مجموعة موحدة مؤلفة من خبراء المكتب الحكومي وخبراء وزارة الخارجية البريطانية، تقوم بدراسة الوثائق الألمانية الرسمية الهامة، الخاصة بكيفية إعدام ابن ستالين، الذي حاول الهرب من معسكر الاعتقال. وجدت المجموعة بهذا الصدد مايلي: رسالة هملر إلى ريبينتروب فيما يتعلق بهذا الأمر، وصوراً، وبعض الصفحات الوثائقية. طلبت وزارة الخارجية البريطانية من الحكومتين الأمريكية والإنكليزية، أن تنقل الوثائق الأصلية تلك إلى ستالين، ولتنفيذ هذا الأمر، يتم تكليف السفير البريطاني في الاتحاد السوفييتي كلارك كير، أن يعلم مولوتوف بهذه الوثائق، ويطلب منه النصيحة بخصوص كيفية نقل هذه الوثائق إلى ستالين بالشكل الأمثل. يمكن لكلارك كير، أن يعلن أن هذا الأمر هو عمل أمريكي . انكليزي مشترك، وتقديمه باسم الوزارة البريطانية والسفارة الأمريكية. إلاّ أن هناك رأياً، في ألا تقدم

الوثائق باسم سفارتنا، وإنما باسم المكتب الحكومي. يفضل معرفة قرار السفارة حول طريقة تقديم الوثائق لستالين في المكتب الحكومي. تستطيعون مقابلة مولوتوف، إذا رأيتم في ذلك نفعاً. اعملوا بالتعاون مع كلارك كير على أن تكون مثل هذه الوثائق لديه.

غريو

لكن بعد ثلاثة أسابيع تلقى السفير الأمريكي في موسكو تعليمات بعدم نقل المعلومات. في الخامس من تموز عام ١٩٤٥م، أرسلت الوثائق الألمانية إلى واشنطن.

بعد ما كشف على الوثائق في عام ١٩٦٨م، ارفقت مع القضية ملاحظة تقول: "بعد الدراسة الدقيقة والمطولة لهذه القضية ومحتواها، اقترحت وزارة الخارجية البريطانية العدول عن الفكرة الأولى بإعطاء الوثائق، لأنها كانت ستحزن ستالين بمضمونها السيء. لم يخبروا بذلك الشخصيات القيادية السوفييتية، وبلّغ المكتب الحكومي السفير غاريمان ببرقية مؤرخة في ٢٣/ آب/١٩٤٥م، أن الجانبين وصلا إلى اتفاق بعدم نقل الوثائق إلى ستالين".

إن صيغة المسألة بهذا الشكل، أخفت عن البشرية ولعشرات السنين مصير واحد من ملايين الأسرى السوفييت، الذي استشهد بعيداً عن وطنه. تجبرنا لا أخلاقية أولئك الناس الذين وقعت في أيديهم معلومات وثائقية عن مصائر الملايين من الأسرى عدا جوغاشفيلي، أن نقف مطولاً لنراجع حساباتنا، ونفكر بالكثير من جديد.

لم تنقل الوثائق بالفعل، لكن دراسة المواد، تسمح لنا ان نستنتج، أن ستالين شخصياً عرف بمصير ابنه. يمكننا أن نعتقد أنه قد حصل على هذه المعلومات بالطرق الاستطلاعية أو الدبلوماسية. تشهد بذلك مذكرات س.ي.أليلوييفا "عشرون رسالة لصديق"، والبرقية التي أرسلت لستالين من الإدارة السوفييتية في ألمانيا، تنبئه أن هناك أسير حرب ألمانياً معارضاً للفاشية، يعرف مكان دفن ياكوف. بالمناسبة لم يتطابق اسم المكان المذكور مع أماكن الحفر، ولم يرد ستالين على البرقية.

فاسيلي

مضت طفولة فاسيلي المبكرة في البيت الصيفي "زوبالوفو"، تحت مراقبة المربي ألكساندر إيفانوفيتش مورافيوف، الذي علمه اللغتين الروسية والألمانية، وعوّده على القراءة والرسم. عاشر

فاسيلي كثيراً أبناء ميكويان وفوروشيلوف وشابوشنيكوف، الذين كانت بيوتهم الصيفية قريبة من بيته. كانت ترعى البيوت بولينا فاسيليفنا تيم، وفي أيام الراحة والأعياد، كان يأتي بوديني مع نايه، وعندها كانت تنظم سهرات الغناء مع فوروشيلوف، وأحياناً كان صاحب البيت ينضم إليهم. كانت تسعد الأولاد كثيراً زيارات ن.ي.بوخارين، الذي كان يحمل الألعاب، وحتى الحيوانات الحية مثل: القنفذ، أفعى الماء، والثعلب.

في بداية الثلاثينات، التحق فاسيلي، بالصف الأول في المدرسة الاستعراضية الاختبارية في موسكو. في الصفوف الأولى، لاحظ معلموه طبعه النزق والعصبي وغير المستوي. يبدو أن حياة الستالينيين العائلية تركت فيه انطباعها القاسي. كان أبوه مشغولاً دائماً، وكانت أمه في هذا الوقت تتعلم في أكاديمية الصناعة، وتعمل بنفس الوقت في الإدارة.

كانت الأم تتعامل مع الأولاد بصرامة، ولا تدلّلهم أبداً، وكان الوالدان يقضيان عطلتهما الصيفية عادة على شاطئ البحر الأسود، ويتركان الأولاد في موسكو.

كان عمر فاسيلي خمس سنوات، عندما تركت أمه البيت بعد الخصام الاعتيادي مع أبيه، وسافرت إلى أهلها في لينينغراد، وأخذت معها ابنتها البالغة من العمر خمسة أشهر. وكان عمر فاسيلي ثماني سنوات، عندما حاول أخوه الأكبر ياكوف الانتحار، بسبب نزاعه مع أبيه.

كانت عند الأب عادة، وهي أنه كان يعطي لأولاده نبيذاً جورجياً. كان هذا الأمر يغضب الأم التي كان الأب يهملها. تلك العادة المأخوذة من الصغر تحولت فيما بعد إلى عيب ونقص.

في الحادية عشرة من عمره خضع فاسيلي لهزة نفسية عنيفة، وهي موت أمه المأساوي. انتقلت العائلة كلها إلى الكريملين، وأصبحت ميول وهوايات الأطفال تتحول تدريجياً، وكان يحيط بفاسيلي الحرس والخدم.

في البيت كان فاسيلي يلتقي دائماً بمن حول أبيه، وقد عرف شخصياً كل أعضاء الحكومة آنذاك، وكان يلتقي معهم كثيراً في البيوت الصيفية. نستطيع اليوم، أن نتصور مدى التغيرات التي أحدثتها في نفسيته أحداث الاضطهاد، التي لحقت بأهل أمه، وشخصيات الحزب الحكومية المشهورة فيما بعد. لكن مما لاشك فيه، أن هذه الأمور تركت أثرها العميق على أعصابه، وعلى سلوكه المستقبلي. بأمر من الأب، كان الحرس يرافق فاسيلي إلى كل مكان، حتى إنه كان يذهب إلى المدرسة مع الحرس. قال نيكيتا خروشوف، الذي عرف فاسيلي في

صغره وشبابه: "كان فاسيا في صغره صبياً جيداً وذكياً، لكنه كان عنيداً. في بداية شبابه بدأ يتعاطى المشروب بشدة. كان طالباً غير منضبط، وأساء كثيراً إلى ستالين. أظن أن ستالين كان يؤنبه دائماً، وأمر المرافقين والمراقبين مراقبته بشكل دقيق وباستمرار.

وكان فاسيلي يقرأ قليلاً، ولم يهتم بدروسه كثيراً، لذا كانت دراسته سيئة. لقد كان واحداً من أكثر المراهقين في المدرسة صعوبة، وكان يريد دائماً أن يكون في موضع القيادة، لكنه لم يحظ بذلك دائماً. فلقد كان في المدرسة الكثير من الأولاد الموهوبين الرائعين، الذين لم يسمحوا له بالتمادي. كان المعلمون يخافونه، ولم يطرحوا عليه عملياً أية أسئلة. وإذا حدث ذلك مرة ما، فقد يشتم المعلم أمام الصف كله. لو لم يكن يأمل بالالتحاق بالكلية الصيفية، لما كان زار المدرسة أصلاً. علينا أن ننوه فقط، من أجل إحقاق الحق، أنه كان يحلم في البداية، أن يكون ضابطاً خيالاً. كان يفتخر ببوديني، ويستطيع أن يتحدث معه ساعات طويلة عن الأحصنة وعاداتها. لكن بعد موت الفارس الأمثل في ذاك الزمان فاليري تشكالوف، قرر أن يصبح طياراً حربياً، مثل باقي أبناء صفه. في ذاك الوقت، كانت هذه المهنة أكثر المهن بطولة وجاذبية، وكان لها مستقبلها الأخاذ الرائع.

أما بالنسبة للألعاب الرياضية فقد كان له شأنٌ آخر معها. كان يهوى الجري والتزلج، لكنه كان يتمتع بمواصفات جسمانية متوسطة، ولم يكن يتعب نفسه بالتمرين، إلاّ أنه بالرغم من ذلك، كان يظهر في المباريات إرادة قوية يحسد عليها، ونادراً ما كان يتخلف عن مجموعة الخمسة الأوائل. إليكم ما كتبته بعد ذلك غالينا خينتشوك، الطالبة التي كانت تدرس مع فاسيلي: "في مدرستنا، كان الجميع تقريباً يمارسون الرياضة بكل سرور. لكن أشهر أحداث الرياضة عندنا، كانت تصفيات ألعاب القوى. كان في إحدى هذه التصفيات فاسيلي ستالين، الذي قطع مرحلة في الجري، في منطقة حديقة ألكساندروفسك. أعتقد ان فاسيلي كان رياضياً لا بأس به، وقد قطع المسافة المخصصة له بشكل جيد. لكن المشكلة بدأت هنا بالذات! فقد ارتموا عليه بالزهور والورود، ورفعوه على الأيدي، ومن ثم أجلسوه في سيارة مفتوحة، وأخذوه وهو يتألق من السعادة، والعرق يتساقط منه بغزارة، تماماً كما لو كان بطلاً رياضياً مميزاً. لكن إلى أين أخذوه؟ إلى الكريملين؟ في الواقع، لم يكن الحدث عظيماً، كانت مجرد مباراة مدرسية. أظن أن المتزلفين والأصدقاء غير المخلصين، قد بدؤوا آنذاك بإفساد طبع فاسيلي، علماً أنه لم يتعجب أحد لهذه الأهازيج الكاذبة والمتزلفة، فقد كانت مثل هذه الأمور عادية، وتكاد تكون قانونية وضرورية".

بعد الحصول على شهادة انهاء الدراسة في الصف التاسع، تقدم فاسيلي وكل رفاقه في الصف إلى الكلية الجوية الحربية المسماة باسم مياسنيكوف، والحاصلة على وسام الراية الحمراء في مدينة كاتشينسك. حدد فاسيلي نهائياً طريق حياته، وقرر أن يصبح طياراً حربياً، بالرغم من أن الأمور معه هنا لم تجرِ على ما يرام أيضاً. عندما كان طالباً في الكلية، كان يزور أباه في العطل، وقد كان يظهر في كل مرة يأتي فيها في أكثر مباريات التزلج شعبية . أقصد هنا المباريات التي كانت تجري في بتروفكا /٢٦/. هنا تعرف فاسيلي على غالينا بوردونسكايا التي كانت في ذاك الوقت طالبة في كلية الصحافة والنشر في معهد الطباعة (البوليغرافيا). تقول غاليا بوردونسكايا. "كان فاسيلي بطبيعته إنساناً متعجرفاً، وكان خلال رفقتي له، قد طار عدة مرات بالطائرة على ارتفاع منخفض فوق محطة المترو "كيروفسكايا"، ولقد عاقبوه على أفعاله هذه. لكن العقوبة كانت بسيطة، ولم يخبروا أباه ستالين بذلك. لم يكونوا يعرفون، أن العلاقات بين الأب وابنه، لم تخل من الغيوم السوداء. في نهاية الأربعينات تزوجنا، وسافرنا مباشرة إلى ليبيتسك، حيث كان يخدم فاسيلي".

وصلتنا وثيقة واحدة فقط، كان فاسيلي قد كتبها بخط يده عن حياته الخاصة، وفيها يتحدث بالتفصيل عن حياته، في المرحلة ما بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤٥: "ولدت في عام ١٩٢١م في موسكو، في عائلة ثائر محترف. من عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٣٨ عشت وتعلمت على الإعالة التي كان يقدمها لي والدي.

في عام ١٩٣٨ وبعد حصولي على شهادة إنهاء المدرسة المتوسطة (الصف التاسع)، التحقت لأتعلم بالكلية الحربية الجوية صاحبة وسام الراية الحمراء في مدينة كاتشينسك، والتي تخرجت منها عام ١٩٤٠ وعينت طياراً، في فوج الطيران السادس عشر التابع للفرقة الجوية الرابعة والعشرين، والذي خدمت فيه حتى أيلول عام ١٩٤٠م. في أيلول عام ١٩٤٠م التحقت بدورة القيادة في الأكاديمية الجوية العسكرية، حيث تعلمت هناك حتى كانون الأول عام ١٩٤٠م. في كانون الثاني عام ١٩٤١م، أرسلت إلى دورة رفع مستوى قادة الفصائل الجوية في ليبيتسك وتخرجت منها في أيار عام ١٩٤١ . في حزيران عام ١٩٤١ عُيِّنْتُ بمنصب طيار مراقب في قيادة القوى الجوية السوفييتية. خدمت في هذا المنصب حتى أيلول عام ١٩٤١م، ثم خدمت حتى كانون الثاني عام ١٩٤٣ بمنصب رئيس فرع المراقبة في قيادة القوى الجوية. في كانون الثاني عام ١٩٤٣عينت قائداً لفوج الحرس الجوي الثاني والثلاثين، وخدمت هناك حتى كانون الأول عام ١٩٤٣ .

في كانون الثاني عام ١٩٤٤م عينت بمنصب قائد فرقة الحرس الجوية الثالثة في بريانسك ذات الراية الحمراء والحائزة على وسام سوفوروف، وابتداءً من شباط عام ١٩٤٥ عينت بمنصب قائد الفرقة /٢٨٦/ الجوية في مدينة ينجينسك ذات الراية الحمراء والحائزةعلى وسام سوفوروف.

خلال فترة خدمتي على جبهات الحرب الوطنية، لم أُصَبْ بأية جروح أو إصابات أخرى، كما أنني لم أقع في الأسر أو في الحصار. أعتبر عضواً في الحزب الشيوعي البلشفي منذ عام ١٩٤٠ . متزوج، وزوجتي غالينا ألكساندروفنا بوردونسكايا، وعندي ولدان: الابن الكساندر والابنة ناديجدا. تعيش عائلتي في موسكو.

١٨/حزيران/١٩٤٥م.

فاسيلي ستالين

لا نملك، بكل أسف، أية معلومات عن مستوى فاسيلي العلمي خلال فترة دراسته في الكلية، وكان من الممكن أن يبقى طور حياته هذا في الكلية غير معروف لولا رسالة مواطن لينغراد يفغيني بيتروفيتش تسوكانوف، المرسلة في ١٩/كانون الأول/ عام ١٩٨٨م،بعد أن طبعت مذكرات فاسيلي ستالين في صحيفة "براهين وحقائق". تقول الرسالة:

أيها الرفيق كاليوسنيك!

اعذرني لأني لا أعرف اسمك الأول. أريد أن أخبرك بضع كلمات عن أمر نشر المذكرات. أنا طبعاً بعيد بأفكاري، عن أن أخضع كتاباتكم للنقد أو للشك. أنا متأكد أنكم قد درستم المواد الضرورية كما يجب، هذا عدا أني كنت في تلك السنوات صغيراً جداً، ولا أستطيع أن أؤكد أني "أتذكر"، بالرغم من أن شيئاً ما مطبوعاً بذاكرتي.

أنا أعرف، أن فاسيلي يوسيفوفيتش ستالين كان قد تخرج من كلية كاتشينسك الجوية برتبة ملازم، من دون أن يمنح دبلوماً يؤهله لقيادة طائرة حربية. لقد أعطي فقط شهادة، يؤكد أنه كان يحضر محاضرات الكلية المذكورة...

كان سبب ذلك إدمانه على المشروب. كان أبي في ذاك الوقت قائد الفوج في لوبيرتس بالقرب من موسكو. كان هذا الفوج يشارك باستمرار في استعراضات القوات الجوية (في السابع من تشرين الثاني، وفي الأول من أيار، والثامن عشر من آب) وكان معروفاً جيداً من

قبل ستالين. كان من توابع الاستعراض الأساسية إقامة عشاء مهيب في الكريملين، وكان يدعى إليه قادة القطعات والتشكيلات والوحدات المشاركةفي الاستعراض. وبسبب قرب لوبيرتس من موسكو، سميت المدينة بشكل غير رسمي "قطاع القصر". ذات يوم مساءً، اتصل بنا في الشقة ستالين، وطلب من أبي أن يتحقق من قدرات فاسيلي، وأن يعطي تقريراً حول إمكانية جعله طياراً. وهكذا، أصبح أبي ممتحن ومعلم فاسيلي. اضطرّ أبي أن يعطيه في الدورة الصيفية ما يعادل حجم المواد الموجودة في الكلية الجوية. علمه في البداية على طائرة و ـ ٢ ثم ي . ١٦، ثم و ت ب ـ ٤ وبشكل مستقل على ي ـ ١٦ . لذا ليس غريباً، أن تكون هذه المرحلة (٤ ـ ٦ أشهر) مثبتة في الوثائق على أنها جزء من خدمة فاسيلي كطيار محترف في الفوج السادس عشر، الفرقة الرابعة والعشرين، بعد تخرجه من الكلية الجوية.

كل ما لحق من سوء بفاسيلي ستالين في ذاك الوقت، كان بسبب الإدمان على المشروب، بالرغم من أنه، والحق يقال، كان طياراً قديراً، وكان يحب الطيران أيضاً.

بعد هذه الفترة مباشرة، عين أبي تسوكانوف بيتر نيكولايفيتش مديراً للكلية الجوية في يغوريفيسك.

بدأت الحرب، عندما كان فاسيلي في تالين في مهمة رسمية، وقد حلق لتنفيذ المهمات العسكرية بشجاعة وإقدام. شتاءً، في عام ١٩٤٢م، وعندما أصبح رئيس فرع المراقبة، زار فاسيلي عدة مرات أولاده وأخته. إليكم ما كتبت عن ذلك سفيتلانا أليلوييفا، وهي تشرح الأوضاع التي عاش فيها: "...تجمع حوله الكثير من الطيارين غير المعروفين، وكلهم كانوا يقدمون الولاء للطيار الشاب الذي لم يبلغ من العمر العشرين. هذا التزلف بالذات، هو الذي قضى على فاسيلي فيما بعد. لم يكن حوله أحد من أصدقائه القدماء الذين كانوا بعمره. كان أولئك يزورونه باستمرار، وكانت زوجاتهم تزور غاليا باستمرار أيضاً، ويبحثون عن الصداقة معها.

كانت في بيتنا تجمعات كثيرة، وكان عدم النظام يسود البيت، ويخترق رؤوسنا أيضاً، ولم يكن هناك أحد، يمكن أن تروي له همومك، أو يعلمك شيئاً ما، لم يكن هناك أحد، يقول كلمة ذكية وقوية وصارمة...

دخل إلى بيتنا شبح العربدة والإدمان، وكان يزور فاسيلي الرياضيون والممثلون وأصدقاؤه الطيارون، وكانت تقام دائماً حفلات سكر متواصلة ورقص مستمر. كانت الأفراح تقام، كما لو أنه لم يكن هناك حرب".

بعد سنتين فقط من بداية الخدمة، في عام ١٩٤٢ منح فاسيلي رتبة عقيد في الحرس، وما إن أسر ياكوف جوغاشفيلي، الابن الأكبر لستالين، حتى حددت تحليقات فاسيلي في الجو، وكانت طائرات المرافقة تصاحبه دائماً. حكى لي الجنرال غليبوف ي.س. عن حادثة مهمة، فحواها: "شهدت الحدث التالي: عندما كنت في مركز القيادة التابع للجيش المدرع الرابع، والواقع في بلدة شيروكي بالقرب من ستالينغراد، وكان معي في المركز القائد العام الجنرال فلاديمير ديميترييفيتش كروتشينكين. تصدى سربان من الطيران الألماني لعشر من طائراتنا، لكن طائراتنا لم تقاتل، بل تجمعت في دائرة، وأخذت تتراجع بشكل حلزوني، دون أن تضرب طائرات العدو. لقد كان ذلك مزعجاً جداً، لدرجة أن قائد السرب أرسل برقية للقائد العام بذلك. أتت الإجابة لتضعنا في حيرة من أمرنا. قالوا إنه بعد أن نفذت الطائرات مهمتها الحربية، كان فاسيلي ستالين نفسه يقودها إلى المطار، ويفضل عدم طرح هذا السؤال مرة أخرى، أو حتى التكلم فيه".

ماذا يعني هذا الحادث؟ من الصعب اليوم التحقيق في ذلك. لكنه من الصعب أيضاً اتهام فاسيلي ستالين بالجبن. على العكس، بالرغم من تحذيرات الأب ومنعه للابن من القتال، كان فاسيلي يشارك في العمليات الحربية، وقد نفذ خلال السنوات الأربع من الحرب سبعة وعشرين تحليقاً، ودمّر طائرة من طيران العدو.

تقول الوثائق التي تصف نشاطه على الجبهة، والتي وصل منها إلينا وثيقة واحدة فقط: "إن الرفيق فاسيلي ستالين، يشغل منصب قائد الفرقة منذ أيار عام ١٩٤٤م. الرفيق ستالين على وجه الخصوص، يملك قدرات تنظيمية جيدة وقوة إرادة كبيرة. يملك من الناحية التكتيكية كفاءات جيدة، وهو يفهم بشكل رائع في تخطيط وتنفيذ العمليات، ويحدد بسرعة كيفية حل مسائل الأعمال القتالية. في عمله نشيط، وصاحب مبادرة، ويتطلب من مرؤوسيه دائماً الدقة في تنفيذ الأوامر المعطاة. يمكنه تنظيم العمل الحربي في الفوج والفرقة.

إلى جانب الميزات الحسنة، يملك العقيد ستالين مجموعة من الميزات السيئة والعيوب: هو بطبعه ساخن وسريع الانفجار ومتسرع، وقد حدث أن مد يده على مرؤوسيه أيضاً.

إنه لم يدرس نفسيات الناس بشكل متعمق، ولا يدقق بشكل جيد عند اختياره للكوادر، خصوصاً العسكريين الإداريين منهم، وهذا ما أدى إلى عدم ثبات طاقم الضباط عنده في تكوين معين، وهذا ما ساعد إلى حد ما في اهتزاز كادر الضباط.

في حياته الخاصة، قام ببعض الأعمال التي لا تناسب منصبه كقائد فرقة، وكانت هناك

حالات، ذات سلوك تكتيتكي سيء في سهرات وحفلات الطيارين، حيث كان هناك بعض الإهانات والشتائم بحق بعض الضباط، كانت هناك حالات سلوك ساذج، حيث خرج ذات مرة من مطار مدينة شياولياي على الجرار، مما أدى إلى خلق مشكلة وقتال بالأيادي مع مكتب المراقبة والانضباط.

حالته الصحية ضعيفة، وخصوصاً الحالة العصبية، فهو سريع التهيج كثيراً، وهذا ما جعله خلال الفترة الأخيرة من عمله في الطيران، يتوقف عن تدريباته الخاصة، مما أدى بدوره إلى ضعف في جاهزيته القتالية (التسديد وغيره).

ان هذه العيوب مجتمعة أساءت إلى سمعته كقائد، حيث أنها لا تليق فعلاً به كقائد فرقة، ولا يمكنه القيادة بشكل صحيح، إلاّ إذا تخلص من كل تلك العيوب.

قائد الفيلق الجوي للحرس في
مينسك، اللواء بيليتسكي

٢٥ كانون الثاني /١٩٤٥م

موافق على تقرير السلوك

قائد جيش السلاح الجوي الثالث،
الجنرال بابيفين.

١١/شباط/١٩٤٥م.

علينا أن ننوه، أن من وقعوا هذا التقرير، كانوا أناساً، ليس فقط، نزيهين، وإنما في غاية الشجاعة أيضاً. لكن هذا لم يوقف تحليق فاسيلي في الجو أبداً.

نسبت إلى فاسيلي في مطار شياولياي عدة حوادث. هنا بالذات زارته زوجته التي سافرت إليه بالطائرة من موسكو. وفي تلك الليلة بالذات، اخترقت الدبابات الألمانية المطار.

بدأت المعركة الأرضية بشيء من الاضطراب من جهتنا، وعندما فهم فاسيلي الوضع، أجلس زوجته في سيارة مفتوحة، وخرج بها إلى مدرج الطيران، وصرخ بالجنود الراكضين هنا وهناك: "جبناء، انظروا.. امرأة ولا تخاف". يعود الفضل كثيراً في التغلب على الاضطراب آنذاك، إلى شجاعته الخاصة، واستطاعت الطائرات بعد فترة وجيزة أن تحلق وتقاتل.

في اليوم التالي، وهو يرافق زوجته، طلب منها أن تأخذ طرداً موجوداً في المطار المجاور.

دهشت زوجته كثيراً، عندما رأت أن الطرد عبارة عن حصان جريح منهك، وطبعاً لم تنفذ طلبه، لكنه رغم ذلك، وجد الفرصة، ونقل الحصان إلى موسكو، ومن ثم إلى بيته الصيفي.

الجدير بالذكر، أن قيادة الجيش السادس عشر، لم تقدم لفاسيلي أي نوع من التنازلات،وقد حدثني دكتور العلوم العسكرية اللواء ف.ن.أوسترو أوموف، أن سبب هذه المبدئية في التعامل مع فاسيلي، كانت رسالة يوسف ستالين إلى المجلس العسكري، بعد وصول فاسيلي مباشرة إلى مكان خدمته الجديدة، وقد قال فيها أبوه حرفياً: "...يمنع تقديم أي نوع من الامتيازات والاستثناءات لابني". نفذ هذا الأمر من قبل القيادة.

إليكم ما كتبه بعد ذلك مارشال الطيران س.ي.رودينكو: "اعلم العقيد ستالين من العتبة بوصوله إلى مكان الخدمة، وكما يجب، وقدم لي. وكأني أرى الآن أمامي ذاك المشهد، مغلفاً كبيراً وعليه خمسة أختام. وضعت المغلف في الخزانة دون أن أفتحه،وأفهمته أني سأبت بالأمر فيما بعد، أما الآن فهناك أمور أهم.

هذا التحول أوهن من عزم فاسيلي، الذي تعوّد أن يأمر القادة، وأصبحت أحس، أنه يعود إلى داخل إطار تبعيته ومرؤوسيته، وقررت بدوري أن أتكلم وأناقش بهدوء. عندما جلسنا لتناول وجبة الغداء، حدثت فاسيلي عن الفرقة وأمور النظام والانضباط، وأشرت إليه، أن يأخذ ريدكين نائباً له، لأنني كنت أعرف ريدكين منذ كنت أخدم في الشرق الأدنى أعرفه جيداً، وأعرف أن من سيقود الفرقة هو ريدكين، وليس فاسيلي. وهذا ما حدث.

كان يقود الأعمال القتالية في الفرقة ريدكين، بينما كان فاسيلي زعيماً سياسياً فيها، ووجه كل طاقاته ورغباته إلى تلبية الحاجات الاقتصادية، لذا لم تعان الفرقة من المؤونة والتزويد واختيار المكان الجيّد لتمركزها".

عند دراستنا لمختلف أنواع الشهادات والوثائق، لاحظنا مباشرة أن الكثير من افعال فاسيلي السيئة، بدأت بعد بداية زيارات بيريا المتكررة له، كان بيريا يحب اللهو والعبث، وحاول شد فاسيلي إليه.

ظهر فاسيلي كقائد فرقة قدير خلال مراحل التحضير لعملية برلين. لقد تعمق في كل عناصر الاقتحام، بالرغم من أنه لم يشارك في التحليقات القتالية، وكان، تبعاً لشهادة قائده المباشر، مصنفاً بين أفضل القادة. جاء في أمر القائد العام للجيوش السوفييتية المارشال ي.ف.ستالين مايلي: "...من خلال المعارك التي جرت لاحتلال برلين، تميز كل من.. طياري المارشال الأول الجوي نوفيكوف، والمارشال الأول الجوي غولوفانوف، والجنرال الجوي

رودينكو، والجنرال الجوي كراسوفسكي والفريق سافيتسكي والفريق بيليتسكي والفريق توكاريف واللواء كروبسكي واللواء كارافاتسكي واللواء سكوك واللواء سيدنيف واللواء دزوغوف واللواء كوماروف والعقيد ستالين...".

بعد الحرب مباشرة، درس فاسيلي بشكل جيد الأسلحة والآليات المغتنمة من العدو، ونفذ بدرجة "ممتاز" الطيران على الطائرة الجديدة بالنسبة له، وأثبت مهارته خلف عجلة القيادة كطيار بارع. بقي فاسيلي على الأرض يسمح لنفسه بالكثير، وكثيراً ما كان يسمح لنفسه بالضرب، وأحياناً كان يوقف سيارةً، لم تعجبه في الطريق، ويضرب سائقها لأنه لم يفسح له المجال للحظة بالمرور.

هل ساعد الأب ابنه في الترقي بالمناصب؟ ليس لدينا ما يثبت ذلك. لكن أحدهم قد أكد لي، أن ستالين في عام ١٩٤٦ نقل قائد الفيلق خصيصاً إلى موسكو، وعين بدلاً منه ابنه فاسيلي.

في الواقع، لم يكن الأمر بهذا الشكل: لقد نقل قائد الفيلق المذكور من منصب قائد الفيلق الجوي الثالث، بينما عين فاسيلي قائداً للفيلق الجوي الأول، هذا إضافة إلى أن تعيينه، قد جاء من قائده المباشر بغض النظر عن الشهادة التي وقعها جوكوف غ.ك. وتيليغين ك.ف، والتي تقول: "...ضابط محترف منذ عام ١٩٣٨م، حصل على أول رتبة له عام ١٩٤٠م، حالته الصحية ـ ضعيفة ـ آلام في قدميه وعموده الفقري، وخصوصاً في حالات زيادة الإجهاد. شديد الإرهاق، ويملك خللاً في جملته العصبية. يسمح لنفسه، أن يتصرف في حياته الخاصة، بما لا يتناسب مع منصبه كقائد فرقة. يظهر خشونة وفظاظة في تعامله مع مرؤوسيه، سريع التهيج.

إن العيوب الآنفة الذكر، تسيء كثيراً إلى سمعته كقائد عالٍ. من جهة أخرى، هو انضباطي وثابت إيديولوجياً.

النتيجة: من أجل رفع جاهزيته النظرية، يفضل إرساله للدراسة إلى الأكاديمية الجوية العسكرية، وهذا يناسب المنصب الذي يشغله.

قائد الجيش السادس عشر

الجنرال رودينكو.

/٢٠/تموز/١٩٤٥م

من أجل رفع جاهزيته النظرية، يفضل إرساله للدراسة إلى الأكاديمية الجوية العسكرية وهذا يناسب المنصب الذي يشغله.

قائد مجموعة الوحدات السوفييتية في ألمانيا

عضو المجلس العسكري الأعلى للوحدات السوفييتية في ألمانيا الفريق تيليغين

مارشال الاتحاد السوفييتي جوكوف

١٩٤٥/٨/٣م

هل من الممكن، أن يكون ستالين الأب غير عارفٍ بسلوك ابنه وبعيوبه؟ لا. كان ستالين يعرف كل شيء، وليس فقط عن ابنه، بل كان يحكم بهمة لا تضعف آلاف الناس. إن عدم تدخله في أمور خدمة ابنه هي أكبر مساندة ومؤازرة له، بالرغم من أننا نعرف حادثة معاكسة تقريباً، وهي أن ستالين في عام ١٩٤٦ كان قد هتف تلفونياً لفاسيلي، ولم يجده على رأس عمله، فقد كان مشغولاً بالبحث عن كلبه المحبوب الضائع. عندها أصدرت القيادة العسكرية العليا مباشرة أمراً، يقضي بوضع فاسيلي رهن الاعتقال لمدة عشرة أيام.

علينا أن ننوه أيضاً من أجل الحق، أنه قيل في الشهادة التي أعطيت لفاسيلي ستالين عام ١٩٤٦ شيء آخر أيضاً: "يقود اللواء الجوي ستالين الطائرات التالية: بو.٢، أوت.١، أوت.٢، ي-١٥، ي-١٥٣، ميغ-٣، ماغ-٣، ياك-١، ياك-٧، ياك-٩، إيل-٢، بوستون، زيبل، لا-٥، لا-٧، هاريكين.

المدة الكلية لتحليقه في الجو: /٣١٧/سا و/١٥/د. (ثلاثمائة وسبع عشرة ساعة وخمس عشرة دقيقة). يقود الفرقة /٢٨٦/من شباط/١٩٤٥/، وتخضع لقيادته وحدات الفرقة، المخصصة لتنفيذ مخطط مشروع الجاهزية التدريبي في عام ١٩٤٦ . أُنجز ١٤١١١ تحليقاً بوقت إجمالي قدره /٨٣٧٦/ سا و/١٢/دقيقة، منها /٨٣٧٦/ تحليقاً بمدة إجمالية /٤٠٢١/ ساعة و/٥٨/ دقيقة على الطائرات القتالية لا-٧ ، و/٥٠٩١/ تحليقاً، بمدة إجمالية /٢٩٩٦/ ساعة و/٢٧/دقيقة نهاراً و/٣٣٩٢/ تحليقاً، بمدّة إجمالية /١٣٥٧/ ساعة و/٤٧/ دقيقة ليلاً. على طائرات نوع بو-٢ .

نفذت طواقم الوحدات الطيرانَ الثماني (بثماني طائرات) والهبوط أزواجاً أو بشكل رباعي. تمكن الطيارون بشكل جيد من إصابة الأهداف الجوية الأرضية. تعطى أهمية كبيرة في الفرقة للرمي من الرشاشات المزودة بجهاز التصوير السينمائي، وقد أجري من هذه الرشاشات /٧٦٣٥/ إطلاقاً. نظمت الدراسة للطواقم الفنية بشكل جيد، وتجرى الدروس بشكل منتظم في مدرسة الفرقة التدريبية، المكونة من ستة عشر صفاً مجهزاً بأحدث التجهيزات الفنية. نظمت أيضاً أمور الصيانة والاستثمار في الفرقة بشكل جيد، وما يؤكد ذلك، أنه لم تكن هناك أية أعطال فنية، سببها إهمال الطاقم الفني، طوال فترة الاختبارات. خلال عام واحد من العمل، أجرى الطاقم الهندسي الفني في الفرقة /٤٤٣٩/ إصلاحاً صغيراً ودورياً، و/١١٢/ إصلاحاً طارئاً، و/١٨٣٣/ إصلاحاً للمحركات. تعمل قيادة الفرقة بشكل جيد، وخلال المرحلة المذكورة، نفذت الفرقة ثلاثة مشاريع طيران تكتيكي ثنائي الجانب على مستوى الفوج، شمل طواقم من أربعة أفواج، مع مساعدة الطيران الحربي المقاتل.

خلال النصف الأول من عام ١٩٤٦م نفذت الفرقة اثنين وعشرين مشروعاً في الطيران التكتيكي، وكلها انقضت بشكل منظم وجيد، ودون أية حوادث عارضة. بشكل عام، تشغل الفرقة المرتبة الأولى في الفيلق بتنفيذ مخطط مشروع الجاهزيةالتدريبي بكافة أشكاله.

خلال فترة ما بعد الحرب، تطورت الفرقة /٢٨٦/ ونمت وأصبحت أكثر تنظيماً، وطاقم الطيران مجهَّز بشكل جيد لتنفيذ العمليات القتالية على الارتفاعات المتوسطة. أربعون بالمئة (٤٠٪) من الطيارين يستطيعون الطيران على ارتفاعات كبيرة وفي الظروف الجوية القاسية. يتمتع اللواء ستالين نفسه بقدرات تنظيمية جيدة، وبجاهزية عملياتية تكتيكية جيدة أيضاً، وينقل خبرته القتالية بشكل رائع لطاقم الطيران التابع له. في عمله نشيط وذو مبادرة، ويتطلب جود هذه المواصفات أيضاً في مرؤوسيه. يعطي اهتماماً كبيراً في العمل للآليات الجديدة، وكثيراً ما يقدم أفكاراً جديدة، ويطلب بإصرار تطبيقها في الحياة العسكرية. ينظم عمل الطيران بشجاعة وبشكل صحيح من الناحية الفنية التربوية...

النتيجة: يناسب المنصب الذي يشغله تماماً، ويستحق الترقية، كما يفضل الاستفادة من خبراته في عمل المراقبة التابع للقيادة العليا للقوات الجوية السوفييتية.

قائد الفيلق الثالث للطيران المقاتل
الحائز على وسامي سوفوروف
وكوتوزوف، والمتمركز في
نيكوبولسك

الفريق الجوي سافيتسكي

٧/تموز/١٩٤٦م

موافق على شهادة قائد الفيلق. تشغل الفرقة المكان الرائد في الجيش بجاهزيتها القتالية. يستحق الترقية إلى منصب قائد فيلق. لابد من تجنّب العيوب المشار إليها سابقاً، بالرغم من أنه يوجد هناك تحسن ملحوظ مقارنة مع الشهادات السابقة.

القائد العام للجيش الجوي السادس
عشر

الجنرال رودينكو

٨/تموز/١٩٤٦م

عندما أصبح فاسيلي قائداً للفيلق، أولى الكثير من اهتمامه لتطوير القاعدة المادية ولتحسين معيشة الطاقم الخاص والضباط وعائلاتهم. عندها أظهر نفسه كمحب للصيد، وخصوصاً صيد السمك، وتابع اهتمامه بكلاب الصيد. حدثني أحد الطيارين، الذي طلب مني ألاّ أفصح عن اسمه وكنيته، أن فاسيلي قد كافأه على جاهزيته وقدراته التحليقية العالية، بأن أهداه جروين من جراء الصيد، لكنه حدث، أنه بينما كانا يلعبان على أرض المطار، أكلا علبة صمغ قوي فتصمغت أحشاؤهما وماتا. كان غضب فاسيلي لا يوصف!

أمضى فاسيلي في قيادة الفيلق سنة واحدة فقط. في تموز عام ١٩٤٧ عين مساعداً للقائد العام للقوات الجوية الحربية في منطقة موسكو العسكرية. كان يزين بذلة اللواء الجوي، البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وسامان حربيان هما: وسام الراية الحمراء ووسام سوفوروف بالدرجة الثانية وميدالية "في الدفاع عن موسكو". وميدالية "في الدفاع عن ستالينغراد" وميدالية "تحرير وارسو" وميدالية "احتلال برلين"، وميدالية "النصر على المانيا في الحرب الوطنية العظمى

١٩٤١ . ١٩٤٥م". في ٢٢/أيار/١٩٤٨م أقرت القيادة العسكرية العليا للقوات الجوية العسكرية رفع شكر له "على التنظيم الجيد للطيران بين المناطق العسكرية، وجلب مجموعات كبيرة، وفي الوقت المناسب، من طائرات لا . ٣، وكذلك على استلام وتحضير وتزويد هذه الطائرات بكافة مستلزماتها الحية وغير الحية".

لم يبق فاسيلي مدة سنتين في منصبه قبل نقله إلى موسكو، وهنا استمر صعوده على سلّم المناصب أيضاً. في ١٨/حزيران/١٩٤٨ في السابعة والعشرين من عمره، احتل فاسيلي منصب القائد العام للقوات الجوية في منطقة موسكو العسكرية. وقّع أمر تعيينه مارشال الاتحاد السوفييتي بولغانين. وجاء توقيع أبيه ي.ف.ستالين تحت نص نسخة من قرار رئاسة مجلس الوزراء السوفييتية، المؤرخ في ١١/أيار/١٩٤٩م، والقاضي بمنحه رتبة فريق جوي، وتم انتخابه آنذاك كمرشح لعضوية مجلس السوفييت الأعلى.

إن تعيين فاسيلي في منصب القائد العام، أتى بالكثير من التغييرات على نظام وخصائص العمل في قيادة القوات الجوية وأركانها. إليكم كيف يوضح هذا الأمر تسوكانوف الذي شاءت الأقدار أن تجمعه مرة ثانية بفاسيلي ستالين: "كان فاسيلي في مبنى الأركان على شارع أوسيبينكو سيّداً له كافة الحقوق والصلاحيات. تغير نظام العمل بشكل سريع. إذا كان العاملون سابقاً، يجلسون في المبنى حتى بعد منتصف الليل، وذلك لأن القائد كان هناك، فإن التأخر في العمل الآن، أصبح يخضع للعقاب. كان يُسمح بالتأخر لمدة ثلاثين دقيقة فقط لمديري الأقسام حصراً، وظهر على الطابق الأول شباك تذاكر للمسرح، ودكان لبيع الصحف والمجلات والكتب.

أصبحت زيارة المسارح والحفلات وسهرات الراحة في المقر المركزي للجيش الأحمر عادةً عند الجميع، وكانت تدعى إلى هناك أفضل كوادر الفنانين، وأصبح العاملون ينظمون رحلات صيد جماعية: صيد البط في استراخان، والذئاب في أرخانغلسك، والأرانب والخنازير البرية في بودموسكوفي. كان الحضور على المنصة الشمالية للملعب "دينامو" أمراً إجبارياً وضرورياً، إذا كان فريق القوى الجوية يلعب، وكانت حفلات الأعياد تُنقَل بعد الفترة الخطابية الرسمية إلى شقة أحد القادة، وكان ضباط الأركان كلهم ملزمين بحضور مسابقة الدراجات النارية الشتوية للحصول على جائزة تشكالوف، التي كانت تقام في خيمكاخ، وحضور المسابقة الصيفية نفسها أيضاً على طريق ميسنسك. وكان فاسيلي يقوم بتتويج الفائزين بنفسه".

بالفعل، لقد بدأ فاسيلي ستالين مبكراً بالإمساك بزمام الأمور. في الآونة الأولى، كان

منشغلاً بتحضير طاقم الطيران الخاص به، وتعمّق في مشاكل الطيارين والكوادر، وبدأ بعمليات بناء للمطارات العسكرية لم يقم بها أحد من قبله.

عندما شغل منصب القائد العام للقوات الجوية، كان مليئاً بالنوايا الخيرة، وأخذ على عاتقه دور حامي الرياضة وراعيها. هناك من عرف نقطة ضعفه بحبه للخيول، وأشار إلى وجوب انتخاب فاسيلي كرئيس لاتحاد الفروسية في الاتحاد السوفييتي، وتم على يده تصديق مخططات بناء ملاعب الفروسية، وتطور عملية اصطفاء أفضل أنواع الخيول الأصيلة. وكان يحضر تقريباً في كافة مباريات الفروسية، وكان في اسطبله الخاص، المبني في بيته الصيفي في نوفو - سباسك خيول أصيلة ومشهورة.

ارتبط باسم فاسيلي أيضاً إنشاء أقوى فرق القوى الجوية. "أريد أن يلعب في فريقي أفضل اللاعبين، وسيكون مثل هؤلاء في القوى الجوية" . هذا ما صرح به فاسيلي في أحد اجتماعاته مع الرياضيين.

بالنتيجة، حدث كل شيء كما يريد هو، لكنه حلّ كلّ مشاكل الرياضة في روح ذاك العصر . كانوا يأمرون، وأحياناً يروعون. لم يعجبه مدرب فريق كرة القدم والهوكي أ.تاراسوف، والذي أصبح فيما بعد مدرب فريق الهوكي السوفييتي المشهور، واستبدله مباشرة بالمدرب سرغي كابيلكين. بأمر منه أيضاً، دخل الفريق خلال أيام قليلة كل من قنسطنطين كريجيفسكي وفسيفولود بوبرون ويفغيني بابيتش وفيكتور شوفالوف وحتى فيكتور تيخوتوف، الذي أصبح في أيامنا هذه المدرب الأصيل في الاتحاد السوفييتي والمدرب الأساسي لفريق الاتحاد السوفييتي بالهوكي. لم يكن يتهاون مع الرياضيين أبداً. يقول فيكتور تيخونوف في مذكراته عنه: "هل كان يعني هذا، أن فاسيلي ستالين كان إنساناً قاسياً، وأنه ورث صفات أبيه، التي نعرفها نحن اليوم؟. لا أستطيع أن أحكم بذلك. سأحدثكم فقط ما أذكره، وما كان في تلك الأيام. أكرر قولي، إنني كنت حينها صبياً، ولم أكن لأتفهم كل الأمور بتعمق، إلاّ أنني أؤكد، أنه كان لا يقبل الاعتراض أبداً. حتى إن فسيفولود ميخائيلوفيتش بوبروف، الذي كان يباركه فاسيلي ستالين بكل معنى الكلمة، كان لا يجرؤ على الاعتراض، لأن ذلك لا جدوى منه فعلاً. الآن، وأنا أستعيد ذكرياتي، أعتقد أنه لم يكن عند فاسيلي ستالين ما نسميه نحن الشعور بحد لتصرفاته. قد يكون عدم وجود الرقابة، والذي اعتاد هو عليه، هو الذي أفسد طبعه. كان بإمكانه أن ينزع من يده ساعة ذهبية ويهديها، وهذا ما عبر به عن إعجابه بلعبة فسيفولود ميخائيلوفيتش الرائعة ضد فريق مدينة كالينين، عندما سجل بوبروف ستة أهداف، وكان بإمكانه أن ينهال بالشتائم وبشكل غير عادل على لاعب لا يعجبه".

عندما كان يريد الحصول على لاعب معين للفريق، لم يكن يقف في طريق فاسيلي ستالين

أي شيء، وهذا ما حدث مع غ.دجيدجيلافا، لاعب كرة القدم الشهير، الذي لم يقبل باقتراح فاسيلي طوعياً، بأن يصبح مدرب الفريق الأساسي. لكن عندما أجبره على قبول العرض كافأه بسخاء. إليكم كيف يعلق غ.دجيدجيلافا نفسه على هذا الموضوع: "كانت الساعة قد قطعت الواحدة ليلاً. رفع الجنرال السماعة من جديد وطلب ما مزيلييف، رئيس قسم الكوادر (التوظيف) في منطقة موسكو العسكرية، وأمره أن يحضر أمراً بسرعة، يقضي بتعيين غ.ي.دجيدجيلافا مدرباً أساسياً لفريق القوى الجوية، ومنحه رتبة مهندس . رائد، لأنني كنت قد حصلت على شهادة دراسة فنية جامعية. في الساعة الرابعة صباحاً وقّع فاسيلي الأمر".

كان فاسيلي في حمايته للرياضيين، قادراً على فعل الكثير من أجلهم، وذلك من خلال علاقاته الجيدة والطيبة مع قادة أقوى منظمات البناء العسكرية مثل ب.ف.بوغاتشوفسكي ون.أ.انتيبينكو، وأ.ن.كوماردفسكي. بفضل هؤلاء الشخصيات بالذات، استطاع فاسيلي خلال ثمانٍ وأربعين ساعة، أن يعيد تجهيز سقف الطائرات تحت صالة كرة السلة، وبنى تحت غرف الدوش غرفاً خاصة، وحصل فريق كرة السلة على الإذن، بخوض بطولة الاتحاد السوفييتي، بالرغم من أنه كان حتى الآن يتلقى المعارضة، بسبب عدم وجود الصالة الرياضية المناسبة عند الفريق.

بجهود فاسيلي حُلَّتْ مشكلة بناء أول مسبح في موسكو بعرض خمسين متراً.

لم يهمل فاسيلي لاعبي كرة اليد، وأعطاهم، كصالة لهم، صالة فروسية كاملة، تحولت خلال أسبوعين من العمل المتواصل إلى صالة كرة يد مع كافة التجهيزات الضرورية فيها.

كان فاسيلي سريعاً في قراراته، وفي عقوباته أيضاً، التي لم تكن توافق مقامه. إليكم ما قاله بهذا الشأن ب مشيفينيرادزي، الذي هو الآن برتبة عقيد، ويملك دكتوراه في العلوم الحقوقية والقانونية، والذي كان في ذاك الوقت لاعب فريق "دينامو" موسكو: "...بعد أن لعبت فصلين، قبلت الإغراء وأصبحت عضواً في مجموعة القوى الجوية. كانت تلك المجموعة تجمع أبرز اللاعبين، وقد أصبحنا حينها بطل الاتحاد السوفييتي.

بالرغم من كل هذا، لم يكن هناك فِرقٌ حقيقية. لقد أدركت بسرعة، أن فكرة إنشاء فريق اصطناعي ليست فكرة بناءة، وأنني لن أكبر هناك كلاعب... لم يمض وقت طويل على بلوغي العشرين.باختصار، قررت العودة إلى فريق "دينامو"، وهذا ما فعلته.

... هل يمكنكم أن تتصوروا، أن إنساناً قدم للمحاكمة، لأنه لم يأت للتدريب؟ يحزنني أن

أخبركم، أن هذا كان ممكناً في ذلك الوقت. بالرغم من أني لم أكن مختبراً، وكنت ما زلت حراً في فريق القوى الجوية، إلا أن أفعالي كانت تخضع لرقابة القوانين العسكرية من وجهة نظر قانون القضاء الجنائي. باختصار، قدمت للمحاكمة. أتى إلى المحكمة كل أعضاء فريقنا، وحضر الرفيق فاسيلي ستالين. كل منا كان يدرك أن هذه العملية قد نظمت بأمر منه بالذات.

استمرت الجلسة أربع ساعات...أربع ساعات من الزمن قاتلت المرأة الشابة . القاضي، ضد اتهامات سخيفة، لا أصل لها. في ذاك الوقت، كان هناك أناس من الصعب التغلب عليهم...وبالتالي أخلي سبيل المتهم". كان فاسيلي يحضر غالباً كل المباريات، وبما أنه كان حامي الرياضة، لم يكن يتميز بين باقي الزوار، فهو لم يصعد أبداً إلى منصة الشرف، بل كان بين المشجعين والرياضيين. لقد تميز برد فعله الساخن في المباريات. كان فاسيلي بقامته القصيرة ومعطفه الجلدي ذي الياقة المصنوعة من الفرو، مع حاشيته الكثيرة العدد، جزءاً لا يتجزأ من كل المباريات العالمية والسوفييتية.

بالمناسبة، علينا أن نتكلم عن حاشية فاسيلي بشكل خاص. لقد دار في إطار حاشيته أناس، لم يخل أمرهم من المصلحة، والذين استخدموا إمكانياته لمصالحهم الشخصية، وهو نادراً ما عارض طلب أحدهم. ألقيت على فاسيلي، كقائد عام للقوات الجوية، مهمة التنظيم والقيادة المباشرة للمهرجانات الجوية، التي كان يحب قادة الدولة آنذاك متابعتها والتمتع بألعابها. لقد حضّرها فاسيلي بدقة وجاهزية كبيرة.

خلق المنصب العالي، وحماية القيادة العليا، لدى فاسيلي جّواً من الإباحة الكاملة وسوء استخدام الحريات. بدأ يشرب بكثرة، وأحياناً لم يخرج للخدمة مدة أسابيع كاملة.

إليكم كيف وصف س.ي.رودينكو حوادث عام ١٩٥٢ والقرارات المأساوية المفاجئة بالنسبة لفاسيلي، التي تلتْ هذه الحوادث، علماً أن رودينكو كان في ذاك الوقت، يشغل منصب القائد العام لسلاح الجو في الشرق الأدنى (بالمناسبة، لم يطابق هذا الوصف وصف س.ي.أليلوييفا في كتابها "عشرون رسالة لصديق"): "....بعد استعراض أيار، تلقيت أمراً من قيادة القوى الجوية لمنطقة موسكو العسكرية، يطالبونني فيه بتنفيذ بعض المهمات، بناءً على أمر القائد العام للقوى الجوية، وبتوقيع نائب رئيس الأركان اللواء تريفونوف. يبدو أن فاسيلي لم يجرؤ على توقيع هذه الرسالة، وإنما أمر تريفونوف، مرؤوسه السابق والذي كان يحبه، أن يقوم بذلك. كان فاسيلي ماكراً في مثل هذه الحالات، لكن في هذه المرة لم يحسبها جيداً. رفضت له آنذاك صيغته تلك، وذكرته كما فعلنا سابقاً، بأنه ليس من العيب، أن يراعي تسلسل الاحترام والتبعية العسكرية.

شكاني فاسيلي لوزير الدفاع فاسيليفسكي، ووزير الدفاع للقائد الأعلى بافل فيودوروفيتش جيغاروف، بتهمة أن رودينكو لا ينفذ أوامره، وبما أن الأمر كذلك، يطلب أن يعفى هو، فاسيلي ستالين، من مسؤوليته تجاه الاستعراض . في اليوم التالي، عقد اجتماع، وقبل فيها جيغاروف استقالة فاسيلي، وترك له قيادة شعبة واحدة فقط. انزعج فاسيلي كثيراً، واسترسل في الشرب، لدرجة أنه سمح لنفسه، أن يأتي إلى البيان التمهيدي للاستعراض ثملاً، حتى إنه حاول أن يقود ويعطي الأوامر وهو في هذه الحالة، لكننا أعطينا أوامر، بنقل الاتصالات على موجة أخرى، وبهذا الشكل، نفذ الطيارون أوامرنا فقط.

أقيم بعد الاستعراض حفل الغداء التقليدي في البيت الصيفي عند ستالين. حضر المكتب السياسي بكامله، وقيادة القوى الجوية وفاسيلي. لم يمتنع عن الشرب حتى في مثل هذا الوسط وجاء ثملاً. أمر ستالين الأب بإخراجه".

في الخريف من نفس العام، وبدون تقديم امتحانات قبول، تم قبول فاسيلي كمستمع في المدرسة الجوية التابعة للأكاديمية العسكرية المسماة باسم فوروشيلوف. كان المعلمون يأتون إليه في شقته. غير موت أبيه حياته تماماً. مساء يوم الأول من آذار عام ١٩٥٣م، اتصل مباشرة هاتفياً بشقة أبيه. لم يرفع أحد السماعة. انتظر بعض الوقت ثم هتف من جديد. في هذه المرة أخذ السماعة الضابط المناوب، وهذا كان أمراً غريباً بحد ذاته، وقال إن ستالين يقضي فترة راحة. في الرابعة صباحاً، اتصل فاسيلي من جديد، وأجابه مباشرة بيريا قائلاً: "الرفيق ستالين مرهق، وعليه أن يرتاح. ليس من الضروري أن تأتي". وعلق السماعة.

وصل فاسيلي إلى مضجع أبيه صباح يوم الثاني من آذار، وقد فهم كل ما حدث مع أبيه من خلال حديثه مع الخدم في غرفة الخدمة، حيث حدثوه هناك، أنه لم تقدم لستالين المساعدة الطبية الضرورية. كل هذا جعل فاسيلي يقول فيما بعد، إنهم "قتلوا" أباه. هنا طبعاً يوجد الكثير من الأمور القابلة للجدل، لكننا نجد بعض المطابقة في حديث الرائد المتقاعد أ.ت.رييينا، أحد ضباط الحرس عند ستالين، ذاك الحديث الذي نشرته مجلة "الأبحاث الاجتماعية . سوتسيولوغيتشيسكي إيسليدوفانيا" في عددها رقم /٣/ لعام ١٩٨٨م.

في السادس من آذار عام ١٩٥٣م، أحيطت الأخبار الأولى للصحف المركزية بإطار أسود فقد نشرت الصحف كلها مايلي: "في الخامس من آذار، في الساعة /٢١/ و/٥٠/ دقيقة، توفي ي.ف. ستالين". في التاسع من آذار، أقيمت في الساحة الحمراء مراسيم دفن ستالين ونقل جثمانه إلى مبنى ضريح ليين...وفي السادس والعشرين من آذار، أقيل الفريق الجوي

فاسيلي ستالين من الخدمة في صفوف القوات السوفييتية بناءً على قرار المجلس العسكري بعد الإطلاع على بيان سلوكيته العسكرية، ووضع فاسيلي في الاحتياط وفقاً للمادة /٥٩/ فقرة "ي" مع حرمانه من حق ارتداء اللباس العسكري.

استناداً إلى أن الفريق الجوي فاسيلي ستالين، البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً، قد خدم مدة أربع عشرة سنة عادية وأربعة شهور، وحسب الشروط الامتيازية . ثلاثين سنة وأربعة شهور، عُيّن له تقاعدٌ شهريٌ بمقدار /٤٩٥٠/ روبلاً، إضافة إلى تعويض خدمة، يقدر بستة أضعاف الراتب المقطوع.

وقّع بطاقة تسريحه رئيس إدارة التجنيد العامة الجنرال أ.س.جيلتوف، واحتفظ بالنسخة الثانية ضمن ملف فاسيلي يوسيفوفيتش ستالين الخاص.

تُحدِّثُنا عن الأحداث المستقبلية في حياة فاسيلي، وبالتفصيل، أخته سفيتلانا أليلوييفا. قالت سفيتلانا، إنه بالرغم من التغيرات الطارئة، التي نتجت عن موت أبي، بقي فاسيلي يعتبر نفسه قوياً وحازماً.

أمضى شهر نيسان عام ١٩٥٣ في المطاعم والحفلات وألحق الإهانات بكل من حوله. في الحقيقة كان يشعر بعدم الراحة قبيل اعتقاله. في الثالث والعشرين من نيسان أتى إلى مبنى أركان القوى الجوية لكي يدفع اشتراكاته الحزبية، لكنهم لم يقبلوها منه، ومن هناك اتصل بمارشال الاتحاد السوفييتي ن.أ.بولغانين، في وزارة الدفاع لكن بولغانين أعرض عن التحدث معه. في الثامن والعشرين من نيسان من نفس العام، اعتقل فاسيلي. وهنا ظهرت على الساحة وقائع المصروفات والخروج عن السلطة. حكمت المحكمة العسكرية العليا عليه بالسجن لمدة ثماني سنوات. لقد روجت بمناسبة اعتقال فاسيلي أساطير وقصص كثيرة، وهي مازالت حية حتى الآن.

في الآونة الأخيرة، أخذت تؤكد الصحف والمجلات، وخصوصاً خلال كانون الأول عام ١٩٨٩ في مجلة "المجلة التاريخية العسكرية"، أن فاسيلي كان مذنباً في اعتقال مارشال الجوية الأول نوفيكوف. تكتب س.أليلوييفا أيضاً عن ذلك في مذكراتها: "عشرون رسالة لصديق". لكن، هل كان الأمر كذلك؟ إن كمية الطائرات لم توافق دائماً شروط استثمارها، وكان تطور سلاح الجو ذي المحركات النفاثة (الطائرات النفاثة) متخلفاً عن السلاح الأجنبي ذاته... كان يعرف يوسف فيسارينوفيتش ستالين بالحالة الفنية والتقنية للسلاح والآليات الجوية بشكل جيد،

ولا يحتمل أن يكون قد سأل ابنه بذلك، وإنما استخلص ذلك من تفكيره، خصوصاً أنه عرف جيداً الثمن الحقيقي لذلك. قد يكون حديث الأب مع ابنه في بوتسدام، والذي يستند عليه الكثيرون، دافعاً لاتخاذ مثل هذا القرار، لكني لا أظن،أن فاسيلي كان يهدف لإقالة نوفيكوف لم يكن أ.أ.نوفيكوف ولا أ.ن.شاخورين، ولا غيرهما من العاملين في مجال صناعة الطيران في يوم من الأيام منافسين لفاسيلي، فهو لم يلحظ عند أيٍّ منهما معارضة. وفقاً لشهادة بوردونسكي، فقد كانا يعاملان فاسيلي بتفهم ومحبة" وتلك كانت علاقته بهما أيضاً.

لم يقنعني حتى الكتاب الذي أصدر في انكلترا تحت عنوان: "خروشوف يتذكر"، والذي يتحدث عن هذا الأمر: "نتيجةً لبحث بيرياومالينكوف ضد الثلاثي اللينينغرادي، طفت على السطح قضية شاخورين...اعتقل شاخورين، لأنه حسب ما قيل قد سمح خلال الحرب بإنتاج طائرات غير صالحة. كنت أنا لا أزال في ذاك الوقت في أوكرانيا. فيما بعد قال لي ماليكوف، أن فاسيا ستالين الطيار نفسه، قد شكا شاخورين لأبيه، وأمر ستالين بإجراء التحقيق في الأمر.... كان المارشال الجويّ أ.أ.نوفيكوف حتى بداية التحقيق اللينينغرادي في السجن. اعتقلوه بعد الحرب على استلامه طائرات غير صالحة. أنا شخصياً عرفت نوفيكوف جيداً، فقد كان يقود القوى الجوية السوفييتية خلال معظم فترة الحرب، وخلال معركة ستالينغراد زارنا في الأركان.

كانت لديه بعض العيوب، فقد كان يشرب، حتى أكثر من اللازم، لكنه كان إنساناً محترماً ومخلصاً ونزيهاً".

نستطيع من أقاويل خروشوف، أن نخرج بنتيجة معاكسة لما أراد هو نفسه قوله، وهي أن بيريا ومالينكوف هما المذنبان في اعتقال الشخصيات المذكورة آنفاً وليس فاسيلي، وهذا الأمر لا يخطى بتأكيد حتى من جانب المعتقلين، ويبدو أن هناك أموراً كثيرة مبنية على شهادات أناس آخرين. في آذار عام ١٩٥٥م، نقل فاسيلي من سجن فلاديمير إلى موسكو إلى المشفى المركزي لوزارة الداخلية، ووضع في القسم الداخلي للعلاج. اشتدت عليه أمراض الجبهة وانفتحت القرحة المعدية خصصوا له غرفة صغيرة خاصة، وطبّبتْهُ رئيسة القسم الداخلي في المشفى ل.س.سميتانينا. مُنِعَ الأطباء منعاً تاماً من سؤاله عن أي شيء، أو نقل أي معلومات عنه لأي إنسان. كان المريض هادئاً، ولم يسمح لنفسه بأي تصرّف امتيازي. ذات مرة خلال استقباله في غرفة رئيس القسم، وعندما بقي وحيداً، استعاد في ذاكرته رقم هاتف غ.ي.دجيدجبيلافا، وعندما رد ذاك على الهاتف، طلب منه أن يزوره في المشفى. إليكم

ذكريات دجيدجيلافا عن هذه الزيارة: "التقينا، وسلّمنا على بعضنا بالقُبَل. لأول مرة رأيت في عينيه الدموع، بالرغم من أنه كان يمقت الرجال الباكين. قال إن حاله سيئة جداً. لا، إن صحته جيدة، لماذا نقلوه إلى المشفى؟ هو نفسه لا يدري ما السبب.إنه يعتبر، أنه مازال في المعتقل. كان من الواجب أن يشرب تكريماً لهذا اللقاء، لكن لا شيء عنده، إنه الآن ليس ملكاً لنفسه. عندها أخرجت من محفظتي زجاجة نبيذ جورجي، فدمعت عيناه من جديد. قال، إني الرياضي الوحيد الذي أتى في هذه الأيام لزيارته". أعادوه بعد ذلك إلى سجن فلاديمير، وزارته هناك زوجته وأخته وأقرباؤه، وحاولوا التخفيف من آلامه. وصفت سفيتلانا تلك الأيام كما يلي: "لن أنسى ذاك اللقاء الرهيب في حياتي. تقابلنا عند رئيس السجن في مكتبه. عُلّقت على الجدار صورة كبيرة لأبي وتحتها جلس رئيس السجن في كرسيه، وعلى الأريكة أمامه فاسيلي. لقد طالبنا أن نبحث له عن مخرج من السجن بأية وسيلة. كان يائساً ولم يُخْفِ ذلك. كان يجول هنا وهناك يبحث عمن يسأله، وعمن يكتب إليه. كتب إلى كل أعضاء الحكومة واعداً ومؤكداً أنه سيكون إنساناً آخر، ومذكراً إياهم باللقاءات السابقة. قالت له كابيتولينا، تلك المرأة القوية الشجاعة: "لا تكتب لأحد، تجلد، لم يبق إلا القليل، كن عزيز النفس". عندها ارتمى عليها، وقال: "أنا أطلب منك المساعدة،وأنت تنصحينني بالصمت". بعد ذلك تحدث معي، وذكر لي أسماء الأشخاص الذين يمكن، حسب رأيه، طلب المساعدة منهم. قلت له: "لكنك تستطيع بنفسك، أن تكتب لمن تشاء، ورسائلك ستكون أشد وقعاً، مما قد أقوله أنا". بعد ذلك، أرسل لي عدة رسائل، يطلب فيها مني أن أكتب الرسائل وأقنع أصحابه بالمساعدة. طبعاً، لم أذهب أنا ولا كابيتولينا إلى أي مكان، ولم نكتب لأحد، وكنا نعرف جميعاً، أن خروشوف يريد مساعدته. بقي فاسيلي في فلاديمير حتى كانون الثاني عام ١٩٦٠ . بعدها طلبني خروشوف من جديد، وعرض علي المخطط الذي نستطيع بموجبه إخراج فاسيلي من السجن، وإعطاءه الفرصة لكي يعيش في المدينة مغيراً كنيته واسمه. قلت له آنذاك، أني أعتقد، أن فاسيلي لن يقبل بذلك. ثم طلب خروشوف فاسيلي، وتحدث معه في هذا الأمر أكثر من ساعة.

مضت سبع سنوات على اعتقال فاسيلي. قال هو فيما بعد، إن خروشوف قد استقبله كوالد له. تحدث الاثنان، وقوّما الوضع، وبكيا معاً، وكل شيء انتهى على ما يرام". بقي فاسيلي في موسكو. مضى الوقت، وبدأ فاسيلي يهتم بأمور القوى الجوية، ويجري اتصالاته مع أصدقائه القدامى في الخدمة. حدثني عن أحد هذه الاتصالات أ.ي.يوروف، الذي كان في أيام الحرب قائداً للفوج التابع لقيادة فاسيلي، وكان في أيام حديثه معي القائد العام لقوى

الدفاع الجوي في الاتحاد السوفييتي: "هتف لي فاسيلي، وأنا في مكتبي. سألني بالتفصيل عن الوضع الحالي للقوى الجوية والآليات، والناس، وعن المشاكل والمسائل التي نعالجها اليوم. اتفقنا على اللقاء، وذهبت أنا، لكن اللقاء لم يتم. فعندما كان في طريقه إلي، وقع فاسيلي في حادث مع ممثل لإحدى السفارات الأجنبية، وتشاجرا أيضاً ". ١".

في نيسان عام ١٩٦٠ أعيد فاسيلي إلى ليفورتوفسك ليكمل مدة سجنه حتى الثماني سنوات. لكن ظروف احتوائه هنا قد تغيرت تماماً، عما كانت عليه في فلاديمير. كان يملك هنا حقوقاً كثيرة، واستطاع حتى أن يكتتب على كتب أدبيةغير موجودة في السوق، ويعطيها إلى ابنته ناديا خلال لقائه معها. خرج من هذا السجن في ربيع عام ١٩٦١ وكان حتى ذلك الحين عاجزاً تماماً تقريباً: يعاني من الكبد وازدياد حدة القرحة.

إليكم ما حدثتني به ابنة فاسيلي . ناديجدا ستالينا: "بعد موت جدي ي.ف.ستالين، كان أبي ينتظر كل يوم، أن يأتوا ويعتقلوه، وقد كان في بيته الصيفي وفي شقته وحيداً تماماً. تركه كل أصدقائه ومناصريه. إن أليلوييفا لا تتحدث عما في ضميرها، عندما تقول، إن أبي قد أمضى آخر شهر في الشرب والسهر. كان يعرف أن الأيام التالية، ستنتهي باعتقاله، لذا على ما يبدو قد طلب مني أن أبقى معه. ذات مرة عدت من المدرسة، ووجدت الشقة خاوية، وهناك تفتيش. عندها ضاعت الكثير من الوثائق دون رجعة. وضع أبي في سجن فلاديمير الثاني تحت اسم فاسيلي بافلوفيتش فاسيلييف، وكنت أزوره أنا وأمي كل أسبوع. كانت تلك لقاءات لساعة واحدة في فترة الغداء، وكان أبي يحب زياراتنا، وينتظرها كثيراً. كان أبي يؤكد لنا خلال اللقاء، أنهم لم يحاكموه. كنا نرى، كيف كانوا يقودونه للقائنا، من خلال الباب المفتوح قليلاً. كان يلبس رداءً دافئاً وقبعة ذات طرفين على الأذنين وجزمة من النسيج القطني السميك ويسير وهو يعرج واضعاً يديه خلف ظهره. وكان يسير خلفه الحارس، يمسك بإحدى يديه حمالة البندقية وبيده الأخرى عصا أبي، التي كانت تعطى له، عندما يدخل غرفة الانتظار. وإذا تعثر أبي، وحرك يديه من خلف ظهره، حصل مباشرة على ضربة بأخمص البندقية. لقد كان فعلاً في حالة يائسة. كان يكتب في الرسائل، التي ينقلها عن طريقنا بالاتجاهات الرسمية، أنه غير مذنب، وكان يطالب بالمحاكمة العادلة، لكن ذلك لم يأت بنفع.

بالمناسبة، بعد اعتقال أبي، حضرت كالعادة إلى المدرسة. وهناك، في غرفة تعليق الثياب، قابلتني مديرة المدرسة. نزعت معطفي عن المشجب بقوة، ورمته في وجهي، وصرخت قائلة: "اذهبي إلى أبيك وجدك!". تأثرت أنا كثيرا، وأجبتها بسرعة: "ليس عندي من أذهب إليه! أبي

في السجن وجدي في القبرا". لكني رغم ذلك اضطررت لترك المدرسة، وكنت آنذاك في الصف السابع.

خلال السنوات السبع التي أمضاها أبي في السجن، كانت الأيام تمضي ببطء شديد. ذات يوم مساءً، كنت أجلس وحيدة في البيت، عندما رن جرس الهاتف. رفعت السماعة، وإذ بصوت مألوف يقول لي: "يا بنتي، هذا أنا أبوك، أتصل من المحطة، سأكون عندك قريباً". اضطربت كثيراً، ولم أدر كيف سألته: "أي بابا؟"، فأجابني بجواب لن أنساه أبداً: "وهل عندك العديد من الآباء. الأب يكون واحداً فقط".

بعد نصف ساعة، وصل أبي، يحمل عقدة بيضاء وسلسالاً على يده. في اليوم التالي، ذهب ليحضر أوراقه، وعندما أرادوا إخراج الجواز الشخصي له، عرضوا عليه أن يغير كنيته، لكنه رفض. بعد ذلك استدعاه شيليبين، وكان الحديث معه طويلاً، وعندما عاد إلى البيت قال، إنه يفضل أن يعيش بدون جواز، من أن يأخذ كنية أخرى. سيُسْكِنونه في البداية في فندق "بكين"، وبعد مضي قليل من الوقت، ينقلونه إلى فرونزينسكايانابيريجنايا عندها فحصه البروفيسور أ.ن.باكوليف، وكانت النتيجة هي كالتالي: القلب جيد والكبد سليم، لكن ما يدعو للخوف هو مرض القدم الناتج من جراء التدّخين الطويل.

ظل أبي حراً مدة شهرين ونصف الشهر فقط. خلال ذلك الوقت، ذهبنا معاً إلى المصحة، وتشمس وشعر بنفسه سعيداً. وذات مرة قدموا له نبيذاً، لكنه أعطاه للممرضة في المصحة.

بعد الاستراحة، أخذ العمل يجذبه. قال لي، إنه يريد أن يعمل مدير مسبح. كان ذلك حلمه. لقد كان إنساناً طيباً جداً. بعد أن نقل إلى سجن ليفورتوفو، أثرت عدم حرية الحركة عليه تأثيراً سلبياً، وأساءت إلى صحته كثيراً. أما ما يخص حادث السيارة، الذي سجن أبي على أساسه في ليفورتوفو، فحسب ظننا أن الأمر كان مدبراً. كان كل ذلك أمام عيني، وكنت مع أبي في السيارة.

بعد خروج أبي من سجن ليفورتوفو، نفوه مباشرة من موسكو إلى كازان مدة خمس سنوات، وبعد هذا كان اتصالنا عن طريق الهاتف فقط. في ١٨/آذار/ ١٩٦٢ هتف لي في البيت، وتحدثنا طويلاً. لقد طلب مني كثيراً أن آتي إليه. لم يحدث اللقاء بكل أسف وهو على قيد الحياة، وما زال موت أبي بالنسبة لي حتى الآن أحجيةً، لا أجد لها حلاً، ولم يكن هناك تقرير عن وفاته".

إن شهادة ابنة فاسيلي ستالين لم تخل من التحيزات العاطفية، لكنها موضوعية بما فيه الكفاية. بعد ما درست بتمعن الأمور التي تخص قضية فاسيلي، وقارنتها مع الشهادات الكثيرة، وصلت إلى نتيجة، وهي أن فاسيلي، قد اعتقل غالب الظن، بناءً على قرار خاص من اجتماع مجلس الأمن الحكومي السوفييتي (ك ج ب)، ولا شك أن ل.ب.بيريا، الذي امتلك في حوزته بعد موت ي.ف.،ستالين الكثير من الوثائق الخاصة، والتي كان بينها ملف يخص بيريا نفسه، قد خاف أن يكون فاسيلي على علم بمضمون هذا الملف فيشي به. لذا فقد قرر هو أولاً القضاء عليه. بما أن فاسيلي كان شخصاً متعجرفاً، فقد كان بإمكانه أن يظهر دواعي كثيرة لاعتقاله، وهذا ما استفاد منه بعض هؤلاء المتسلطين.

في ١٤/تشرين الأول/١٩٨٨م قال لي ديميتري فولكوفونوف بعد لقائه مع ناديجدا ستالينا: "لاشك أن فاسيلي كان ضحية للظروف، لقد تأثر أ.ن.شيليبين كثيراً بصحة ومنظر فاسيلي عندما زاره في السجن، بعد رسالة فاسيلي الاعتيادية له، وبعد عدة أيام من ذلك أخرج فاسيلي من السجن. لكن بعد الحادث، نشأ السؤال من جديد . ما العمل؟ كان واضحاً، أنه سيهلك في السجن، وقرروا نفيه إلى كازان.

عاش فاسيلي في كازان في شقة مؤلفة من غرفة واحدة، وفي الطابق الأخير من بناية مؤلفة من خمسة طوابق، ومبنيّة من البلوك الآجري، وكان يتمتع بامتيازات جنرال متقاعد.

الجدير بالذكر، أنه لم يكن عند فاسيلي حياة خاصة سعيدة. مات في ١٩/آذار/١٩٦٢ وترك سبعة أولاد، أربعة من أولاده الذاتيين، وثلاثة بالتبني.

جاء ليشارك في مراسيم الدفن الكثير من الناس. كان بينهم الطيارون والرياضيون وأناس كبيرون في العمر واهالي كازان، وجرت مراسيم الدفن بشكل عام دون حدوث أية مشاكل. أعطيت تحيات الوداع لفاسيلي بالمستوى اللازم وكما يليق بإنسان محترم.

مضت سنوات كثيرة بعد موت فاسيلي ستالين، وتعاني كازان، حيث يمكث جثمانه، من أوقات عصيبة الآن، وشعبها ما زال يذكر المتوفى. في ٢٨/تشرين الأول/١٩٨٨ نشرت صحيفة "كازان في المساء فيتشيرنايا كازان" مقالة تحت عنوان "المدنسون" وكتب فيها: "هناك في مدفن أرسك قبرٌ، لا يتميز بأي شيء كان... يقف الناس حول السور الحديدي للقبر جامدين بلا حراك...يقرؤون، ولا ينظرون في أعين بعضهم البعض، وتتورد وجناتهم بحمرة الخجل: -أهوَ تمثال؟! إنه يتحمل نتيجة كل شيء . قالت امرأة عجوز.

. يا لها من وندلية! . قال طالب شاب بامتعاض.

أخرجت شابة من حقيبتها منديلاً أبيضَ، وحاولت أن تزيل عن الرخام الأسود بقعة من الدهان النتريتي المتجمد، وهناك شاب رش على الأحرف الذهبية حامض الكبريتيك، إذْ لا تبدو من خلال الخطوط الصدئة الحمراء إلا بصعوبة، وقد جسدت هذه الأحرف العبارة التالية:

* جوغاشفيلي فاسيلي يوسيفوفيتش ١٩٢١/٣/٢٤ . ١٩/٣/ ١٩٦٢ الوحيد من م.جوغاشفيلي".

نعم، لقد فرض القدر على فاسيلي جوغاشفيلي ابن ستالين، أن يعيش السنوات الأخيرة من حياته في كازان. حتى ذلك الحين كان يقاتل.قاتل طيلة الحرب الوطنية العظمى، لذا فقد دفن بجانب مقبرة الشهداء، حيث أوى هناك إلى مثواه الأخير...

كانت هناك على الرخام صورة فاسيلي جوغاشفيلي، لكنهم كانوا قد حطموها عشرات المرات، وأطلقوا عليها النار من بندقياتهم الخفيفة، واقتلعوها مع قطع الحجر الرخامي...

ما السبب؟ لماذا؟ ومن هو ذاك؟ ومن أين أتى هذا الحقد المرضي على الإنسان الذي كان ذنبه، في أنه كان فقط ابن ستالين؟ "لا يحمل الابن ذنب أبيه" . هذا ما أقره ذات مرة ستالين، و....لكن ماذا حدث؟ لقد قتل آلاف الأبناء والبنات، الذين ليس لهم أي ذنب واعتبرهم، أعداء الشعب". هل تريدون أن تعاودوا استخدام الطرق الستالينية؟ أجيبوني أنتم، يا من تدنسون قبر البريء مدة خمس وعشرين سنة...".

تجبرنا هذه المقالة على التفكير قليلاً. كان مصير فاسيلي ستالين صعباً ومعقداً، لكن تحليلات وتقييمات معاصرينا له كانت أعقد وأصعب. لكن شيئاً واحداً هو سيء،وقرار سوئه لا يقبل النقاش، وهو تدنيس القبر بشكل لا أخلاقي. قاتل فاسيلي سبعاً وعشرين مرة، أي أنه واجه الموت سبعاً وعشرين مرة، وهو بهذه المأثرة على الأقل، لا يستحق تلك المعاملة منكم. قالت لي ابنته ناديجدا ستالينا: "لقد طلبنا أكثر من مرة نقل جثمان أبي إلى مقبرة نوفوديفيتشي في موسكو، إلى جانب جثمان أمه ناديجدا سيرغييفنا. كانوا سابقاً يرفضون طلبنا،أما الآن فقد تغير الزمان. نحن أنفسنا لا نستطيع القيام بذلك لا جسمانياً ولا مادياً. أعتقد أن محارب الحرب الوطنية العظمى يستحق، أن تقدم له وزارة الدفاع هذا الواجب.

سفيتلانا

ولدت سفيتلانا أليلوييفا في عام ١٩٢٦ وسجلت منذ ولادتها بكنية ستالينا. أمضت طفولتها في البيت الصيفي في زوبالوف، القريب من موسكو، وهو بيت كان يتبع قديماً لعامل في شركة النفط الصناعية من باتومي. كانت تحيط بها منذ صغرها الحاضنات والمربيات والمدرسات. عاشت مع أمها ست سنوات ونصف السنة فقط، ولم يحتفظ في الأرشيف إلاّ برسالة واحدة من ناديجدا أليلوييفا لابنتها، كتبتها على مايبدو في عام ١٩٣٠ أو ١٩٣١ والتي تعطي للأم الكثير من المواصفات والميزات: "مرحباً، سفيتلانوتشكا!

كتب لي فاسيا، أن البنت الصغيرة تتدلع كثيراً. من المغيض جداً، أن يستلم الإنسان مثل هذه الرسائل التي تتكلم سوءاً عن الفتاة. كنت أعتقد، أنني تركت فتاة كبيرة وعاقلة، وتبين لي، أنها صغيرة جداً، والأهم، أنها لا تستطيع العيش كالكبار. أرجوك سفيتلانوتشكا، أن تتحدثي مع ن.ك (المربية أ.ك)، حتى لا أستلم أكثر مثل تلك الرسائل عنك. تحدثي معها بكل تأكيد، واكتبي لي مع فاسيا أو ن.ك. رسالةً عن الاتفاق الذي توصلتم إليه. عندما سافرت ماما، وعدتها انتبها كثيراً، كثيراً جداً. وعلى ما يبدو، أنها تفعل قليلاً.

إذاً،أريدك أن تجيبني بكل تأكيد، كيف قررت أن تعيشي، جدياً أو بشكل آخر. فكري كما يجب، فالفتاة قد أصبحت كبيرة وتستطيع التفكير. هل تقرئين شيئاً ما باللغة الروسية؟ أنتظر من ابنتي الرد.

ماما

تقودنا رسالة الأم إلى بعض الاستدلالات الجدية. إنها تكتب رسالتها لابنتها البالغة من العمر خمس سنوات، لكن مستوى المخاطبة وطريقة التعامل في غاية القساوة. في الرسالة هناك القليل من حرارة الأم وحنانها، وحتى التوقيع في النهاية "ماما" مقتضب جداً، وغير مرفق بكلمات حنان ومحبة للطفل، التي كان لا بّد منها هنا.

تلقت الفتاة رسالة من أبيها، لكن المضمون كان يختلف تماماً، وكانت الرسائل محررة من قبل الوالدين، وهما يقضيان فترة راحتهما على البحر الأسود. لقد كانت طريقة التعامل بين الأب وابنته من نوع خاص وتتصف بالمرح وملاعبة الأب لابنته: كتبت ابنته في صيغة طريفة "أوامر"، وأجابها الأب كما لو كان يعلمها بتنفيذ أوامرها تلك بحنان، وكما لو كانت صاحبة

أمره. عندما كانت تغضب من الأب، كانت تهدده، بأنها ستشكوه للطباخ، وكان يجيبها الأب: "الرحمة! إذا قلت للطباخ، فإنني سأضيع تماماً".

"إلى ستيانكا . سيدتي!

يبدو أنك نسيت بابكا (بابكا . هي صيغة الملاطفة والتدليع من كلمة "بابا" . م.مترجم)، ولهذا فإنك لا تكتبين له. كيف صحتك؟ آمل أن تكوني بخير وبصحة جيدة! كيف تمضين وقتك؟ ألم تري ليكا؟ كيف تعيشين؟ ظننت أنك سترسلين أمراً بسرعة، وحتى الآن لم أتلق أمرآمنك. هذا ليس جيداً. إنك تغضبين بابكا. أقبلك، وأنتظر منك الرد.

بابكا

وتلك رسالة أخرى:

"مرحباً، ستيانكا!

شكراً على الهدايا، وشكراً على الأمر، واضح أنك لم تنسي بابكا. إذا سافر فاسيا والمعلم إلى موسكو، ابقي أنت في سوتشي وانتظريني، هل تعدينني؟ أقبلك.

والدك

إذا رجعنا إلى الصور، نرى أن الأب السعيد، كان غالباً يلبس جزمته وقبعته على رأسه وابنته بجانبه أو يحملها على يديه. كانت وجوههم سعيدة، وكانت الفتاة في ملابس جميلة دائماً. لا يمكن ألاّ تلاحظ في نظرات الأب حباً عميقاً تجاه ابنته.

تم الاحتفاظ بصور الطفولة أيضاً، حيث كانت سفيتلانا، تجلس على ركبتي ل.ب.بيريا. كانت أيضاً وجوههم سعيدة. كان بيريا يحميها، عندما كانت تسافر إلى جورجيا لزيارة جدتها، وأحياناً كانت تزور بيته، ومن هنا أتت تسمية سفيتلانا له "العم لارا".

لا يمكننا أن نصف طفولة سفيتلانا بأنها سعيدة، بالرغم من حب أبيها لها، والاكتفاء المادي الكامل، وقد تركت هذه الطفولة آثارها السيئة على كل حياتها المستقبلية.

يقول نيكيتا سيرغييفيتش خروشوف، الذي كان في الثلاثينات في بيت ي.ف.ستالين، يقول بعد مضي سنوات كثيرة بعد ذلك: "كانت العلاقات بين سفيتلانا وأبيها معقدة. لقد

كان يحبها، لكنه كان يظهر حنانه لها، كما تفعل ذلك القطة مع الفأر. في البداية أصاب نفسية الطفل بالسوء، والطفلة أصبحت فتاة شابة، والفتاة أصبحت امرأة أصبحت أماً. كانت نتيجة ذلك، أن بدأت تظهر عند سفيتلانا بعض ظواهر الأمراض النفسية.

لقد عرفت سفيتلانا، أن أمها لم تمت ميتة طبيعية، بل انتحرت، لكنها أدركت ذلك متأخرة، عندما أصبحت فتاة بالغة، وقرأت عن ذلك، في وسائل الإعلام الأجنبية، ومن ثم استفسرت ممن حولها عن الحقيقة. كان ذلك النبأ بالنسبة لها طبعاً بمثابة الزلزال، وخصوصاً، عندما عرفت أن أمها قد تركت حسبما قالوا، رسالة أووصية سياسية. هي نفسها لم تر تلك الرسالة أبداً، لكنها سمعت عنها من أحاديث وأقوال الخدم. لم يتم إيجاد هذه الوصية، ولا حتى آثار لها في أرشيفات الحكومة. بعد موت الأم، قضت سفيتلانا أيامها التالية في الكريملين بشكل اساسي، أو في البيت الصيفي بجانب الأب. كان الأب يراقب دراستها، ويهتم بنتائجها كل يوم تقريباً، وكان يوقع دفتر وظائفها باستمرار. لقد كان راضياً عن ابنته، فقد كانت تدرس بشكل جيد، لكنها كانت تطيل في الجلوس مساءً، وتتأخر عن دوامها المدرسي في الصباح. كانت تذهب إلى مدرستها برفقة الحراس، مثل فاسيلي تماماً، وكانت تأكل منعزلة عن باقي التلاميذ. لاحظ المعلمون حبها للقراءة، وقد كتبت مُدَرِّسة الأدب قبل انتهاء المدرسة لأبيها ي.ف.ستالين رسالة، تقول فيها، إنه من المناسب تماماً، أن تتقدّم سفيتلانا للدراسة في كلية الآداب، وهذا ما كانت تريده سفيتلانا نفسها. "أنت تريدين الدراسة في الآداب . قال أبوها بمظهر غير راضٍ . أو تشدّك هذه المعمعة؟ إنهم جميعاً هناك غير متعلمين، وأنت تريدين أن تكوني مثلهم... لا، عليك أن تتلقي تعليماً جيداً، ولنقل، في كلية التاريخ مثلاً. يجب أن تعرفي تاريخ المجتمع، أما الأدب . فهو ضروري أيضاً. ادرسي التاريخ، ومن ثم اقرئي ماشئت".

أصر الأب أن تتقدم سفيتلانا للدراسة في كلية التاريخ في جامعة موسكو الحكومية م غ و، وقد بدأت دراستها هناك في عام ١٩٤٣م. وبعد أن تخرجت، تقدمت مرة أخرى إلى كليةالأدب، وتخرجت منها بامتياز. وجد اهتمامها بالأدب تقييماً جيداً من قبل أبيها، فمنحها مساندته، وتقدمت في النتيجة لدراسة الماجستير والدكتوراه في أكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة التنفيذية للحزب الشيوعي السوفييتي، وعندما دافعت عن مشروعها بنجاح منحت درجة مرشح في العلوم الأدبية (الدكتوراه).

إليكم ما كتب عن دراستها البروفيسور يا.ف.ياسكين من مدينة ساراتوف، الذي كان يدرس في جامعة "م غ و" في تلك السنوات: "كان يمكننا أن نعرف، أن ابنة ستالين تتعلم معنا

من اللوحة. أذكر تماماً تلك اللوحة المسماة "لوحة المتفوقين"، التي كانت معلقة على الجدار عند الساحة المتوسطة للدّرج، المؤدي إلى الطابق الثاني، في مبنى كلية التاريخ، الواقعة على شارع هرتزن. ذُكر على اللوحة أربعة أسماء، كان من بينها اسم سفيتلانا ستالينا. كانت قد تخرجت من كلية التاريخ، قسم التاريخ العام، ودافعت عن مشروع الدبلوم بإشراف البروفيسور زفافيتش. بعد ذلك درست بعض الوقت رسالة الدكتوراه في قسم الماركسية . اللينينية في جامعة (م غ و)، حيث كان البروفيسور المشرف كروتوف، لكنها لم تحاول هنا العمل في الرسالة، وسريعاً ما انتقلت إلى قسم الآداب في أكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي، وهناك دافعت عن رسالة الدكتوراه في موضوع قصة تاريخية، مستخدمة بذلك قاعدتها التعليمية الأولى.

خلال الاحتفال بحلول عيد رأس السنة الجديدة عام ١٩٥٢م، وبحضور عدد غفير من الضيوف، أعطاها أبوها درساً قاسياً، عندما لم ترد، وهي متعبة، الرقص مع أناس أكبر منها سناً، ومخمورين إلى درجة كبيرة، حيث أمسكها ردّاً على امتناعها من شعرها، وشدها إلى وسط القاعة وهي تبكي. كانت إحساساته الأبوية حتى تجاه ابنته، تملك شكلاً تعبيرياً متميزاً.

أثبتت سفيتلانا قدرتها الكبيرة في مجال الأدب، وترجمت من اللغة الانكليزية كتاب "مؤامرة ميونيخ". بعد ذلك، كتبت وأصدرت في الخارج ثلاثة كتب عن مذكراتها الشخصية، في عام ١٩٦٧م . "عشرون رسالة لصديق"، في عام ١٩٧٠م . "سنة واحدة فقط"، في عام ١٩٨٤م . "الأصوات البعيدة". تميزت هذه المذكرات، شأنها شأن باقي المذكرات، باستيعاب وفهم خاص للأحداث والناس، حتى إنه كان فيها بعض المقتطفات التجارية. إليكم مقتطفات من مذكراتها، تحلل فيها تلك المرحلة التراجيدية (المأساوية) من تاريخ بلادنا: "أي أناس كانوا أولئك الناس! أي طباع هادئة ومليئة بالحيوية والنشاط! وأي رومانسية مثالية حملوها معهم إلى القبر . فرسان الثورة الأشاوس وأبواقها وضحاياها ومحرّكوها الذين لم يعرفوا الكلل وشهداؤها الذين ساروا حتى النهاية في طريق النصر!...

لكن...ماذا بشأن أولئك، الذين أرادوا أن يصعدوا لدرجة فوق الثورة، والذين أرادوا أن يسرّعوا الأحداث، لكي يستطيعوا اليوم رؤية نتائج المستقبل، ومن سعى وراء الخير بطرق ووسائل الشر، لكي يُدير بسرعة عجلة الزمن والتقدم . هل حقق هؤلاء ما أرادوا؟

وماذا بشأن ملايين الضحايا التي لا معنى لها، وآلاف العبقريات التي غادرت الحياة باكراً، ومصابيح العقل التي أنارت دروب الحياة فترة قصيرة، وانطفأت دون أن تعلم كيف، والذين لا

يكفي أن نتحدث عنهم، بل حتى أن نذكرهم، لا في عشرين رسالة ولا في عشرين كتاباً سميكاً؟ ألم يكن من الأفضل لهم ولنا، أن يعيشوا على الأرض، ويخدموا مصالح الناس، وليس كما يقولون: "بالموت صحح الموت"، أن يموتوا ولا يتركوا إلاّ أثراً في قلوب البشرية؟.

إن محكمة التاريخ قاسية وصارمة، وستكشف فيما بعد، من كان بطلاً باسم الخير، ومن كان باسم الغرور والتكبر وخلق الفوضى. ليس من حقي أن أحكم، فأنا لا أملك أي حق على ذلك، وإنما أملك فقط ضميراً، وضميري يقول لي، إنك إن لم تري الخشب في عينه، فلا تدلّي على وسخهِ في عين غيره (بما معناه بالعربية: "إذا لم تجد العيب فيه، فلا تبحث عن هذا العيب في غيره" . م.مترجم).... كلنا مسؤولون عن كل شيء. فليحكم أولئك، الذين سيكبرون بعدنا، والذين نعرفهم نحن. فليأت شباب شجعان، يعتبرون تلك السنوات، كأنها سنوات حكم إيفان المخيف (غروزني)، وكأنها سنواتٌ بعيدة مجهولة ومخيفة...لا أظن أن أولئك الشباب سيسمون وقتنا هذا "تقدمياً"، ولا أظن أنهم سيقولون، إنّه كان "في مصلحة روسيا العظمى"...لا أظن ذلك...". أعتقد أنها استطاعت أن تتنبأ، وبدقة متناهية، بالتقييمات التي أعطاها معاصرونا للجرائم القاسية التي حدثت في سنوات الاضطهاد، وفي فترة عبادة شخصية ستالين، في الوقت الذي قتل فيه ملايين الناس دون ذلك، والذي كان فيه خرق القانون مبرراً تحت ميزة القيادة السياسية. لكن الزمان وضع كل شيء في مكانه. بدأت عمليات إعادة مساري العدالة إلى مجاريها الطبيعية مباشرة بعد عام ١٩٥٣ وقد بدأها ن.س.خروشوف، واتخذت طابعاً ثورياً في عصرنا هذا . عصر البيريسترويكا وتطور الديمقراطية وتجديد كل جوانب الحياة الاجتماعية.

.... لقد أدخل موت ستالين، بكل تأكيد، تصحيحات جدية في حياة سفيتلانا المستقبلية. كان موت أبيها بالنسبة لها زلزالاً، واعتبرته هي مأساةً عظيمة، لأنه غادر الحياة أحد أكثر الناس المقربين إليها، والذي أحبها وأحبته، والذي اعتبرته لسنوات طويلة الرجل الأقوى والقادر على التغلب على كل شيء، بالرغم من أن مؤشرات هرمه لم تكن مجهولة بالنسبة لها. غالب الظن، أنها قد عانت كثيراً من فضائح جرائم ستالين، تماماً كما عانت أمها يوماً ما، وقد أصاب سفيتلانا يأس عظيم. فيما بعد لم تعد "الطفل المدلل". وعاشت عشر سنوات صعبة لنفسها بعد مؤتمر الحزب العشرين، في ظروف تختلف تماماً، عن ظروف عام ١٩٥٣ هذا على الرغم من أنها كانت تتمتع بامتيازات وأفضليات كثيرة.

في عام ١٩٦٢ لم تحضر حتى مراسيم دفن أخيها فاسيلي في كازان، وسبب ذلك على ما

يبدو حالتها الصحية. في موسكو، توجهت إلى ك.ي.فوروشيلوف وأ.ي.ميكويان بطلب للسماح لها بدفن أخيها في مقبرة نوفوديفيتشي بجانب أمها. لم تكن سفيتلانا تحب زوجة أخيها الجديدة، وهذا ما كانت تشير إليه الكثير من الحقائق، وهي لم تعاشرها، ولذا لم تكن لتعرف حقيقة ما حدث هناك أو كيف تم زواجهما. بناءً على ذلك كتبت سفيتلانا تقول: "كانت كل كازان تقريباً حاضرة على مراسيم الدفن...نظر الناس إلى الأولاد وكابيتولينا بتعجب. كابيتولينا هي الممرضة، التي لحقت وسجلت زواجها مع أخي قبل موته، وهي تؤكد أنها كانت طول العمر "صديقته المخلصة". لقد سمحت بصعوبة للأطفال بالاقتراب من التابوت!".

أعتقد، أن س.أليلوييفا لم تملك حججاً دامغة تثبت ذلك.

كانت حياة سفيتلانا صعبة بما فيه الكفاية. في السابعة عشرة من عمرها أحبت ألكسي ياكوفليفيتش كابلر البالغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً. عرف أبوها بذلك، وقال: "أنا على علم بكل شيء...صديقك كابلر هو جاسوس انكليزي"، وأنا أجبته: "لكني أحبه!"، عندها صرخ بوجهها بحقد وغضب كبيرين قائلاً: "تحبينه؟!". ثم صفعها مرتين ولأول مرة في حياته، وتوجه إلى المربية وأعقب: "أترين، إلى أي حد وصلت بها الوقاحة؟! الحرب دائرة، وهي مشغولة.." وتتلفّظ بكلمة رجالية مقذعة".

أمضى كابلر في السجن عشر سنوات...

تزوجت سفيتلانا وهي طالبة من غ.ي.موروزوف، ابن المدير التجاري لمصنع العطورات في موسكو. درس غريغوري في صف واحد مع أخيها فاسيلي. زار ذات مرة بيتهم، ومن الطبيعي جداً، أن تعجبه تلك الفتاة الشابة الجميلة والذكية والمثقفة.

مثلما اعتقل الكثير من أقرباء زوجة ستالين ن.س.أليلوييفا، اعتقل أيضاً والد زوج سفيتلانا بتهمة ملفقة، وبقي في السجن ست سنوات، حتى عام ١٩٥٣م، وقد بنيت التهمة، كما قيل، على أساس تغيير كنيته موروز إلى موروزوف، بالرغم من أنه قد كتب على قبر جده، الذي مازال صامداً حتى يومنا هذا، كنية "موروزوف". لم يعارض والد سفيتلانا، كما ذكرت هي، زواجها، لكنه لم يتقابل مع زوجها أبداً، ولم يتدخل ستالين في أمورهما العائلية.

تفككت هذه الأسرة بعد ثلاث سنوات، وقد أنجبت سفيتلانا من هذا الزواج صبياً. وما يدهش كثيراً هو ردة فعل محيط ستالين الشديدة على التغيرات التي حصلت ضمن أسرة

القائد الكبير. أعقب ذلك مباشرة سلسلة من الطلاقات على أساس قومي وإقليمي، وأول مثال لذلك كانت ابنة مالينكوف فاليا، التي تركت زوجها الأول شامبرغ، بالرغم من أن ماليكوف نفسه، لم يكن أبداً ضد الزواج المختلط. بعد ذلك تزوجت سفيتلانا من يو.أ.جدانوف، وقد غيرت كنية ابنها من زواجها الأول ليأخذ كنية زوجها الجديد "جدانوف" وذلك نكاية بالأول. وفقاً لشهادة سفيتلانا، لم يكن هذا الزواج زواج حب، ولم يكن ارتباطاً مقروناً بالعقل والتفكير السليم، ولم يجلب هذا الزواج السعادة لسفيتلانا، وسريعاً ما طُلِّقتْ، وربت ابنتها كاتيا من جدانوف من دون زوج. عاشت سفيتلانا، بعد تخرجها من المدرسة، بشكل مستقل عن أبيها. وقد خصصت لها شقة جيدة بطلب منها في بيت على الشاطئ. عاشت سفيتلانا في ذاك البيت حتى عام ١٩٦٧م، وعاش فيه أيضاً ابنها يوسف بعد رحيلها من الاتحاد السوفييتي.

بعد عام ١٩٥٣ تغيرت حياة سفيتلانا وتغير عالمها الداخلي الذي أثر على طابع حياتها بشكل عام. يبدو أن التغيرات في المجتمع السوفييتي، قد أثرت عليها كثيراً. لم تستطع أن تركز اهتمامها على نشاط معين. عملت لفترة قصيرة في معهد الآداب، ثم في وكالة "نوفوستي". يحتمل أن العمل لم يأت لها بما يكفيها. تغيرت أيضاً علاقات الناس الذين يعرفونها . من التصلّق إلى العداوة، من علاقات المحبة السابقة إلى علاقات النبذ والابتعاد، ومن العلاقات الجيدة إلى علاقات في غاية السوء. اتجهت سفيتلانا نحو الدين، وأجابت في موسكو عن سؤال مراسل وكالة "رويتر" تشارلز بريمنر في عام ١٩٨٤م قائلة: "تعمدت في موسكو في أيار عام ١٩٦٢م. أنا إنسانة مؤمنة وهذا أمر لا ريب فيه، بالرغم من أن تبعيتي الشكلية للكنيسة، والطقوس الدينية الشكلية، لا تلعب بالنسبة لي دوراً هاماً، ولا تملك أهمية كبيرة. حتى إنّني أجرؤ أن أقول، إنه لولا إحساسي الروحي الديني العميق، لما كان لدي ببساطة هذا الذنب المريع، الذي علق بعنقي طولَ هذه السنوات، ولما جئت في النهاية إلى وطني. نعم أنا إنسانة متديّنة حتى اليوم".

يعكس توجهها إلى الرب، غالب الظن، بحثها عن دلالات أخلاقية جديدة. يتوجه الناس إلى الدين عادة نتيجة لليأس في معيشتهم ومحيطهم، أو على العكس، بسبب البحث عن قيم اخلاقية عليا. قد يكون عند سفيتلانا كلا الدافعين، لكن الواقع يبقى، هي أنها كانت يائسة جداً من كل من يحيط بها، وحتى من نفسها. بالرغم من أنها تملك قدرات مهنية كبيرة، ومستوى علمياً عالياً، لكنها فقدت أي آفاق مهنية، ولم تجد مثل هذه الآفاق حتى في حياتها الخاصة.فجأة فقدت حياتها معناها وهي في أوج ازدهار قواها الحياتية والإبداعية.

إذا عدنا للمرحلة التي وصفتها، نجد أن طابع التديّن واضح هناك تماماً: "وعندما أموت، ليضعوني هنا في الأرض، في ردماشكوفو في المقبرة بجانب المحطة على التلة . هناك منطقة فسيحة، وكل شيء مرئي، والحقول والسماء تحيطان بالمكان من كل جانب...وهناك على التلة كنيسة قديمة وجيدة . إنها في الواقع غير صالحة وليس فيها مصلون، لكن الأشجار حولها والنطاق الأخضر ينتشر في كل مكان، وهي تقف بإباء وسط هذه الخضرة الكثيفة، وتتابع بالرغم من ذلك مهمتها الروحانية في خدمة الخير الأزلي على الأرض".

لكن، ما الذي جعلها ترحل من الاتحاد السوفييتي، وترمي بكل شيء، حتى بالأولاد والأصدقاء والمقربين؟ تقول نظريتها المعلنة رسمياً بذلك: "... لم يكن سبب عدم عودتي في عام ١٩٦٧ سياسياً أو إنسانياً. أريد أن أذكر هنا، أنني عندما كنت أنوي السفر إلى الهند آنذاك، لنقل جثمان صديق هندي إلى هناك، لم اكن أنوي الهجرة، بل كنت آملة أن أعود إلى البيت بعد شهر من ذلك. إلاّ أنني كرست نفسي في تلك السنوات لمبدئية ومثالية عمياء تسمى "العالم الحر"، ذاك العالم، الذي لم يعرفه أبناء جيلي أبداً".

إذا سلّمنا بأفكارها، التي عبرت عنها في كتاب: "عشرون رسالة لصديق"، فهذا يعني، أنها خلال خمسة أسابيع فقط، قضتها في صيف عام ١٩٦٣ في بيتها الصيفي في قرية جوكوفكا، استطاعت أن تصفي حسابات حياتها بإيمان، تماماً كما لو كانت أمام البابا في الكنيسة تعترف بذنوبها ويعطونها حسناتها. "لم يكن عندي مآثر، ولم أكن ألعب دوراً على المسرح، وإنما انقضت حياتي كلها خلف الكواليس. أوليس المشهد ممتعاً هناك؟ هناك ظلام تقريباً، وأنت ترى الجماهير في الصالة، وترى تصفيق الأيادي، والناس السعداء المهتمين بما يقال على المسرح وترى الأضواء المدهشة والتزيينات المسرحية والممثلين الذين يلعبون دور الملوك والآلهة والخدم وغيرهم، وترى كيف يلعبون وكيف يتكلمون مع بعضهم كأناس عاديين. خلف الكواليس هناك جو نصف عاتم، وتشتمُّ رائحة الفئران والصمغ والتزيينات القديمة المهترئة، لكن المراقبة من هناك ممتعة للغاية! هناك يقضي فنانو المكياج حياتهم، وكذلك الملقنون ومرتبو الأزياء المسرحية، الذين لا يبدلون حياتهم هناك بأي شيء آخر، ومن مثلهم يعرف، أن الحياة كلها ليست إلاّ مسرحاً كبيراً، لا يستطيع الإنسان فيه أبداً، أن يحصل باستمرار على ذلك الدور الذي خصص من أجله بالذات. المسرحية تسير، والعواطف تشتعل، والأبطال يلوحون بسيوفهم، والشعراء يقرؤون ملاحمهم، والملوك يتوجون، والقصور التمثيلية الخيالية تتحطم، ويقام بدلاً منها قصور أخرى برمشة عين. ياروسلافنا تبكي، وتطير الجنيات والأرواح الشريرة، ويظهر خيال الملك، ويعاني هاملت، ويصمت الشعب..."

يحتوي كتاب س.أليلوييفا " عشرون رسالة لصديق" مجموعة تقييمات وآراء متضادة لمجموعة من الناس، لم تُعطَ مواصفات وسمات الأحداث المتعلقة بهم دائماً بشكل موضوعي. تحدثت مع الكثير من الناس، الذين عرفوا سفيتلانا بشكل جيد، قبل رحيلها من الاتحاد السوفييتي بقليل، ويرى هؤلاء سبب اللاموضوعية تلك، في أنه قد نشر في كتابها مقتطفات من يومياتها، لم تكن مخصصة للطباعة في البداية. كان هناك بعض الأحداث في الكتاب، التي لم تتحلَّ بالمنطقية الداخلية. لقد كتبت عن زوجها الأول غ.ي.موروزوف، أن ي.ف.ستالين لم يتلاق معه أبداً. هل يمكن لهذا أن يحدث؟ فلقد عاشوا كلهم في الكريملين، وفي شقة واحدة، ولقاؤهم كان أمراً لا مفر منه. يمكننا أن نفترض، أنه عندما كتبت أليلوييفا كتابها وحضرته للطباعة في الخارج،استثنت وأبعدت زوجها الأول ن.ي.موروزوف قصداً، خوفاً من أن يصادف بعض المتاعب في وطنه من جراء ذلك. يبدو أنها كانت تأمل، أنه لن يترك الأولاد وحدهم في اللحظات الصعبة، وسوف يساعدهم: وهذا فعلاً ما حدث، وإحساس الأم في مثل هذه الحالات لا يخيب فعلاً.

مضت أربع سنوات بعد عام ١٩٦٣ وأصبحت سفيتلانا إنساناً آخر تماماً، قادراً على القيام بأي خطوة جذرية في حياته، حتى لو اضطره الأمر إلى تخطي أغلى شيء في الدنيا، وهو الوطن. في تلك السنوات، كما هو اليوم، شاعت عن حياتها الخاصة الكثير من الحكايات والأقاويل، وحُدِّدَ الكثير من أسباب هجرتها من الاتحاد السوفييتي. أظن، أن الكثير من تلك الأسباب الواردة لم تملك أساساً منطقياً من الصحة، وتبنى نشأتُها فقط على غياب المعلومات الصحيحة. قال ن.س.خروشوف بهذا الشأن: "كنت دائماً، أنزعج عند سماع الشائعات عن سلوك سفيتلانا السيء وعن عدم إخلاصها لزوجها كما يقال. لقد عاشت زمناً طويلاً دون زوج، وهذا لا يمكن اعتباره أمراً طبيعياً. كان عندها ولدان، صبي من زوجها الأول،وبنت من زوجها الثاني الأصغر جدانوف، وإن فضيحة ستالين في استخدامه السيء لسلطته كانتبمثابة ضربة قاسية جداً لها.

حدثني ميكويان فيما بعد، أن سفيتلانا كانت قد توجهت إليه لطلب النصيحة...كانت تريد الزواج من صحفي هندي، وقالت لميكويان، إنها تحب ذلك الإنسان. قال ميكويان: "طلبت مني رأيك أنت بهذا الشأن". أنا كنت مندهشاً لأنها تسأل عن رأيي. برأيي أن هذا الأمر يخصها هي ولا أحد غيرها، وهذا ما قلته لميكويان: "إذا كانت تعتبره إنساناً جيداً ويستحقها، فلتتزوّجه، مهما كان رأيها، سوف لن نتدخل، وإذا لم يكن هذا الإنسان مواطناً

سوفييتياً، فهذا الأمر لا يعتبر عائقاً، إذا كانت فعلاً تحبه". وتزوجت سفيتلانا الصحفي الهندي. لقد كنت راضياً، وكنت أريد فعلاً، أن تكون قادرة على بناء حياتها الخاصة بنفسها.

كان موت زوجها الثالث ومراسيم دفنه آخر قطرة ملأت كأس صبرها. إنها الآن تعيسة تماماً". بعد رحيل سفيتلانا من الاتحاد السوفييتي، نزعوا عنها الجنسية السوفييتية. في الخارج، كرست الصحف المرموقة لها صفحاتها الأولى. طبعت في أمريكا أفضل الكتب bestseller بشأنها، ومعها ارتفعت شهرة سفيتلانا. كتبت صحيفة "فرانس سوار" عن "قصص الحب المأساوية لسفيتلانا"، وعلقت صحيفة "يومانيتي ديمانش" على خطواتها الأولى خارج الاتحاد السوفييتي كما يلي: "وهكذا، أصبحت حياة س. أليلويفا موضوعاً للعرض أمام الناس. مما لاشك فيه، أن بعض الصحفيين من وراء المحيط، ممن لا يشعرون بعذاب الضمير أبداً، ومما لا يمتلكون الكثير من الحياء والخجل، سوف يضيفون الكثير من عندهم، مما يسمونه هم "الخبر المغري Piquant". صرّح إيمانويل داستي دي لافيجيري لصحيفة "فرانس سوار" أن أمنية سفيتلانا الكبرى، هي أن تعود إلى الهند، وتقضي حياتها هناك "بهدوء". علينا فقط أن نذكر ونؤكد، أن هذا الهدوء عادة يبدأ بصخب كبير، وإذا كان قدرها أن تتنقل هنا وهناك في العالم"، فإن هذه التنقلات لا تبدو أبداً من غير مصلحة. إن الأحاسيس والمشاعر الرائعة تحرك دائماً بعض المخاوف، عندما يصبح الدولار حليةً لها.. كما أني أظن، أنه من غير المتوقع، أن يجلب الدولار السعادة لهذه المرأة.."

أصاب الصحفي الفرنسي أنري فورداج، إذا صح التعبير، الهدف في منتصفه. لقد تنبأ لسفيتلانا بأشياء كثيرة، وبدقة متناهية لفترة تزيد عن عشرين سنة إلى الأمام، تلك الفترة التي كانت صعبة جداً بالنسبة لها.

تم بيع النموذج الصحفي "ذكريات" إلى المجلة الأسبوعية "شبيغل" الصادرة في هامبورغ بقيمة /٤٨٠٠٠٠/ مارك، وهذا ما كان يعادل /١٢٢٠٠٠/ دولار. بدأت سفيتلانا حياتها في الخارج بلا هموم.

هناك سؤال يفرض نفسه: كيف ظهرت المخطوطات اليدوية في الخارج؟ وكيف ظهرت مجموعة كاملة من الصور معها؟ هل نفذت هذه الخطوة لأول مرة، أم كانت مدروسة من قبل؟.

لقد علمت، أن المخطوط اليدوي لكتاب "عشرون رسالة لصديق" أخذته أليلويفا معها في محفظتها التي كانت تحوي وعاء فيه رماد جسد زوجها.

تعالوا لنعود إلى المؤتمر الصحفي الذي انعقد في السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٨٤م في قاعة المؤتمرات التابعة للاتحاد النسائي السوفييتي فرع موسكو.

إليكم أسئلة اثنين من الصحفيين:

بيتر بيتسِزْ مراسل مجلة "شتيرن":

. السؤال يخص المذكرات التي نشرت في مجلة "شتيرن". منذ سبعة عشر عاماً، كنت قد نشرت في أمريكا كتابك الأول، حيث كنت تتحدثين عن مخطوط يدوي، كان قد سرقته المخابرات السوفييتية (ك ج ب)، وقد جاء بنصه إلى ألمانيا فيكتورلوي، ونشر في مجلة "شتيرن". هل تريدين الآن إقامة علاقات جديدة مع هذا السيد؟

س. أ. أليلوييفا:

. أنا لم ألتق في حياتي فيكتورلوي، وليس لدي الآن أية رغبة في لقائه. لقد نقل هذا السيد فعلاً في صيف عام /٦٧/ نسخة من النسخ التي بقيت في موسكو، وأتى بها إلى انكلترا مع مجموعة كاملة من الصور، أُخِذَتْ من بيتي. إنه يحاول نشر هذا المخطوط اليدوي في مجلة "شتيرن" أنا نفسي رأيت تلك الصفحات... هناك الكثير من الإضافات، ولقد أعطى هو للصور تفسيراً زائفاً وغير صحيح، لأنه لم يعرف من هذا وما هذا. هذا هو الصحيح! إني أكرر، أن فيكتور لوي يستند في كتاباته، إلى أنه على حد قوله كان يعرفني، وإلى ما هنالك من الأكاذيب والدعايات. أنا لم ألتق بهذا الشخص أبداً، وآمل ألا نلتقي.

سيرج شينيمان، مراسل صحيفة "نيويورك تايمز":

. السيدة أليلوييفا، لقد ذكرت في تصريحك، أنك خلال إقامتك كنت في أيدي...أو كانوا يتحكمون بك، واقصد هنا الاستخبارات المركزية الأمريكية (إذا لم أكن مخطئاً فقد ذكرت الاستخبارات المركزية في حديثك)، ولم يمنحوك الإذن كي تعيشي في دولة صغيرة معتدلة، وعلى ما أذكر، كنت قد ذكرت سويسرا. هل يمكنك أن تخبرينا، من وكيف لم يسمح لك بذلك؟

س.أ.أليلوييفا:

. لقد قلت من البداية، إنني ما إن وصلت إلى الولايات المتحدة، حتى وجدت نفسي أولاً بين يدي مؤسسة حقوقية قوية جداً من نيويورك، وكانت تلك المؤسسة يداً للحكومة في كل

ذلك. عندما كنت في سويسرا عام ١٩٦٧ أعطوني لأوقع بعض الأوراق السرية، التي لم أفهم معناها، ولم يحاولوا هم أن يشرحوا لي معناها. هذه الأوراق، التي وقعتها، وضعتني في موقف إنسان محروم من كل الحقوق: فقد خسرت كمؤلف كل حقوقي الخاصة بكتابي، وكان يتوجب علي أن أفعل ما تقوله لي تلك المؤسسة. أذكر، أنهم عرضوا علي أن أسافر إلى هناك ثم أعود إلى هنا. كنت أريد أن أمضي الشهور الأولى في نيويورك، لكي أرى هذه المدينة وكل شيء فيها، لكنهم كانوا يرسلونني من مدينة لأخرى، وكان الأمر بالنسبة لي غير ممتع أبداً. أنتقل الآن إلى كتابي الأول: "عشرون رسالة لصديق". كانت تلك المؤسسة على تماس مباشر مع المكتب الحكومي ومكتب الاستخبارات المركزية الأمريكية. فيما بعد بدأ الحديث عن كتابي الثاني، لأن مذكراتي عن طفولتي وعائلتي لم ترض أمريكا، لذا كانت كتابتي لكتاب "سنة واحدة فقط" عملاً إبداعياً جماعياً بكل معنى الكلمة، وقد كانت هناك بعض الصفحات عن الهند والتي كتبتها أنا وكما أريد، والتي اعتبرها صفحاتي الشخصية في هذا الكتاب. فيما بعد، بدؤوا يتحدثون معي، ويخبرونني بما علي أن أكتبه وألا أكتبه، وأنه يجب أن أزيل خبر سفري بالطائرة من نيودلهي عبر روما إلى سويسرا. قرأ النص اليدوي كثير من الناس، وقد ذكرت معظمهم في النهاية، حيث عبرت لهم عن شكري، وهذا مالم يعارضوا عليه، لكن هناك بعض الأشخاص لم أذكرهم، لأنه من غير المقبول ذكر أسماء الأشخاص العاملين في دائرة الاستخبارات intelligence.

تعالوا الآن لنحلّل الإجابات. أظن أنه من غير المحتمل، أن يكون المخطوط اليدوي مخصصاً للنشر في الاتحاد السوفييتي، وخصوصاً في تلك الفترة. وقعت أليلوييفا في وضعية مزدوجة التأثير. من جهة، حاولت في المخطوط، وفي روح القضاء على عبادة الشخصية، أن تدين الاضطهاد الستاليني، الذي أدى إلى الكثير من الضحايا، وقد قالت هذا في عام ١٩٦٣م. من جهة أخرى، ومنذ عام ١٩٦٤ وحتى رحيلها من الاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٧ بدأت بالنسبة لها فترة الصمت والدفاع عن الستالينية وتبريرها. يبدو أن سفيتلانا كمؤرّخة وأديبة اضطرت إلى الاختيار بين أمرين: إما أن تحكم على مؤلفها بعدم الشهرة، أو تقوم بالخطوة الأزلية التي تستطيع أن تفتح لها صفحة جديدة من بيوغرافيتها. إنها لم تُعْرَفْ في بلادنا أديبة قبل عام ١٩٦٧م، وقد كانت بالنسبة للكثيرين ابنة ستالين، وكان الاهتمام بشخصيتها، بالرغم من قدراتها الرائعة، متعارضاً تماماً مع ما كانت تريده هي. لذا أظن أن المخطوط اليدوي لم يصل إلى خارج الاتحاد السوفييتي عن طريق المصادفة. لنحاول الآن أن نتصور تلك الحالة، فيما لو أن المخطوط نشر خارج الاتحاد السوفييتي، بينما كان المؤلف داخل الاتحاد السوفييتي. أظن أننا

نعرف جميعاً إلى ماذا سيؤدي هذا على مثال ب.باسترناك وحتى ن.س.خروشوف. كما يمكن لأليلوييفا أيضاً، التي كانت تتمتع بقوة إرادة كبيرة، أن تتوقع إلى أين يوصلها هذا الأمر.

يؤكد أيضاً هذه الفرضية، أن سفيتلانا كانت تطمح لأن تكتب بنشاط خارج الاتحاد السوفييتي، وتمارس اللغات وتقلب الصور، ويدل نشاطها وتحليل حياتها بعد عام ١٩٦٧ أن شيئاً ما قد تسنى لها من ذلك، لكن ليس كل شيء، وهذا على ما أظن كان الدافع لقولها بعد عدة سنوات: "كانت حياتي في الغربة تفقد معناها تدريجياً. لم يكن هدفي الغنى والثروة، بل العيش في وسط الكتاب والفنانين والرسامين وأبناء الطبقة المثقفة. لكنني لم اصل إلى هدفي".

تنتقل الآن مؤلفات سفيتلانا أليلوييفا، وهي كما ذكرنا سابقاً: "عشرون رسالة لصديق"، "سنة واحدة فقط" من يد لأخرى بنماذج متنوعة ومختلفة وبترجمات غير معقولة أبداً، وهناك الكثير من مواطني الاتحاد السوفييتي من مختلف المدن والقرى يستشهدون بهذه الكتابات في رسائلهم.

يعتبر الكثيرون، أنها سافرت من الاتحاد السوفييتي بضغط من نيكيتا سيرغييفيتش خروشوف. هذا ليس صحيحاً. عندما عرف خروشوف،أنها لن تعود إلى وطنها، تأثر كثيراً، لكنه حاول أن يضع نفسه في مكانها. إليكم ما كتب خروشوف بهذا الشأن: "إن هروبها إلى الغرب هو تصرف غير صحيح أبداً، وليس له أي مبرر، إلاّ أن لهذا الأمر وجهاً آخر أيضاً. لقد قامت فعلاً بعمل أحمق، لكن الناس هنا عاملوها أيضاً بفظاظة وأهانوها. بعد أن دفنت رماد زوجها في الهند، توجهت إلى سفارتنا في دلهي. كان سفيرنا في الهند آنذاك بينيديكتوف، وكنت أعرفه جيداً، فقد كان إنساناً ذا آراء صارمة ومحددة جداً. قالت له سفيتلانكا، إنها تريد أن تبقى في الهند لعدة أشهر، لكن بينيديكتوف نصحها بالعودة إلى الاتحاد السوفييتي على وجه السرعة. كان ذلك غباءً من جانبه. عندما يقول السفير السوفييتي لمواطن سوفييتي، إن عليه أن يعود بأسرع ما يمكن إلى الاتحاد السوفييتي، فإن ذلك سيزرع الشك في نفس ذاك المواطن، ولقد عرفت سفيتلانا كثيراً مثل هذه التطبيقات السياسية. لقد عرفت أن هذا التنبيه، هو بمثابة تعبير عن عدم الثقة بها، وليس خوفاً على سلامتها. إنهم قد عبروا لها عن عدم الثقة بها، عدم الثقة السياسية بها، ونهاية هذا الأمر عادة كانت سيئة. إن مثل هذا التكتيك كان مهيناً ودنيئاً، ويفقد توازن حتى ذاك الإنسان الذي يتميز برباطة جأش قوية، أما سفيتلانا فلم يكن لديها آنذاك رباطة الجأش الكافية، وهذا ما قيل في كتابها. لم تصمد، وطلبت المساعدة من سلطات الدول الأخرى. إن المذنب في هروبها، هم أولئك الناس الذين استخدموا معها

الإجراءات السياسية، بدلاً من أن يظهروا لها الاحترام والعناية، اللذين يجب أن يظهروهما لأي مواطن سوفييتي يطرق باب السفارة. ماذا برأيي كان يجب أن يفعل؟ أنا متأكد، لو أنهم تعاملوا معها بشكل آخر، لما حدث هذا الأمر المؤسف. عندما أتت سفيتلانكا إلى السفارة، وأعلنت أن عليها أن تبقى في الهند لشهرين أو ثلاثة أيضاً، كان يجب أن يقولوا لها: "سفيتلانا يوسيفوفنا، لماذا لثلاثة أشهر فقط؟ خذي تأشيرة لسنة أو لسنتين أو لثلاث. تستطيعين أن تحصلي على تأشيرة وتعيشي هنا إن أردت، وعندما تصبحين جاهزة للعودة، تستطيعين العودة إلى الاتحاد السوفييتي في أي وقت تريدين". لو أنهم أعطوها فرصة، كي تختار بنفسها، لحافظت على هدوئها ورباطة جأشها. أنا متأكد، لو أنهم تعاملوا معها بهذا الشكل، وكان لديها بالفعل كتابٌ جاهز للطباعة، فمن المحتمل جداً أنها كانت ستلغي طباعته، أو أنها ستصيغه من جديد. إلاّ أن طريقة التعامل جعلتها تفهم، أنها مشكوك بأمرها، وتقع العين عليها. سفيتلانكا امرأة ذكية، وفهمت ذلك، وتوجهت مباشرة إلى السفير الأمريكي. بهذا الشكل وصلت سفيتلانا إلى سويسرا، ومن هناك إلى أمريكا، وقطعت علاقتها بوطنها إلى الأبد، تاركة وراءها ولديها: ابنها وابنتها، وأصدقاءها. لقد خسرت كل شيء غالٍ لديها،وبهذا خسرت حياتها كمواطن سوفييتي. إني أشفق كثيراً على سفيتلانكا! مازلت أسميها "سفيتلانكا" حسب العادة، بالرغم من أنها قد كبرت منذ سنوات عديدة، وأصبحت بالفعل سفيتلانا يوسيفوفنا.

لكن، ماذا لو أنهم عملوا وفقاً لتعليماتي، ومع ذلك لم تعد سفيتلانكا من الهند؟ لو حصل ذلك، لكان الأمر سيئاً، لكن ليس أسوأ مما حدث. في واقع الأمر، لما كان سمح لها بالعودة لأن النظام القائم بالهجرة والجوازات وإعطاء التأشيرات يعارض ذلك. إن ما حدث مع سفيتلانكا يؤلمني كثيراً، لكني أظن أنه مازال هناك أمل، فقد تعود. من المحتمل،أنها ستبدأ تفكر أكثر وأكثر بالعودة إلى أولادها، وعلينا أن نعطيها فرصة أخرى. لابد لها أن تدرك، أنها لو عبرت عن رغبتها بالعودة إلى وطنها، فإن المسؤولين هنا سيساعدونها بكل سرور، وهم لن يستخدموا ضدها لحظة ضعفها، عندما تركت بلدها وسافرت إلى أمريكا. أنا لا أبرر تصرّف سفيتلانكا، لكني لا أستطيع أن أسامح أيضاً أولئك الناس الذين لم يمدوا لها يد المساعدة، ويدلوها على الطريق الصحيح، وبدلاً من ذلك دفعوها في الطريق الخطأ، الذي لا مبرر له، دفعوها لتقوم بفعلتها الجنونية، التي رمتها في مستنقع حياة الغربة القذر".

أعتقد، أن ن.س.خروشوف، استطاع أن يجد بدقة الأسباب التي ساعدت على عدم عودة سفيتلانا إلى وطنها. أظن، أنها كانت تعرف جيداً أشكال وطرق المعاملة، التي كان يستعملها

أبوها ومن حوله في مثل هذه الحالات، والإجراءات الرسمية المتخذة تجاه هذه الظواهر، فقد استطاعت أن تتنبأ لنفسها بأسوأ مصير. لكن الأمر قد يملك الفحوى التالية أيضاً: بما أنها كانت تملك بين يديها مذكراتها الخاصة، وتشعر بالقوة، في أنها تستطيع متابعة عملها الإبداعي، فلم تجد في نفسها القوة، أن تمتنع عن قبول مثل هذه الإغراءات في عمل الطباعة والنشر، ممّا سيجعلها في وضع مستقل مادياً، لذا اتخذت هذه الخطوة وقبلت بالهجرة. يضطر الإنسان دائماً في حياته أن يختار، ونادراً ما يكون هذا الاختيار مفاجئاً أو غير منتظر، بالنسبة للإنسان نفسه، الذي يقوم بالاختيار. إن الإنسان الذي يقدم على الاختيار الأزلي، يقلبه على ما أظن مرات كثيرة في عقله وأفكاره، ولا ينفذه في حياته إلاّ بعد كل هذه المحاولات. أظن أن سفيتلانا أليلوييفا ليست استثناءً من القاعدة.

"رأى المجتمع الأمريكي لأول مرة وجه سفيتلانا ابنة ستالين المشع من السعادة في عام ١٩٦٧م عندما وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كانت سفيتلانا قد بلغت الحادية والأربعين من العمر، وكانت امرأة هيفاء القوام متفائلة في الحياة، ذات شعر أشقر متجعد، ووجنتين متوردتين وعينين زرقاوين خجولتين، وابتسامة جميلة جذابة، وبدت وكأنها تسطع بالطيب والخير والوفاء، كما أنها كانت تبدو أحياناً أنها تتلذذ بطعم الشهرة والنجاح الخيالي لأول كتاب لها: "عشرون رسالة لصديق"، والذي أتى لها بمليون دولار ونصف من الأرباح. ظهر أيضاً هناك بعض المشجعين الذين أخذوا يرسلون لها الورود والزهور والرسائل والهدايا المختلفة إلى بيتها في برينستون (ولاية نيوجيرسي)، حتى إنّ بعضهم قدم لها عرضاً للزواج. كما أن الرجال في الأوساط الاجتماعية وأوساط رجال الأعمال كانوا يهتمون بها كثيراً، ويحاولون كسبها لصفهم". هذا ما كتبته عنها مجلة "شبيغل" في أيار عام ١٩٨٥م في مقالة بعنوان "لو كان أبي، لأمر بإعدامي على ذلك".

كتبت هذه المجلة، أن سفيتلانا قد حصلت بعد ذلك على دعوة زيارة من أرملة المهندس المعماري الشهير رايت والذي كان سابقاً يحمل كنية لازوفيتش وقد أتى من جورجيا. بعد ثلاثة أسابيع من زيارة سفيتلانا للأرملة، تزوجت سفيتلانا من و.و.بيترس، كبير المهندسين في تانزيمت . ويست. أنجبت من زوجها هذا في ٢١/أيار/١٩٧١م ابنتها أولغا التي حصلت في عام ١٩٧٨ على جنسية الولايات المتحدة الأمريكية.

لم يُطلْ زواج س.ي.أليلوييفا من بيترس كثيراً، وتطلّقت منه في عام ١٩٧٢م، وحصلت على حق الأمومة.

إليكم كيف وصفت أليلوييفا زوجها: "....المهندس ويلياس ويسلي بيترس إنسان ضعيف.

إنه يفعل ما يملونه عليه، ولقد تزوجني، لأن هذا ما كان يريده زملاؤه ورؤساؤه، وبدافع من المصلحة الخاصة بوضعي المادي. ما إن فهم وضعي المادي بشكل جيد، حتى انتهت كل اهتماماته تجاه الأسرة وابنته المولودة حديثاً. تفككت أسرتنا بسرعة، لكنها رغم ذلك صمدت سنتين. بعد ذلك، وقع معي عقداً في تموز عام ١٩٧٢ في مدينة فينيك في أريزونا، وفي شركة "لوكس أندروك"، تنازل فيه عن كل حقوقه بالنسبة لابنتنا، معطياً لي كافة حقوق الأمومة والتربية. منذ ذلك الحين، لم يصرف بنساً واحداً على تربيتها، وكان يتجاهل حقه في زيارتها، ولم يزرها سوى أربع مرات فقط خلال اثني عشر عاماً. يدهشني اليوم اهتمامه بابنته، بالرغم من أنّ السيد بيترس، كان يستجيب دائماً وبكل سرور للمقابلات الصحفية، ويعتبر أن الدعاية الشخصية مفيدة لزيادة شهرة شركته الهندسية. أنا من جهتي سأفعل كل شيء للسخرية من محاولاته غير اللبقة في التدخل في حياة ابنتنا، بعد أن تجاهل أمرها لسنوات كثيرة. لقد فعل هو نفسه كل شيء، ليبعد ابنته عنه، وفي النتيجة نجد، أنها لا تعرفه كثيراً".

عاشت سفيتلانا بعد ذلك في عدة مدن أمريكية، وعاشت آخر سنة من حياتها في الخارج قبل العودة إلى الاتحاد السوفييتي في انكلترا. في عام ١٩٨٤ نشر في الهند كتاب مذكراتها "الأصوات البعيدة"، ولم تحصل من نشر هذا الكتاب على ما يكفيها مقارنة بكتاب "عشرون رسالة لصديق". لم يتكرر نجاحها الخيالي في الكتاب الأول، ويبدو أن القرّاء، قد أخذوا كفايتهم من هذه المعلومات، ثم إنه لم يكن عند الناس ذاك الاهتمام تجاهها كأديبة وكاتبة، وهي لم تعرف الكثير عن حياة الاتحاد السوفييتي والتحولات التي طرأت عليه. إن الكتب العصرية، التي ظهرت في هذه المرحلة في الغرب، كانت تجتذب اهتماماً أكبر، خصوصاً أن خروج كتّابها من الاتحاد السوفييتي كان مازال حديثاً.

في تلك السنة بالذات- ١٩٨٤- كتبت رسالة إلى ابنها في الاتحاد السوفييتي، عبرت له فيها عن رغبتها بالعودة إلى الوطن. في ١٠/تشرين الثاني/١٩٨٤م توجهت سفيتلانا بطلب إلى السفارة السوفييتية في لندن تطلب فيه العودة إلى وطنها، وتلقت الموافقة وعادت.

ما هي إذاً محصلة حياتها في الخارج؟ ما الذي اكتسبته هناك؟ حرية التفكير؟ حرية الإبداع؟ حرية الحركة؟ السعادة؟.

تقول عودتها إلى وطنها على ما يبدو، إنها لم تجد ما كانت تبحث عنه في الخارج، وهذا على ما أظن أمر في غاية المرارة والبؤس، خصوصاً عندما يضطر الإنسان لإعطاء تفسيرات علنية بذلك، وهذا ما حدث معها في المؤتمر الصحفي. يمكننا فقط أن نرحب بسعة الصدر الكبيرة التي استقبلتها بها قيادة الدولة، ولم تغلق أبواب العودة أمامها.

يوجد أمامي على الطاولة نص تصريحها للصحافة. واضحٌ، أن هذا التصريح قد نقل وكتب عدة مرات، وأدخلت فيه بعض الإضافات، وفي النسخة الأخيرة أُدخل تصحيحٌ بخط يدها. كانت تسعى أليلوييفا دائماً لكتابة العبارات ذات المعاني الدقيقة. وأتى توقيعها في نهاية التصريح: "س.أليلوييفا، ١٦/تشرين الثاني/١٩٨٤م".

إليكم الآن حصيلة حياتها بالخارج، والتي سوّتها هي نفسها (محددةً بعض المقتطفات التجارية المكتوبة في روح ذالك الزمان): "عندما أصبحت داخل هذا "العالم الحر"، لم أحس بحريتي فيه ولا ليوم واحد. كنت هناك بين أيدي رجال الأعمال والمحامين والشخصيات السياسية والناشرين، الذين حولوا اسم أبي وحياتي إلى سلعة مثيرة للضجة. أصبحت في تلك السنوات الجرو المروّض المحبوب للمخابرات الأمريكية CIA، الذين وصلت بهم الوقاحة، أن يعلّموني ما تجب علي كتابته وكيف. لدي صديق قديم وهو المحامي السويسري الدكتور بيتر هافتر من زيوريخ، الذي يعرف جيداً من خلال رسائلنا الشخصية، كيف تبخرت أفكاري عن مثالية الولايات المتحدة. لذا، لا يمكنني اليوم، أن أستمر في اعتبار أمريكا مثاليةً. أعرف الكثير اليوم في أمريكا، ممن يمنعهم الخوف فقط من العودة إلى الوطن، الخوف من العقاب فقط. أنا أتحدث عن أولئك الذين بقوا هناك مثلي، أولئك المهووسين بمبادئ الديمقراطية العامة والشاملة. من سافر إلى هناك كي يجمع ثروة، جمع ما يريد من الثروة، وأصبح غنياً، وهو يعيش الآن حياة سعيدة.

خلال السنوات الماضية كلها، لم يفارقني أبداً الشعور بالذنب الشديد. حاولت كثيراً أن أعيش حياة طبيعية مثل كل الأمريكيين، وأن أتمتع بالحياة لكني لم أستطع. فيما بعد حاولت أن أنتقل للعيش في دولة صغيرة مسالمة مثل سويسرا والسويد واليونان، وحتى الهند، لكني لم أستطع أن أغادر إلاّ قبل سنتين وإلى انكلترا. هذا ما يخص مسألة الحرية. ما أردت فعله . لم أستطع فعله، وإنما استطعت فقط أن أسافر إلى انكلترا. هناك فقط، وعندها فقط، استطعت أن أقيم الاتصالات مع ابني عبر البريد والهاتف. أما قبل ذلك، فقد كانت أخبار أولادي منقطعة تماماً عني.

كانت حياتي في الخارج تفقد معناها باستمرار. لم يكن هدفي الغنى، وإنما العيش وسط الأدباء والفنانين والرسامين وأبناء الطبقة المثقفة. أردت أن أمارس اللغات وتقليب الصور. إلا أنني لم أصل إلى هدفي. بالنسبة لكتابي الثالث حول تجربتي غير السعيدة في أمريكا وحول خيبة أملي ويأسي، لم يرد أحد، لا في أمريكا ولا في أنكلترا أن يطبعه وينشره، ولم ينشر، إلاّ هذا الصيف في الهند وبعدد قليل من النسخات.

راودتني فكرة العودة أكثر من مرة. كانت أول مرة منذ ثلاث سنوات، عندما رأيت في نيويورك فيلم ن.ميخالكوف الرائع بعنوان "أوبلوموف . الكسرات" . كنت سأذهب إلى القنصلية حينها بسرعة. كانت المرة الثانية عندما عشت في انكلترا، وجرى الاحتفال بعيد نصر قوات الحلفاء في أوروبا. كان ذلك مشهداً لا يوصف، ولا يمكن تصوره، أن ينسى الأوربيون عشرين مليون شهيد سوفييتي، قدموا حياتهم من أجل هذا النصر! عندها لم أستطع التحمل، وأدركت في تلك اللحظة حقيقة انتمائي. على كل حال، لم أُخفِ مشاعري آنذاك. عندما نشرت الصحافة الإنكليزية المقالات غير الحقيقية للمحارب بيتوف الفار، أشفقت عليه كثيراً، وكتبت له رسالة عبر صحيفة "غارديان"، لكي أوضح له، أنه ضال وأعمى، وسيفهم في النهاية، أنه ارتكب خطيئة. أعيدت هذه الرسالة لي من ديوان تحرير صحيفة "غارديان"، وعُلّق عليها مايلي: "نشكركِ على كلماتك المخلصة الصادقة، لكننا لا نستطيع نشرها". يهمني جداً، أن أعرف الآن، هل تلقى بيتوف رسالتي؟ لأنه عاد إلى وطنه فيما بعد. في آذار هذا العام، أجريت مقابلة صحفية لصحيفة "أوبسيرفر"، وذكرت خلال المقابلة أيضاً تحذيري وتنبيهي إلى كل الفارين والمهاجرين، أن يفكروا مائة مرة قبل أن يقرروا ترك أوطانهم وبلادهم والهجرة إلى ما يسمى "العالم الحر". نشرت "أوبسيرفر" هذه المقابلة في نهاية آذار العام الماضي.

كانت آخر لحظة قبل اتخاذ القرار في أيلول، وساعد على ذلك مرض ابني، وغياب المعلومات عن ابنتي التي تعيش في كامتشاتكا. إنها اختصاصية بالجيوفيزياء قسم البراكين. لم أستطع أن أحتمل أكثر هذا الفراق، وكتبت قراري. إن قراري بالعودة إلى الوطن، أزال الذنب عن كاهلي، ذلك الذنب الذي عذبني سنوات كثيرة. كنت أحس بالسعادة تغمرني . فلقد عدت إلى وطني".

التصريح بحد ذاته مؤلم ومر، ويبدو أنها قد عادت بأفكارها إلى وطنها أكثر من مرة. حتى إنها أرادت أن توقف من يظن أن كل شيء في "العالم الحر" سهل وبسيط، حتى لو كان سيكلفها ذلك الدخول في نزاعات وخلافات مع الصحافة.

بعد أن عادت إلى وطنها، بعد ثمانية عشر عاماً من الهجرة، أحست سفيتلانا فجأة بحرارة استقبال مواطنيها لها، وتمنياتهم الصادقة لها بالنجاح. لقد رأت أن موسكو قد تغيرت كثيراً. اتصل بها أصدقاؤها من أيام المدرسة والجامعة، ومعارفها، والتقت بأقربائها بكل سرور وسعادة، وتحدثت معهم، وحاولت أن تقيم العلاقات من جديد. بدأت بجمع الكتب المترجمة، وعادت إلى الكتب المتروكة. قالت للصحفيين ذات مرة: "أرجوكم جميعاً أن تفهموا، أنني عدت إلى

المدينة التي ولدت فيها منذ تسعة وخمسين عاماً. هنا مدرستي وجامعتي وأصدقائي وأولادي وأحفادي. أنا أخيراً في بيتي. ماذا تريدون بعد؟ ماذا علي أن أشرح لكم بعد؟ استقبلوني بحرارة، بسعة صدر ومحبة، لم أنتظرها أبداً من أحد هنا. استجابوا لطلبي بأخذ الجنسية بسرعة. استقبلونا كأبناء ضالين في عهد الإنجيل. أستطيع فقط أن أقول، إنني ممتنة وشاكرة لأبعد الحدود! أنوي الآن أن أعيش نفس الحياة الخاصة الهادئة التي عشتها من قبل في موسكو مدة أربعين سنة. لم تكن الدعاية الخاصة هدفي أبد، وأنا سعيدة، أن هذا المجتمع لم يعتد على وضع حياة الناس الخاصة عرضة للجميع. كوني عضواً في هذا المجتمع، فأنا لست مجبرة على الإجابة عن أسئلة الصحافة الأجنبية. أنا أقول بذلك الآن من نفسي وتكريماً لكم، لكن هذه المرة ستكون آخر مرة. أرجوكم لا ترافقوني إلى الشارع ولا تحاولوا اصطيادي في كل مكان. تعالوا لنترك بعضنا بعضاً بهدوء منذ الآن وليمارس كل منا أعماله الخاصة . أنتم وأنا".

بالمناسبة، لم يفهم الصحفيون الأمريكيون رغبة سفيتلانا، وحاولوا إجراء مقابلة صحفية معها في أحد شوارع موسكو، وعندها اضطروا لمعرفة طبعها الحازم والمعاناة منه، فهي لم تكن فقيرة بالتعابير. لم تبق سفيتلانا في موسكو أيضاً،يبدو أن تباين الذكريات الموسكوية الشديد لم يجعلها تشعر بالهدوء. عاشت في موسكو في فندق وامتنعت عن سكن شقة مؤلفة من أربع غرف، تطل على شارع ألكسي تولستوي، بحجة أنها لا تريد أن يكون عندها ذلك الحجم الكبير من الأعمال المنزلية والتنظيفات. سريعاً ما غادرت إلى تبيليسي، وفسرت ذلك، بأنها اعتادت على العيش في المدن الصغيرة، بعيداً عن معمعة العاصمة. قبل ذلك، لم تزر جورجيا إلا عدة مرات فقط. استقبلوها في جورجيا، كما استقبلوها في موسكو بتفهم ورحابة صدر. سكنت هناك في شقة مؤلفة من غرفتين وذات نموذج مُحَسَّن. خصصت لها الدولة راتباً محدداً وتمويناً خاصاً، وسيارة حكومية لاستخدامها من أجل السفر. احتفلت في تبيليسي بعيد ميلادها الستين، وجرى ذلك في مبنى متحف أبيها. كانت ابنتها في المدرسة، وكانت تمارس رياضة الفروسية. لكن شيئاً ما هنا أيضاً لم يوافقها. سريعاً ما بدأت تفقد أعصابها، وتنهال على ابنتها بالصّراخ وهي غاضبة، وكذلك أخذت تحتد من معارفها وتخلق الصدامات والنزاعات. ثم أبعدت عنها نهائياً ابنها. الذي حاول أن يسوّي العلاقات معها، بالرغم من المشكلة التي خلقتها معه من قبل. كان الكثير من التبيليسيين شهوداً على المشاكل التي كانت تخلقها مع ابنتها أولغا. لم تلتق مع ابنتها الكبيرة أبداً، ولم تر أحفادها منها في الاتحاد السوفييتي.

عاشت س.أليلوييفا في الاتحاد السوفييتي أقل من سنتين، وتوجهت بطلب إلى اللجنة

المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي كي يسمحوا لها بالسفر من الاتحاد السوفييتي، مبررة ذلك بعدم تفاهمها مع أولادها. أعطيت الإذن بالسفر من موسكو بسرعة، وغادرت وطنها للمرة الثانية، محتفظة بحق امتلاك جنسيتين . الجنسية السوفييتية والجنسية الأمريكية.

طلبت من أربعة أشخاص أن يقاسموني انطباعاتهم عن س. أليلوييفا، وهم ي.يا.جوغاشفيلي، ن.ف.ستالينا، ابن أخيها وابنة أخيها. إليكم ما حدثني به في رسالته مرشح العلوم العسكرية الدكتور العقيد ي.يا.جوغاشفيلي (ابن ياكوف جوغاشفيلي):

"أولاً، ما جعلني اندهش وآخذ جانب الحذر، هو عدم رغبة س.أليلوييفا برؤية ابنها يوسف مع زوجته عندي في البيت، عندما دعوتها لحفلة العشاء. تَحَدَّثَتْ عنهم في بيتي بكلمات مهينة، وعندما حدثت يوسف بذلك قال لي: "لو أنك قرأت رسالتها للقيادة عندنا...إنها تطلب فصلي من الحزب وانتزاع كافة درجاتي العلمية مني، وما يثير الضحك، أنها تطلب بعد كل هذا نفيي إلى جزر ساخالين!". حضرت زوجتي المائدة بالطريقة الجورجية، وكيف لا، وفي ضيافتي ابنة يوسف فيسارينوفيتش ستالين نفسها، بعد سبعة عشر عاماً من التنقل والترحال في بلاد الغربة. بعد مضي بعض الوقت، وصلت رسالتها إلى الأكاديمية، وحققوا معي.

كانوا يبحثون وفقاً لشكواها عن موارد أخرى عندي، لأنني حسب رأيها لا أعيش وفقاً لدخلي. لكنّهم كانوا يحققون معي، وهم يسخرون من محتوى الرسالة.

مضى بعض الوقت، وكتبت س.أليلوييفا رسالة لزوجتي، تنصحها فيها أن تتركني، وأن تربي وحدها "أطفالها الرائعين"، وقد تبين لي فيما بعد، أنها كتبت رسالة مماثلة لزوجة يوسف.

بالرغم من تواضع ملابسها فأنا متأكد، أنها كانت دائماً تشعر بوجود تاج على رأسها، كانت تحاول دائماً إعطاء الأوامر، وقد أساءت إلى ابنتها عدة مرات. كان العاملون في متحف غوري شاهدين على تصرفاتها الفوقية المتعجرفة، حيث طلبت منهم إبداء اهتمام خاص بشخصيتها.

عندما غادرت تبيليسي صرّحت، أنها قد ضجرت العيش بين الأناس البدائيين.

تحدثت في الطائرة التي نقلتها من تبيليسي إلى موسكو، مع أحد العاملين في متحف جورجيا الحكومي، ووصفت له مستقبل عائلة ستالين على الشكل التالي: يجب على كافة أحفادها، أن يتجمعوا مع الزمن في جورجيا حول أولغا (ابنتها الأجنبية)، وقد نعتت أحد رجال

الجمارك "بالدركي اللعين". لماذا بعد مضي قليل من الوقت أصبحت تكره يوسف كثيراً وتحقد عليه؟ أما بوردونسكي فكانت تحبه؟ هو الشعور بالمنافسة! كانت طول عمرها تقاتل ضد فاسيلي. ذهبت ذات مرة إلى فلاديمير لزيارة فاسيلي ليس بقصد الشفقة عليه، وإنما لكي تتلذذ بسقوط المنافس أمامها.

بعد سبعة عشر عاماً من التخبط في الخارج، التقت هنا بجيل جديد، يستطيع أن يبرز ويعبر عن نفسه. دافع يوسف عن رسالة الدكتوراه، وكانت شخصية مرموقة في وسطه وبين زملائه أما أنا فلم أسمح لها بالنوم بهدوء. كيف ذلك؟ كيف تكتب لي من جورجيا: "أجلس هادئاً في أوريوبينسك، ولا تخرج منها، وإلاّ فإنك ستصطدم معي. لا تجرؤ أن تأتي إلى جورجيا!". سبعة عشر عاماً بكت أولادها. حتى إنها لم تحمل علب دخان كهدية لابنها أو حفيدها. عندما التقينا بها في فندق "سوفيتسكايا" (جلبت لها الزهور والسكاكر ونبيذاً جورجياً) دعوتها إلى العشاء في المطعم. رفضت، وظننت أنها قد حضرت الطعام عندها في الغرفة. يا للهول! لقد أخرجت من البراد زجاجة شمبانيا مفتوحة . يبدو أن ذلك من علامات حسن الضيافة على الطريقة الغربية. في البداية أظهرت حباً جماً لغالينا جوغاشفيلي (ابنة ياكوف جوغاشفيلي من زوجته الثانية)، وشفقةً على ما يبدو، تجاه ابنها.

وفقاً لتعليمات من موسكو، رتبوا لها في جورجيا أفضل ظروف المعيشة والحياة، وخصصوا لها في موقف مجلس الوزراء الجورجي سيارة غاز-٢٤-لخدمتها، وأعطيت في ملعب الفروسية فرساً لابنتها. جاء المعلمون إلى بيتها لتعليم ابنتها اللغتين الروسية والجورجية، وطبعاً دون مقابل. عندما كانت تستجم في كوبوليتي ضربت النادل هناك على وجهه لأنه نشنش أمامها فقط.

لم يكن ممكناً التنبؤ بسلوك وتصرفات أليلوييفا. في بداية لقائنا، كانت تهتف لي باستمرار، وأحياناً في وقت متأخر، وتأخذ رأيي في كثير من الأمور. على سبيل المثال، طلبت مني ذات مرة، أن أتحدث مع إدارة المدرسة رقم /٢٣/، حيث كان يتعلم ابني الأصغر ياكوف، وأطلب منهم أن يقبلوا هناك ابنتها، ذلك لأنها تتكلم الإنكليزية، ويستطيع ياشا مع ذلك هناك أن يحمي أخته.

كانت تفكر أن تزور جورجيا مع أحد معارفها، لكنني نصحتها أن تذهب بطريق رسمي وقانوني. أخذت موافقتها، واتصلت بمديرية الهجرة والجوازات في جورجيا، التي كنت دائماً على اتصال معها، وكان الجواب إيجابياً.

فجأةً، تفككت كل علاقاتنا الجيدة والحارة، وتحولت بلحظة من "ابن أخ طيب وذكي" إلى "جينكا البليد المغرور الذي تركض وراءه جورجيا بأكملها".

مثال آخر أيضاً: عندما كنا ذات مرة خارجين من فندق "سوفيتسكايا"، حيث كانت تعيش مؤقتاً مع ابنتها، صورنا أحد رفاقي بموافقة مسبقة منها. كم كانت دهشتي عظيمة، عندما صرحت بعد فترة أني فرضت عليها هذه الصورة بالقوة، لكن بناءً على هيأتها في الصورة، تبدو أنها أخذت وضعيتها وهي راضية تماماً عما يحدث".

إليكم الانطباع الذي تركته أليلوييفا عند ابنة أخيها فاسيلي ناديجدا ستالينا: "كوني أماً وأربي طفلةً، لا أستطيع أن أفهم أليلوييفا. هي فعلاً قد رمت بأولادها للأقدار، عندما قررت ألا تعود إلى الاتحاد السوفييتي. قبل أن تغادر الاتحاد السوفييتي، كان الناس يتكلمون عنها، على أنها إنسان في غاية التواضع. أذكر جيداً، أنها عندما كانت تظهر في مكان ما، كنت دائماً أسمع همساً: "ابنة ستالين"...كان ذلك يعجبها. إلاّ أن مذكراتها، تجعل تواضع سلوكها، وأخلاقية وأدبية تصرفاتها، عرضة للسخرية أمام الجميع. عندما كانت عندي في البيت بعد عودتها إلى الاتحاد السوفييتي، لاحظت أنها تهتم كثيراً بالوضع العائلي عند الأقارب...هل كانوا سعيدين أم لا؟ أظن أن سبب هذا الاهتمام هو وحدتها الطويلة. لم تجد في حياتها رفيق الطريق، الذي يستطيع أن يرافقها دائماً، ويقطع معها كل الصعاب، والذي كان يمكن أن تعتمد عليه وقت الشدة، كانت قد حاولت عدة مرات أن تظهر مدى إمكانياتها الكبيرة، حتى إنها عرضت علي أن تشتري لي معطفاً من الفرو، لكنني كنت أعرف منذ صغري قيمة النقود، وها هي عائلتي تعيش حتى الآن على ما يتقاضاه زوجي الممثل، وهو راتب صغير جداً، لا يسمح لي بقبول مثل هذه الهدايا الثمينة من الآخرين. كما قدمت لي ولابنة عمي غالينا ياكوفليفنا جوغاشفيلي دعوة لقضاء فترة استجمام على البحر. أنا رفضت وامتنعت عن ذلك، وقد أخبرتني غالينا فيما بعد عن الأعمال المقرفة، التي قامت بها سفيتلانا هناك. إهانة إنسانٍ بالنسبة لها أمر سهل وبسيط جداً. كان تصرفها أيضاً متعجرفاً وسخيفاً في المطار وأمام مئات الناس ، عندما أرسل إلي أصدقائي بعض الفواكه كهدية. إني أعجب لقدراتها البارعة في الكتابة والتأليف، بينما سلوكها في الحياة يختلف تماماً".

أظن، أن أشياءً كثيرة في هذه الشهادات، تجسد طبيعة سفيتلانا أليلوييفا. لكن إذا نظرنا إلى كل ما قيل بعين الشفقة والعطف، لاستطعنا أن نجد أسباباً أخرى لتصرفاتها العجيبة تلك، ذلك عندما تقوم امرأة وحيدة وشابة بقطع كل صلات القربة دفعة واحدة في لحظة من التعجرف

ولله الحيطة. كانت سفيتلانا على علم بحياة الاتحاد السوفييتي في العهد الماضي، عندما كانت تعيش مع أبيها حتى عام ١٩٥٣ وبعد أبيها حتى عام ١٩٦٧م، لكنها لم تستطع أن تعرف أي شيء عن عمليات التعتيم على الجرائم الستالينية، والتبرير التدريجي لأفعال ي.ف.ستالين، الذي حدث في عهد الجمود، إلاّ من خلال إعلانات وتصريحات الصحافة ووسائل الإعلام السوفييتية. كان يمكنها رؤية الأشياء، بعد مضي تلك السنين، بعيون أخرى غير تلك العيون التي كانت ترى فيها قبل مغادرتها للاتحاد السوفييتي.

عندما استلم قنسطنطين تشيرنينكو منصب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي ورئيس مجلس السوفييت الأعلى، وهو كان يحب بشكل عام ستالين ومن معه، بدأت عملية رد اعتبار ستالين وتبرير السياسة الستالينية بشكل تدريجي، وقد أثر ذلك على قرار سفيتلانا كثيراً بالعودة إلى الاتحاد السوفييتي. لكن الموجة التي أعقبت موت تشيرنينكو، والتي تهدف إلى كشف فضائح عبادة شخصية ستالين والجرائم الستالينية، كان من شأنها أن تزرع القلق في نفس سفيتلانا، وتعيد إليها معاناتها وخوفها، اللذين كانا قد بدأا في عام ١٩٥٣م، وبما أنها لم تفهم جوهر التحولات المستقبلية كثيراً، دب الخوف في نفسها من تلك التحولات، واتخذت قرارها بالسفر والهجرة من جديد. لذا أخذت تشكو من أقربائها وترسل رسائلها إلى الجهات الرسمية، حتى لا تربطهم بها وتقيهم، حسب رأيها، من عواقب صلتهم بها، فيما إذا حدث شيء ما مستقبلاً. غادرت سفيتلانا الاتحاد السوفييتي، واستوطنت في انكلترا من جديد.

لقد كافأتها الحياة بمصير درامي. هذه هي سنّة الحياة، التي تجعل الأبناء يدفعون ثمن تصرفات والديهم. ترك لها أبوها ورثة قاتلة، وعلاقات متناقضة جداً مع المحيط بأكمله. لكي يستطيع الإنسان تحمل كل ذلك، يجب أن يتمتع بميزات طبع قوية جداً. أما سفيتلانا، فهي كامرأة، وكإنسان شديد التأثر ومريض نفسياً نوعاً ما، لم تستطع حمل هذا العبء الثقيل.

أحفاد ستالين

ولد لستالين وهو حي ثمانية أحفاد، وولدت حفيدته الأخيرة أولغا بيترس في أمريكا، بعد ثماني عشرة سنة تقريباً من مماته. كانت علاقات ستالين . بأحفاده متناقضة: من الحب تجاه أحدهم، حتى اللامبالاة التامة تجاه الآخر. كما أن مصير أحفاده يختلف بين واحد وآخر: هناك السعداء منهم والتعساء، وعلاقة الأحفاد بجدهم أيضاً غير متجانسة، مثلما هي أنواع علاقاتهم وتقييماتهم لنشاطاته السياسية.

يقول القوميسار الشعبي سيمون زاخاروفيتش غينزبورغ، الذي كان قوميساراً شعبياً في حكومة يوسف ستالين: "كنت أعرف ستالين جيداً، والتقيت به كثيراً في بيت كيروف وأوردجونيكيدزي، وحتى في بيته الصيفي....كان متناقضاً مع لينين في السياسة، وأباً قاسياً جداً، وجَدّاً أقسى. لم يشغل أولادُه فكرةُ أبداً، ولم يهتم بهم أبداً.أذكر ياكوف جيداً، من خلال عملنا في معمل ستالين للسيارات. كان شاباً رائعاً. ما فعله ستالين تجاه زوجتيه الأولى والثانية كان عملاً لا إنسانياً. كتبت سفيتلانا أليلوييفا عن حب ستالين لحفيدته غالينا...في الواقع هذا شيء غير حقيقي. لقد رأيت عدة مرات كيف يتعامل معها، وأنا أكذب تأكيد سفيتلانا ذاك. ستالين لم يهتم بفاسيلي كما يجب، بالرغم من أنه كان يحبه أكثر من ياكوف. في عام ١٩٤٢م حصل نزاع بيني وبين فاسيلي. عندما أصبح فاسيلي رئيس فرع المراقبة عند القائد العام للقوى الجوية نوفيكوف. أصبح يتصرف معي دون أدب، ورد ستالين الأب على رسالتي بالشكل الصحيح، وعاقب ابنه، وأجبره على الاعتذار لي.

كان ستالين بعيداً كل البعد عن أولاد فاسيلي، أكثر من بعده عن أولاد ياكوف. تصرف عدة مرات أمامي بفظاظة مع سفيتلانا . ابنته المحببة، لكن حبه لها ولأولادها، كان أيضا قاسياً جداً. كانت تشغله ذاتُهُ فقط، ولم يكن يهتم بأي شيء آخر، لا بالسياسة ولا بالبيت. كان حاكماً مطلقاً مستبداً، جعل ملايين الناس، بمن فيهم أقرباؤه، بائسين".

تزوج ياكوف جوغاشفيلي، وهو ابنه الأكبر من زوجته الأولى يكاتيرينا سفانيدزي، مرتين، لكنه أنجب ثلاثة أولاد من ثلاث نساء. تزوج في المرة الأولى، من زميلته في الصف زينا، والتي كانت ابنة قديس، ذاك الأمر الذي لم يكن محبباً في ذاك الزمان. استناداً إلى ذلك، تخاصم مع أبيه بشدة، لدرجة كانت ستنتهي بموت ياكوف، بعد محاولة منه للانتحار. بعد ذلك سافر ياكوف إلى لينينغراد إلى أقربائه من طرف أليلوييفا، وهناك وُلِدت عنده ابنته لينا التي ماتت وهي صغيرة. لم يستمر زواجه هذا طويلاً، وسرعان ما تفكك بعد موت ابنته. بعد ذلك بقليل، تعرّف على أولغاغوليشيفا في أوريوبينسك في شقة أحد أقرباء ناديجدا سيرغيفنا أليلوييفا. ولدت له أولغا صبياً، وهو الوحيد من سلالة ستالين، الذي أصبح اليوم ضابطاً محترفاً، وهذا ما كان يحلم به ستالين.

لم يكن فارق العمر كبيراً بين أولغاوياكوف: ياكوف من مواليد ١٩٠٨م وأولغامن مواليد ١٩٠٩م. هل كان بينهما حب كبير متبادل؟ لا أستطيع أن أجزم، لكن علاقتهما استمرت في موسكو. أنجبت أولغاغوليشيفا ابنها في أوريوبينسك في دار التوليد في العاشر من كانون الثاني

عام ١٩٣٦م، وأسمته يفغيني. في ١١/كانون الثاني/ ١٩٣٦ ظهرت في سجلات النفوس، في دائرة الأحوال المدنية، في مدينة أوريوبينسك، التابعة لستالينغراد، صفحة سجل جديدة، حملت رقم /٤٩/. كان اسم المولود الجديد : يفغيني جوغاشفيلي، الأب : ياكوف يوسيفوفيتش جوغاشفيلي. القومية : جورجي، المهنة : طالب، الأم : أولغا بافلوفنا غوليشيفا، القومية : روسية، المهنة . فنية.

كَبُرَ الصغير نشيطاً وسريعاً وذكياً، وبعد عام، أصبح يركض في الساحة أمام البيت، ويكرر كلماته الطفولية "تا- تا- تا- تا". لذا، أسمته أمه وأختها ناديجدا بافلوفنا التي ساهمت كثيراً في تربية الصغير، أسمتاه تاتك".

لم تمض أولغا كثيراً في أوريوبينسك، وسرعان ما سافرت إلى العاصمة، وتركت الطفل في كنف اهلها. هنا كبر يفغيني، وذهب إلى المدرسة. لم تتعمق العلاقة بين ياكوف وأولغا، وسرعان ما افترقا.

في عام ١٩٣٩م تزوج ياكوف من الراقصة يوليا ميلتسر، وأنجبت له طفلة، أسمتها غالينا. كان ياكوف جوغاشفيلي يحب كثيراً يوليا ميلتسر وابنته غاليا، وتؤكد ذلك رسالته إليهما المؤرخة في ٢٦/تموز/ ١٩٤١م من منطقة فيازما، وفي هذه الرسالة، يحاول تهدئة زوجته، ولا يتكلم عن صعوباته في الحرب:

"عزيزتي يوليا!

كل شيء على ما يرام. الرحلة ممتعة كثيراً. ما يقلقني فقط هو صحتك. انتبهي إلى غالكا وإلى نفسك، وقولي لها أن بابا ياشا بصحة جيدة. عندما تسنح الفرصة، سأكتب لكم رسالة أكبر من هذه. لا تقلقوا علي، فقد رتبت أموري بشكل جيد. غداً أو بعد غد سأخبركم عن عنواني بدقة، وسأطلب منكم، أن ترسلوا لي ساعة مع مؤقت زمني ومدية.

أقبل بحرارة غاليا ويوليا وأبي وسفيتلانا وفاسيا.

بلغي تحياتي للجميع. أعانقك مرة أخرى بحرارة، وأرجوك لا تقلقي. بلغي سلامي لفالنتينا إيفانوفنا وإلى ليدوتشكا.

الأحوال على ما يرام عند سايبغيني.

حبيبك ياشا

لم تكن حياة يوليا ميلتسر، أم ابنة ياكوف، خالية من الغيوم، بالرغم من أنها كانت تعيش ضمن عائلة يوسف ستالين. بعد أن عرف ستالين بنبأ أسر ابنه ياكوف، نشأ عنده شك بالخيانة، وبدأ يشك بزوجة ياكوف بالذات، التي تم اعتقالها سريعاً، لكن تأكدت براءتهابعد ذلك، ورُدَّ لها اعتبارها.

تعيش اليوم غالينا ياكوفليفنا جوغاشفيلي في موسكو وتربي ابنها، وقد حصلت على درجة مرشح في الآداب (دكتوراه).

إلا أنه لابد لنا أن نعود إلى ماحلّ بيفغيني جوغاشفيلي.

حاربت أولغاغوليشيفا - أم يفغيني - على الجبهة، وعملت بعد الحرب في دائرة فاسيلي ستالين بصفة مُحصّل في القسم المالي. كان فاسيلي في ذاك الوقت قائداً للقوى الجوية التابعة لمنطقة موسكو العسكرية. عاشت أولغا عند عمتها، وحافظت على روابط قوية ووثيقة مع أخت زوجة ستالين. آنّا سيرغييفنا أليلوييفا. توفيت أولغا عن عمر يناهز الثامنة والأربعين في عام ١٩٥٧ ودفنت في موسكو في مقبرة غولوفين.

أتت آنّا سيرغييفنا أليلوييفا لحضور مراسيم الدفن، وأهدت يفغيني ياكوفليفيتش كتاب أبيها "الطريق المقطوع" وكتبت عليه للذكرى: "أهدي كتاب مذكرات أبي سيرغي ياكوفليفيتش أليلوييفا "الطريق المقطوع" إلى جينا جوغاشفيلي . ابن ياشا جوغاشفيلي . ستالين، للذكرى. كان سيرغي ياكوفليفيتش أليلوييف يحب ياشا كثيراً، وقد عاش معه في بيتروغراد . لينينغراد وفي ريف المدينة في زوبالوف. لم يعرف سيرغي أليلوييف جينا إلاّ عن طريق أبيه ياشا وعن طريق إلكساندر أيكوفليفيتش إيغناتاشفيلي، كما لم نعرف أنا وهو وآنّا ابنته، جينا إلاّ عن طريق أقرباء أليلوييفا في أوريوبينسك، وهم: ماترينا فيودوروفنا أليلوييفا، أفغوسيتنا مخائيلوفنا دوتوفا . أليلوييفا، مايا . ابنتها وإيرينا ابنة سيرافيما أليلوييفا، وعن طريق ولديّ فاسيا: ساشا وناديا.

تعرفت في الوقت الحاضر عليه في ظروف محزنة وبائسة، وذلك في حفل تأبين أمه، التي رأيتها وهي على قيد الحياة عدة مرات. حزنت كثيراً على موتها المبكر.

مع تعازي الحارة لابنها جينا -
أ.س.أليلوييفا.

قال لي ياشا أيضاً، أن لديه ابناً، يعيش بجوار أقرباء أبي في مدينة أوريوبينسك. أتمنى له

النجاح والسعادة والأمان في الحياة الخاصة والعمل، كما أتمنى له حياة عائلية سعيدة، الشيء الذي لم تحظ به أمه بكل أسف".

حتى الآونة الأخيرة، لم يعرف يفغيني جوغاشفيلي كحفيد لستالين إلاّ قليلاً. في ٢٤/ تشرين الثاني/١٩٨٦ نشرت مجلة "شبيغل" تقول: "بعد موت صديق ستالين المقرب، الذي كان لمدة عشر سنوات رئيساً للوزراء، ولمدة ثلاث عشرة سنة وزيراً للخارجية السوفييتية، وهو ف.م.مولوتوف، ظهرت ضجة مثيرة جداً. فقد نشرت وكالة أنباء موسكو "نوفوستي" في الأربعاء الماضي صورة مراسيم الوداع، المقامة عند قبرٍ في مقبرة نوفوديفيتشي، كتب عليه: "عقيد الأركان العامة للقوات المسلحة السوفييتية" كان في الصورة الضابط يفغيني ياكوفليفيتش جوغاشفيلي حفيد ستالين ابن ابنه ياكوف، الذي استشهد في معسكر الاعتقال الألماني الخاص بأسرى الحرب. قبل موت مولوتوف لم يُعْرَفْ حفيد الدكتاتور هذا أبداً، كما لم تذكر ابنة ستالين سفيتلانا في كتاباتها، وهي التي تحب الكتابة كثيراً، أي شيء عن هذا الحفيد".

بالفعل، لم تذكر الصحافة السوفييتية اسم يفغيني ياكوفليفيتش جوغاشفيلي كضابط عامل إلاّ بضع مرات، أما الصحافة الأجنبية فلم تأت على ذكره أبداً.

إليكم ما قاله عنه ف.م.مولوتوف: "أذكر، كيف التقيت لأول مرة عند ستالين في الكريملين بابنه والد يفغيني ياكوف جوغاشفيلي. كان ذلك فارساً حقاً. انظروا إلى يفغيني أحد أفراد عائلة جوغاشفيلي. إنه مأخوذ كنسخة طبق الأصل عن أجداده وأبيه. أظن أن كل من التقى ستالين وتحدث معه، سيلاحظ الشبه الكبير بينه وبين يفغيني، ليس فقط بالشكل الخارجي، بل وبالسلوك والطبع أيضاً. أنا سعيد، أن يفغيني، يزورني كثيراً، ويجلب معه ولديه فيساريون وياكوف جوغاشفيلي. إن لقائي معهم يطيل من عمري ويعطيني القوة. تعيش في موسكو ابنة ياكوف. غالينا، وبالرغم من أنني لا أقيم معها علاقات وثيقة، لكنني أعرف أنها إنسانة طيبة من كل الجهات، وعالمة متمكنة وكبيرة. شيء رائع جداً، أن ينجب الإنسان المحترم الوقور أولاداً محترمين وقورين مثله.

أذكر جيداً، أن ستالين في سنوات الحرب، كان مشغولاً تماماً بأمور الدولة، ولم يستطع لقاء أقاربه أكثر من مرتين في السنة، وكان يتألم لذلك كثيراً".

يفغيني ياكوفليفيتش جوغاشفيلي هو الوحيد من عائلة ستالين، كما ذكرت سابقاً، الذي

اختار لنفسه المهنة الحربية. كتب في سيرته الشخصية مايلي: "أنا يفغيني ياكوفلوفيتش جوغاشفيلي. ولدت في ١٢/كانون الثاني/١٩٣٦م في مدينة أوريو بينسك التابعة لمحافظة فولغوغراد، في عائلة موظف. القومية . جورجي. في عام ١٩٤٥ انتقلت إلى مدينة موسكو، وبعد أن أنهيت هناك الصف الثالث في المدرسة المتوسطة رقم /٥٥٧/، تقدمت إلى الكلية الحربية السوفوروفية في كالينين. بعد تخرجي من الكلية، تقدمت في عام ١٩٥٤م للدراسة بالأكاديمية العسكرية الهندسية الجوية التي تحمل اسم ن.ي.جوكوفسكي في مدينة موسكو. في عام ١٩٥٩ وبعد أن أنهيت دراستي في الأكاديمية المذكورة، عُيِّنْتُ للخدمة في النيابة العسكرية التابعة لمنطقة موسكو. كنت أسافر خلال العديد من السنوات إلى محطة بايكونور بمهمات عمل رسمية.

في عام ١٩٧٠م تقدمت للدراسة في ملحقية الأكاديمية العسكرية التي تحمل اسم ف.ي.لينين. في عام ١٩٧٣ تخرجت من الملحقية ودافعت عن شهادة الدكتوراه، وعينت مدرساً في الأكاديمية العسكرية الجوية التي تحمل اسم يوري غاغارين، والتي عملت فيها مدة سنتين. في عام ١٩٧٥ تقدمت كمستمع في أكاديمية أركان الجيش التي تحمل اسم ك.ي.فوروشيلوف، في قسم التاريخ. بعد الانتهاء من دراستي في القسم ما بين عامي ١٩٧٦ و١٩٨٢م عملت في الأكاديمية الحربية للقوات المدرعة التي تحمل اسم ر.يا.مالينوفسكي، بصفة مدرس وكبير المدرسين، وحصلت على درجة "أستاذ مساعد". منذ كانون الثاني عام ١٩٨٣ أعمل في أكاديمية الأركان العامة السوفييتية التي تحمل اسم فوروشيلوف بصفة كبير المدرسين في قسم تاريخ الجيوش والفن الحربي. متزوج وعندي ولدان. زوجتي نانولي غيورغييفنا جوغاشفيلي (نوزادزي) . ولدت في ٨/حزيران/١٩٣٩م في مدينة خاشوري في جمهورية جورجيا السوفييتية في عائلة عامل. قوميتها . جورجية. تخرجت من جامعة تبيليسي. ربة منزل. والدي . ياكوف يوسيفوفيتش جوغاشفيلي، استشهد في الحرب الوطنية العظمى عام ١٩٤٣م في معسكر الاعتقال في زاكسنخاوزن. منح بعد موته وسام الحرب الوطنية العظمى من الدرجة الأولى. والدتي . أولغا بافلوفنا غوليشيفا، شاركت في القتال في الحرب الوطنية العظمى. ماتت في عام ١٩٥٧م. والد زوجتي . غيورغي سيمونوفيتش نوزادزي. ولد عام مدينة خاشوري. عضو في الحزب الشيوعي السوفييتي. متقاعد يعيش في

العقيد ي.جوغاشفيلي".

فاسيلي ستالين هو أول ابن لستالين من زوجته ناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا. تزوج رسمياً ثلاث مرات، إلاّ أن علاقاته مع كابيتولينا فاسيلييفا لم تتوج رسمياً أبداً، بالرغم من أنهما عاشا معاً. كانت زوجته الأولى غالينا ألكساندروفنا بوردونسكايا، التي درست آنذاك في معهد الطباعة في كلية النشر والتحرير. تأتي كنيتها من والد جدها الفرنسي بوردون. أتى إلى روسيا مع جيوش نابليون وجُرح في الحرب، وتزوج في فولوكولامسك من روسية.

تزوج فاسيلي يوسيفوفيتش ستالين من بوردونسكايا في عام ١٩٤٠م، وفي عام ١٩٤١م ولد لهما الكساندر، وبعد سنة ونصف من ذلك ولدت ابنتهما ناديجدا.

في الآونة الأولى، عاش الزوجان في شقة ستالين في الكريملين في مبنى الحكومة القديم. فرش المبنى بفرش حكومي قديم، كان يحمل أرقاماً تسجيلية، ولم تكن هناك أية وسائل للراحة.

بالنسبة لستالين، لم يتعامل أبداً مع كنته، ولم يرد حتى أن يرى أحفاده. استمرت حياة فاسيلي وبوردونسكايا معاً مدة أربع سنوات. عندما قطعفاسيلي علاقاته معها، حرمها نهائياً من رؤية الأولاد. تزوج فاسيلي للمرة الثانية في عام ١٩٤٤م من يكاتيرينا سيمونوفنا، ابنة مارشال الاتحاد السوفييتي س.ك.تيموشينكو دون أن يفسخ عقد زواجه مع الأولى. أنجبت له يكاترينا ولدين. عاش ابنه فاسيلي تسعة عشر عاماً ومات بحادث مأساوي وهو طالب في مدينة تبيليسي. ودفن في مقبرة نوفوريفيتشي في موسكو. تعيش ابنته سفيتلانا اليوم في بيت في منطقة نابيريجني. أما يكاترينا سيمونوفنا، فقد غادرت الحياة في خريف عام ١٩٨٨م. لنرَ كيف تحدث ابن فاسيلي . ألكساندر بوردونسكي عن يكاترينا وزوجة أبيه الثالثة غير المسجلة رسمياً: "ظهرت في بيتنا زوجة أب جديد، هي يكاترينا سيمونوفنا، ابنة المارشال تيموشينكو . وهي امرأة مستبدة وقاسية . نحن الأولاد الغرباء عنها كنا نثير أعصابها على ما يبدو. أظن أن هذه المرحلة كانت أصعب مرحلة في حياتنا. لم يكن ينقصنا الحنان فحسب، بل والاهتمام الأولي الضروري. كانوا ينسون إطعامنا مدة ثلاثة وأربعة أيام، وأحياناً يحجزوننا داخل الغرفة.

أذكر ذات مرة، عندما كنا نعيش شتاءً في البيت الصيفي، وكان الوقت ليلاً والظلام حالكاً، كيف نزلت مع أختي من الطابق الثاني، وذهبنا إلى المخزن لنحصل على البطاطا النيئة والجزر. كانت الطباخة إيساييفنا تتلقى نصيبها عندما كانت تأتي لنابشيء ما من هناك.

بعد ذلك، ظهرت عند أبي زوجة ثالثة . هي كابيتولينا غيورغييفنا فاسيلييفا، المعروفة في ذاك

الوقت باسم صانعة البلوف (الأرز بلحم الضأن). أتذكر تلك المرأة وأنا ممتن لها دائماً، وما زلت حتى الآن أحتفظ بعلاقاتي معها. كانت المرأة الوحيدة التي كانت تحاول مساعدة أبي بالفعل".

يعمل ألكساندر بوردونسكي ابن فاسيلي في الوقت الحاضر مخرجاً في المسرح الأكاديمي المركزي التابع للقوات المسلحة السوفييتية، وهو فنان حائز على لقب الجدارة في جمهورية روسيا الاتحادية. مضى على عمله في المسرح سبعة عشر عاماً منذ تخرجه من كلية الإخراج المسرحي في معهد الفنون المسرحية. لقد أخرج هنا العديد من المسرحيات، نذكر منها: "فاسّا جيليزنوفا" لغوركي، "هطلت الثلوج" لفيدبنييف، "نزل أورفي" لويليامس، "الأخير مولع في الحب بشدة "لسايمون، "سيدة مع الكاميليات" لديوم، وغيرهم. منذ فترة، أجرى برنامج "فزغلياد" مقابلة صحفية مع ألكساندر، سأله المذيع، مراسل صحيفة "فيتشيرناياموسكفا"، بعد إخراج مسرحية "وثيقة تفويض" مباشرة، السؤال التالي: "لماذا اخترتم هذه المسرحية بالذات لتقوموا بإخراجها؟.

وجاء جواب ألكساندر فاسيلييفيتش على الشكل التالي:

. لأن الدراما التي كتبها نيكولاي روبرتوفيتش إردمان "وثيقة تفويض" في العشرينات من هذا القرن، لم تفقد حتى اليوم أهميتها. تتضمن هذه المسرحية موهبة التنبؤ والرؤية البعيدة بالرغم من أن كاتبها آنذاك كان شاباً صغيراً، وأخرجها ما يرهولد في ذاك الوقت. تحكي المسرحية عن الناس الذين، حسب قول المؤلف، "يريدون أن يكونوا خالدين تحت أي نظام كان"، وعن التكرار السيء لظاهرة ضيق الأفق الروحي ، وعدم إمكانية إزالتها. إن هذه الظاهرة هي الوسط المغذي لقيام البيروقراطية ونشوء روح التسلط القيادي وعبادة الشخصية، التي هي خليط مريح لأفكار الثورية والملكية.

تعالج الموضوعَ الأساسي أيضاً طريقةُ عرض المسرحية: توضع على المسرح صور تصور جدران الكريملين كخلفية له، ورسم على هذه الجدران شكل إنسان يلبس سدارة معروفة كثيراً، يخرج من جوفه طاقم الفنانين بالكامل... بالمناسبة، من الصعب علي كثيراً أن أتحدث عن ذلك. هناك أناسٌ يظنون أن آرائي حول الستالينية هي عبارة عن رغبة مني في نكران صلتي بجدي.

. هل تذكره جيداً، وهل تلاقيتما كثيراً؟

. أنا لم أره في حياتي عن كثب، وإنما فقط في الاستعراضات والمسيرات، وهو واقف على منصة الشرف. لم يهتم ستالين بأحفاده، ولا حتى بأبنائه، لذا فإن اسم ستالين عندي لا يصنف ضمن المفهوم العائلي العام "جدي"، إنما هو رمز عقيم مستحيل البلوغ والفهم. الشيء المقابل لهذا المفهوم كان الشعور بالخوف المرتبط باسم جدي. ولد هذا الشعور من مجموعة من الأشياء الصغيرة، والعبارات المقالة، وأحاديث العائلة، ذاك الجو الذي كان يحمل تأثير طبع ستالين . مغلق، مستبد، ولا يعرف الرحمة أو الشفقة.

. ما الذي حدث مع هذا؟

. لم ينجح والدي في بناء حياة مشتركة. كان عمري أربع سنوات، عندما هجرت والدتي بيت أبي. لم يسمحوا لها بأخذ أولادها معها، وفرقونا عن أمنا مدة ثماني سنوات.

. لفتت انتباهي في الألبوم العائلي صورة مهمة: الفتاة غاليا بوردونسكايا ترتدي سروالاً قصيراً أبيض وتبتسم وهي تقف بجانب أبيك، وخلفهما صورة كبيرة لستالين، كتب عليها: "شكراً للرفيق ستالين على طفولتنا السعيدة!".

. عندما انتزعوا من أمي ولديها، أخذت تبحث عن مخرج، ووجدت أمامها جداراً كبيراً. ذات مرة استطاعت أن تلتقي معي بالسر. كان هذا عندما كنت أدرس في المدرسة رقم /٥٩/ في جادة ستاروكونيوشينوي. اقتربت مني امرأة لا أعرفها في الفرصة، وقالت إن أمي تنتظرني في مدخل البيت المجاور. يبدو أن أحداً أبلغ أبي بهذه المقابلة، وأرسلوني مباشرة إلى كلية سوفوروف. أعتقد أن ذلك الأمر كان أحد الأسباب القوية التي جعلت طبعي طرياً وسهلاً حسب رأي أبي. كانت أمي فقيرة في ذلك الوقت، وحاولت أن تعمل، لكنهم كانوا يعارضون دائماً عملها في دائرة التوظيف، لأنه قد سجل في جواز سفرها وثيقة عقد قرانها مع فاسيلي ستالين. ساعدها الحظ أخيراً، وعرفت بقصتها مديرة البيت، وقد كانت امرأة فظة ومدخنة وسليطة اللسان، وقد نفذت هي آنذاك عملاً شجاعاً جداً، حيث أحرقت جواز سفر أمي داخل المدفأة الحجرية، وسعت لها للحصول على جواز سفر جديد دون وثيقة عقد قران.

عندما توفي ستالين، أرسلت أمي رسالة إلى بيريا ترجوه فيها، أن يعيد لها أولادها. الحمد لله، أن هذه الرسالة لم تجد صاحبها المعنونة إليه، حيث اعتقل بيريا قبل استلامها، وإلاّ لكانت نهاية الأمر فظيعة، كتبت أمي مرة أخرى لفوروشيلوف، وبعد ذلك فقط أعادونا لأمي، ون حتى الآن نعيش معها، أقصد أنا وأمي.

أختي تزوجت وعندها عائلتها. يسألونني أحياناً: لماذا أحب أن أخرج مسرحيات تحكي قصص نساء مروا بظروف حياتية صعبة؟ أقول: بسبب أمي!.

. ما هو رأيك بأبيك الآن، وأنت على قمة خبرتك الحياتية؟.

. لم أنس شيئاً. لكني لا أستطيع أن أكون له قاضياً. عندما أفكر أحياناً بمصير أبي، أقول لنفسي، أن لمحيطه ذنباً كبيراً في هلاكه، وأقصد بالذات أولئك المتزلفين والمتملقين والمدمنين الذين كانوا يشربون معه، ويوحون له أن كل شيء مسموح له.

كان بطبيعته إنساناً طيباً، وكان يحب أن يقوم في البيت بمختلف أنواع الأعمال اليدوية. من عرفه عن كثب قال عنه إنه "ذو أيدٍ ذهبية". كان طياراً ماهراً وشجاعاً وقوياً. شارك في معركة ستالينغراد ومعركة احتلال برلين.

انتهت حياته في ظروف غامضة، وبشكل مأساوي. في عام ١٩٥٣م بعد موت ستالين، تم اعتقال فاسيلي يوسيفوفيتش، وأمضى في السجن ثماني سنوات كان في البداية في سجن ليفورتوفو في موسكو ثم نقلوه إلى فلاديمير. أخلي سبيله بأمر من خروشوف، ثم استدعاه خروشوف، واعتذر منه على الحكم غير العادل الذي نفذ بحقه. أعادوا لأبي رتبته كفريق في القوات الجوية، وأعطوه شقة على شارع فرونزبسينسكايا نابيريجنايا، لكنهم عرضوا عليه بعد ذلك الرحيل من موسكو، وأن يختار لنفسه المكان الذي يريد العيش فيه، عدا موسكو وجورجيا. اختار أبي كازان، حيث كان يخدم الطيارون زملاؤه. لكن، سرعان ما أتت برقية تنبئ بموته. سافرت أنا وكابيتولينا غيروغييفنا وناديا مباشرة لدفنه. كيف مات أبي وما السبب؟ لم يستطع أحد أن يفسر لنا ذلك بشكل واضح.

. وهكذا اكتملت دائرة الحوادث المأساوية في العائلة التي بدأت بانتحار زوجة ستالين جدتك ناديجدا سيرغييفنا أليلوييفا.

. لقد كتبت عن كل شيء بالتفصيل عمتي سفيتلانا أليلوييفا، في كتابها: "عشرون رسالة لصديق". لم يسامح ستالين زوجته، لأنها قررت مغادرة الحياة. لكن العائلة لم تحتفظ إلا بكل ذكرى طيبة عن ناديجدا سيرغييفنا، والجميع كان يحبها.

. عندما انعقد المؤتمر العشرون للحزب، كان عمرك خمسة عشر عاماً، وهذا عمر إنسان واعٍ تماماً هل كان ما قيل في المؤتمر صريحاً ونزيهاً؟

. لا أظن ذلك. كان الكثير من صديقات أمي في المعتقلات، وهي كانت تعيش مهددة دائماً بالاعتقال. أمضى الكثير من عائلة أليلوييفا من سبع إلى ثماني سنوات في حجرة منعزلة في السجن. كنت أعرف ذلك، وكنت أتعامل مع هذه الأمور كما يتعامل معها كل الناس الطبيعيين.

لكن، بالنسبة لمن حولنا، كنا كلنا أقرباء ستالين. صمت جهاز الهاتف شهوراً كثيرة، وكان هناك مديرة متحمسة غيور في المدرسة، أخذت تضايقنا أنا وأختي بسبب ودون سبب، وأصبحنا عرضةً لكلام الجميع هناك، فاضطررنا إلى الانتقال إلى مدرسة أخرى.

. وبعد ذلك، هل كان يعيقك أو يساعدك ذاك الأمر، في أنك حفيد ستالين؟.

. ذات مرة ساعدني، وكان ذلك كمايلي: كنت أدرس فن التمثيل عند أوليغ يفريموف، لكني كنت أرغب كثيراً أن أصبح مخرجاً. تكلم يفريموف عني لمربية فاضلة كبيرة هي بروفيسورة المعهد المسرحي الحكومي السيدةماريا أوسيبوفنا كنيبل. كم كنت سعيداً أن ألتقي هذه السيدة! يالهدية القدر الرائعة! وأصبحت كنيبل بالنسبة لي معلماً وصديقاً وأماً ثانية، وأزالت عن كاهلي بيدها الطيبة السخية، ذاك العبء الذي كان يثقلني وهو عبارة "حفيد ستالين". فيما بعد وجدت في السوق كتاب "شاعرية التربية" بقلم م.كنيبل، وقد كتبت عن تلميذها ساشا بوردونسكي فيه مايلي: "عندما تقدم إلى المعهد، كان منقبضاً وغير واثق من نفسه، كان خائفاً أن يزعج أحداً. لكنه، كان بالرغم من ذلك، يتكلم بالحق وبالعدل عندما يستطيع التغلب على خوفه وانقباضه... كيف يمكن أن نخلق من أجبن طالب في السنة الأولى إنساناً، يرضى الصف بأكمله أن يسير خلفه؟ هنا يعود الفضل لأمور كثيرة منها القدرات الذاتية والسمات الشخصية الإنسانية، والذكاء وأسلوب التعامل ورباطة الجأش والإرادة".

حدثتني ماريا أوسيبوفنا فيما بعد، بماذا فكرت عند أول لقاء لنا، وقالت: "ها هو يجلس أمامي واحد من ذرية إنسان رهيب، ألحق بي الكثير من الآلام والمعاناة، واضطهد أخي، وفي يدي مصير هذا الإنسان الجديد. ماذا أفعل؟ هل أنتقم؟ لكن هذا الإنسان غير مذنب بشيء...هو ضعيف، ولا يملك حتى وسيلة للدفاع عن نفسه. عندها أردت أن أحميه وألاطفه وأعطيه من حناني". كان عند هذه المرأة الصغيرة قلب كبير حقاً.

بكل أسف، لا يفكر كل إنسان بهذا الشكل. إن إنساناً غيرها، يبدأ يفكر عند قراءة الإعلان مباشرة ويتحزر: "ماذا اراد أن يقول في هذه المسرحية أو تلك؟ ضد من ولمصلحة من؟...

هل كل معاناتنا قد مضت؟ لا، ولم أستطع بعد أن أتحرر من ثقل عبارة "حفيد ستالين" حتى النهاية. هناك لقطة من مسرحية "سنوات الترحال" لأربوزوف، وكنت قد لعبت هناك دور فيديرنيكوف، وهو يسأل السرجنت: "إلى أين تذهب كل الأيام؟" والثاني يجيبه "وإلى أين تستطيع الذهاب وهي كلها معنا..".

أظن أن المسرح، يغير الكثير في حياة الناس، ويساعد الإنسان على معرفة نفسه، ومحاربة العنف الجسماني والأخلاقي. أما فيما يخص ما نسميه نحن الستالينية وشبح ستالين، فإن علينا أن نوضح هذه الظاهرة من وجهة نظر فنّية (أي كوننا مخرجين) على ألاّ نأخذ على عاتقنا دور القاضي والحاكم في ذلك.

أحلم الآن بإخراج مسرحية كلاسيكية. تمس الكلاسيكية المواضيع الأزلية دائماً، وتبحث في أعماق الروح الإنسانية، وفي مشاكل السلطة.

أحب كافة الفنانين في مسرحنا، وخصوصاً لودميلا كاساتكينا، وفلاديمير زيلدين ونينا سازونوفا وأصدقائي الصغار. عندما أختار مسرحياتي، أهتم دائماً بالبحث عن اهتماماتهم، وهذا ما أحاول الآن بالذات القيام به. لا تنسوا، أن بيتي الأصلي هو المسرح".

إن الكثير ممن يعرفون ألكساندر جيداً لا يوافقونه على أجوبته في المقابلة التي أجراها. أورد لك مقتطفاً من حواري مع ي.يا.جوغاشفيلي:

. يفغيني ياكوفليفيتش! منذ فترة، في البرنامج التلفزيوني "فزغلياد" وفي صحيفة "فيتشيرنايا موسكفا" صرح ابن فاسيلي ستالين. ألكساندر بوردونسكي، أنه كان يحس بالرعب دائماً، عندما كان ي.ف.ستالين ما يزال على قيد الحياة، وعندما مات جده الرهيب، أحس "بالراحة"، ولم يبك، لأنه لم يحب ستالين.

. في عام ١٩٥٣م كنت أنا وساشا في المدرسة الحربية في كالينين، حيث كنت أنا في السنة الأخيرة وكان هو في السنة الأولى. كان عمري سبعة عشر عاماً، وكان عمره أحد عشر عاماً. كان الجميع غارقاً في الدموع، بمن فيهم قيادة الكلية والمعلمون ونحن والتلاميذ، وكل الشعب السوفييتي أيضاً. لذا تعجبت لسماع تصريحه هذا. أما ما يخص شعوره بالراحة، فمن الصعب تصديق ذلك. فكروا معي: هل يمكن لطفل في الحادية عشرة من عمره أن يفهم ويناقش ويحلل سياسة ستالين بهذاالشكل؟

تعيش في موسكو ابنة فاسيلي . ناديجدا فاسيلييفنا ستالينا. بعد أن أنهت ناديا المدرسة المتوسطة تقدمت للدراسة في مدرسة الفنون المسرحية، لكنها لم تتخرج منها، بل انتقلت إلى جورجيا إلى مدينة غوري وحصلت هناك على شقة. تزوجت من ابن الكاتب فاديبف، وعندها ابنة تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً. إنها تحب كثيراً عائلتها، وتحب الحيوانات كثيراً مثل أبيها، وخصوصاً الكلاب. قد يحدث، أنها لو رأت في الشارع كلباً تائهاً، سوف تأخذه بكل تأكيد معها. هي فتاة ليست طويلة ونحيفة.

تعتقد، أن الكثير من الجرائم التي نفذت في عهد عبادة الشخصية، لم يعرف جدها ستالين بها، وأن حاشيته ومن كان يحيط به هم أصحاب الذنب الأكبر في تلك الجرائم، وفي مقدمتهم ل.ب.بيريا. في مجلة "أوغونيوك" في العدد رقم /٢٢/ لعام ١٩٨٨م، كانت قد نُشِرَتْ مقالة عن أبيها فاسيلي ستالين، كتبتها ل. أوفاروفا، التي كانت، حسب قولها، معلمة فاسيلي. قالت ناديجدا فاسيلييفنا بخصوص هذه المقالة مايلي: "لا يمكنني أن أتصل هاتفياً برئيس تحرير المجلة كوروتيتش. لكن، لو تسنى لي ذلك، لوجهت إليه الأسئلة البيانية التالية:

١ . متى أتت أوفاروفا للعمل في المدرسة؟ تبين لي من المقالة، أنها أتت في عام ١٩٣٨م أو ١٩٣٩م.

أجيب: أتت في أيار عام ١٩٣٨م في هذا الوقت لم يكن أبي في المدرسة، وكان في أيلول قد بدأ دوامه بالمدرسة الحربية.

٢ . منذ متى كان أبي قصير القامة وعريض المنكبين "دحداحاً" كما قالت؟ لقد كان أبي ذا جسم نحيف صغير، وفي عام ١٩٣٨م كان يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، بينما كانت أوفاروفا شابة في التاسعة عشرة من عمرها.

٣ . كيف تفسرون لي المواصفات التي قالتها، وهي أن أبي كان يملك شفاهاً غليظة ذات شكل غير واضح، وحاجبين عبوسين يلتقيان فوق الأنف، ونظرة يائسة، وجفناه السفليان مرتفعان قليلاً؟.

كان أبي يملك حتى آخر يوم في حياته شفاهاً منتفخة قليلاً، ولم يلتق حاجباه أبداً فوق أنفه، أما ما يخص تعبيرات العينين، فقد كانت نظراتهما دائماً حيوية وطموحة، ومرحة قليلاً بعض الأحيان.

٤ كيف يمكن أن يخطئ الإنسان بهذا الشكل بتحديد لون العينين والشعر؟ لم تكن عيناه خضراوين بل عسليتين، ولم يكن شعره أحمر باهتاً، بل أحمر نحاسياً.

٥ . هل يمكن للإنسان يا ترى أن يخلط بين الذقن المستدير والذقن المخالف تماماً؟ وبين الجبين العالي المفتوح والجبين الضيق؟".

منذ فترة قريبة جداً، في ٢٠/أيلول/١٩٨٩م، تلقيت رسالة من زميل فاسيلي ستالين في المدرسة، وهو ف.س.أليوشين، الذي كتب يقول: "بقي اثنان فقط من صفنا على قيد الحياة، أنا ون.ب.ستويين، الذي كان يجلس مع فاسيلي خلف مقعد واحد في المدرسة. نحن نصرّح لكم، مع كامل المسؤولية، أن مقالة ل.أوفاروفا هي من محض الخيال تماماً.

ماذا تستطيع أن تكتب أوفاروفا، إذا كانت لم ترنا أبداً؟ إنها لم تكن معلمتنا!.

تقول أوفاروفا. إنها بعد أن تخرجت من معهد متوسّط للغات، لم تستطع أن تدرس في مدرستنا. هذا هراء! في عام ١٩٣٨م، كان في المدرسة خيرة المعلمين الموجودين في موسكو، وكان الكثير منهم سابقاً يدرس في الجمنازيا، وكان كل منهم شخصيةً معروفةً جداً. إننا نتذكر أولئك المعلمين، ونحن نُكِنُّ لهم احتراماً عميقاً...

بعد ظهور المقالة في مجلة "أوغونيوك" استدعى قائدنا العسكري السابق ي.ي.ليفيت السيدة أوفاروفا للحوار. اعترفت أوفاروفا بزيف ادعاءاتها في المقالة المنشورة، ونحن لم ننشر حتى الآن أي دحض لادعاءاتها، ولم نكن نريد ذلك، لولا أنها أصدرت كتاباً عن فاسيلي ستالين. بما أن أوفاروفا قد اعترفت في حديثها مع ي.ي.ليفيت، بأنها قد عملت في المدرسة نفسها التي كان يدرس فيها فاسيلي، وأنها بعد تخرج فاسيلي منها، جمعت المعلومات عنه من كلام الناس، فكيف يمكن تحضير مثل هذا الكتاب ونشره؟...".

إنكم ترون، أن القصص الخيالية تظهر أحياناً بطرق رسمية.

ناديجدا فاسيلييفنا تدين هجرة عمتها س.أليلوييفا من الاتحاد السوفييتي، وتعتبر أخاها ألكساندر بوردونسكي لين الطبع كثيراً. إنها تقابل الصحفيين بكل سرور، إذا رأت أن عملهم يخدم البحث عن الحقيقة والموضوعية.

تقول ناديجدا فاسيلييفنا: "إن ظهور مجموعة كاملة من المقالات في الصحف عن ي.ف.ستالين وابنه، أثرت كثيراً على ابنتي، وقد مرت بأزمة حادة فعلاً. كانت هناك بعض

اللحظات، ترفض فيها الدهاب إلى المدرسة، لأن المعلمين والتلاميذ يحاولون أحياناً، أن يصبوا اهتمامهم (بشكل سيء أو جيد) على أبناء من تتكلم عنهم الصحافة. أنا أعتقد، أن التحقيقات والتحليلات المتعمقة في قضية ستالين وسياسته، مازالت آتية في المستقبل. نحن الآن نعيش فترة معاناة فعلية، تستند إلى الإشاعات وليس إلى المقارنات الوثائقية للزمن.

تحمل كنية فاسيلي جوغاشفيلي اليوم ثلاث نساء أُخَر أيضاً، هن: ابنة فاسيلييفا كابيتولينا وابنتا ن.ي.جوغاشفيلي (نوزبرغ) وهي زوجته الأخيرة، وأخذ ابنتيها بالتبني.

أنجبت سفيتلانا أليلوييفا ثلاثة أولاد. ابنها الأكبر يوسف وهو من الأطباء المشهورين في جراحة القلب في الاتحاد السوفييتي. يقول أبوه غ.ي.موروزوف، إن سفيتلانا قد أعطته كنية زوجها الثاني يو.غ.جدانوف، بعد أن تركته وتزوجت من ذاك الأخير.

في منتصف الخمسينات، سُجّلَ يوسف من حديد على كنية أبيه. كان زواج يوسف الأول فاشلاً، وعنده من هذا الزواج صبي. ثم تزوج مرة ثانية، وهو سعيد جداً مع عائلته. حائز على درجة علمية عالية . دكتوراه جراحة في الطب، وله سمعته الطيبة بين زملائه في العمل. هناك الكثيرون من مرضاه يباركونه ويدعون له بطول العمر. يقول، إنه عندما يتذكر أمه، يتولد لديه شعور غير طيب ويائس.

انظروا ما كتبت عنه أمه: "إن ابني نصف يهودي، وهو ابن زوجي الأول (الذي لم يرد أبي حتى أن يتعرف إليه). أذكر اليوم، كم كنت خائفة من لقاء أبي مع ابني أوسكا. كان عمر الطفل ثلاث سنوات، وكان طفلاً رائعاً تتقاطع مواصفاته الخارجية ما بين اليوناني والجورجي: له عينان كبيرتان ورموش طويلة. بدا لي، أن الطفل سوف لن يعجب جده، لكنني كنت لا أفهم شيئاً في منطق القلب. عندما رأى أبي الصبي، غمرته الفرحة. كان مجيئه إلينا في بيت زوبالوفا الهادئ الخالي من الناس نادراً جداً في أيام الحرب. هناك كان يعيش ابني فقط مع حاضنتين، حاضنته وحاضنتي التي أصبحت كبيرة في العمر ومريضة. كنت أدرس في السنة الأخيرة في الجامعة. وكنت أعيش في موسكو، أما ابني فقد كبر تحت "صفصافتي" التقليدية (بيت زوبالوفا) وبحضانة امرأتين كبيرتين في العمر. لعب أبي معه نصف ساعة، ثم جال حول البيت قليلاً (على الأصح، ركض حوله، لأنه كان حتى آخر يوم في حياته يمشي بسرعة وبخفة)، وبعد ذلك غادر المكان. بقيت أنا أعاني وأقلّب ما حدث في عقلي . كنت أطير من الفرحة. كانت كلماته الموجزة "ابنك جميل! وعيناه جميلتان" . تساوي عندي قصيدة مديح كاملة خارجة من بين شفاه إنسان آخر. أدركت، أني أفهم الحياة المليئة بالمفاجآت، بشكل

خاطئ. رأى أبي أوسكا مرتين أخريين أيضاً، وكانت المرة الأخيرة قبل أربعة أشهر من موته، عندما كان عمر الصبي سبع سنوات، وكان في المدرسة، وقد قال آنذاك: "يا لهما من عينين شـديدتي التأمل! إنه ولد ذكي!". وكنت سعيدة من جديد. من الغريب، أن أوسكا أيضاً قد حفظ هذه العبارة الأخيرة، وانطبع في ذاكرته الشعور بالتعاطف القلبي بينه وبين جده. إذا أخذنا بعين الإعتبار صفة اللامبالاة السياسية التي يتصف بها عقله الشاب، وعقول الشباب أمثاله، فأنا أعتقد، أنه كان يجب أن يكره كل شيء مرتبط "بعبادة الشخصية"، وكل الظواهر المنسوبة لشخص واحد، وحتى أن يكره هذا الشخص نفسه. إنه فعلاً يكره هذه الظواهر كلها، لكنه لا يربطها في داخله باسم جده. لقد وضع صورة جده على طاولة مكتبه، ومازالت هناك منذ سنوات كثيرة. أنا لا أتدخل في أموره، ولا أفرض رقابتي على مشاعره وحواسه. علينا أن نثق بالأولاد أكثر، وأنا أرى من جديد، أنني لا أفهم الحياة جيداً، هي حياة ملأى بالمفاجآت..".

لقد نسيت هنا س.أليلوييفا، أن تضيف، أنه حتى ذلك الحين، كان والد زوجها الأول، أي جد الصبي الثاني، قد أمضى في السجن ست سنوات، ولهذا السبب فهو لم ير حفيده، وكان والد الصبي قد بقي ثلاث سنوات عاطلاً عن العمل.

الطفل الثاني عند سفيتلانا كانت ابنتها كاتيا،التي تربَّتْ بعد مغادرة أمها من الاتحاد السوفييتي في بيت جدتها. أنهت كاتيا المعهد العالي للجيوفيزياء . اختصاص براكين. عندها الآن ابنة. أصيبت كاتيا بكارثة عائلية، وهي موت زوجها، والذي غادرت بعده إلى كامتشاتكا، وهي تعمل هناك حتى الوقت الحاضر.

الإبنة الصغرى لسفيتلانا هي أولغا، وقد ربتها أمها دون زوج أيضاً، مثلما ربت أخاها وأختها قبلها. لنرَ كيف تصف سفيتلانا ابنتها هذه: "عاشت ابنتي في أمريكا أحد عشر عاماً، وكانت تتعلم في مدرسة أمريكية،ولم تتكلم الروسية أبداً. وبالفعل، عندما أتيت بها إلى انكلترا، كانت طفلة أمريكية بكل معنى الكلمة. عاشت سنتين في انكلترا، وقد كبرت خلالهما وتغيرت كثيراً، وكانت تدرس هناك في المدرسة المسيحية الدولية (school of quackers)، وكانت تعطى هناك أهمية كبيرة لتربية الروح الأممية عند الأولاد. الجدير بالذكر، أنها حققت نجاحات كبيرة في هذا الاتجاه. كانت المدرسة تحوي أطفالاً من جميع بقاع الأرض ومن جميع القوميات والجنسيات والأعراق: السود والبيض والصفر، وكانت تشعر كثيراً بالجو الأممي، وكان هذا يعجبها، وقد لعبت هذه التربية دوراً كبيراً في نموها وتطورها

مقارنة مع حياتها في أمريكا. عندما ستكبر، ستقرر بنفسها طريقها، وستختار مهنتها وعملها كما يروق لها. نحن لا نجبر أحداً على شيء، وأنا لم أجبر أحداً من أولادي البالغين على فعل ما أريد. لكنها ما زالت تلميذة في المدرسة، وسوف تعيش بعض الوقت وفقاً لما تراه أمها مناسباً".

بعد الرحيل من الاتحاد السوفييتي، تابعت أولغا دراستها في انكلترا. لقد بلغت اليوم سن التاسعة عشرة، وأصبحت قادرة على الاعتماد على نفسها.

أخيراً أريد قبل أن أنهي هذا الفصل، أن أورد حديثاً لي مع ي.يا.جوغاشفيلي:

. ما هي الميزات التي حصلتم عليها، كونكم حفيد ي.ف.ستالين؟

. بعد موت ي.ف.ستالين، أصدر مجلس الوزراء السوفييتي قراراً، بتاريخ ١٤/تشرين الثاني١٩٥٣م، يقضي بتحديد راتبٍتقاعدي شهري لكل أحفاد ستالين، وكان عددنا آنذاك ثمانية، بقيمة ألف روبل حسب التعريفة القديمة، أي بقيمة مئة روبل حسب التعريفة الجديدة، وذلك حتى ينتهوا من الدراسة في المؤسسات التعليمية العليا، وكان هناك شرط! إنه على كل منا، أن يتقدم بعد الصف العاشر، للدراسة في المعاهد العليا، وقد كنت أحصل على هذا الراتب حتى تخرّجت من الأكاديمية. عدا ذلك، كانت تُعطىٰ لنا مرة واحدة في السنة بطاقة استجمام مجانية، خلال العطلة الصيفية. أخذت أمي البطاقة الأولى إلى القوقاز مدينة غاغري لتقضيها في مصحة تشيليوسكينتسيفا. منذ ذلك الحين، كنت أسافر دائماً لقضاء اجازتي في القوقاز فقط، وفي عام ١٩٦٢م التقيت في تبليسي بزوجتي نانانوزادزي.

في الستينات، قالت س.أليلوييفا، إنه قد أوكلت إليها مهمة توزيع مبلغ قدره /٣٠٠٠٠/ روبل بالتعريفة القديمة، وهو ورثة ي.ف.ستالين لهم، وعلى ما يبدو أن هذا المبلغ هو تعويض لستالين على أتعابه. اقترحت هي أن تقسم المبلغ إلى ثلاث حصص (على عدد أولاد ستالين)، ثم تقسم كل حصة على عدد الأحفاد. قسمت حصة فاسيلي بين أولاده الأربعة، وقسمت حصة ياكوف بين ولديه، وحصلت أنا على /٥٠٠٠/ روبل، وأخذت سفيتلانا عشرة آلاف روبل لها.

كيف تنطوي العلاقات بين أحفاد ستالين؟ هل تجتمعون كثيراً معاً؟ وهل يساعدُ بعضكم بعضاً؟.

. لا أريد أن أتكلم هنا باسم الجميع، لكنني أستطيع أن أجيب عن سؤالك سلباً بكلمة "لا". كل منا يعيش ويعمل وحده، ولا يرغب أي منا بالاجتماع مع الآخر. أنا شخصياً أملك علاقات طيبة مع يوسف أليلوييف فقط، والذي أهنئه الآن بكل سرور بحصوله على شهادة الدكتوراه.

. بماذا تفسّر وجود هذه العلاقات الباردة بينكم؟

. برأيي، إن أحفاد ستالين، قد حصلوا بهذا الشأن على ورثة سيئة، أي أن الأمر وراثي. فاسيلي وسفيتلانا، كما هو معروف، لم يحبّ بعضهما بعضاً، ولم يشعرا بصلة الأخوة بينهما. ما كان قد جمعهما هو الذي فرقهما أكثر. أنا نفسي كنت شاهداً ذات مرة على مشهد شتائم أطلقها فاسيلي على أخته، أما ما يخص سفيتلانا، فهي برأيي شيطان في ثياب قديس...

الزمن هو قاضٍ صارم وعادل، وهو وحده ينطق بالحكم النهائي على هذه الحقبة، وعلى كل من كان يقف فيها على قمة السلطة. يوسف فيسارينوفيتش ستالين هو تلك الشخصية التي كانت تجسد السلطة وتقف في قمتها. لقد أصبح زمن حكمه تاريخاً مؤلماً ومأساوياً، موحياً ومعلماً للأجيال القادمة. عندما نتطرق اليوم إلى مصير عائلته، نطمح إلى التوغل في أعماق أحداث ذاك الزمان، وإلى فهم تلك الأحداث مع كل تناقضاتها، أي كما كانت عليه. لا يمكن لأحد ابداً أن يعيد عجلة الزمن إلى وراء، كما لا يمكن لأحد، أن يزيل هذه الصفحة من صفحات تاريخ أمتنا الطويل.

تحمل عائلة ستالين على عاتقها أثر تناقضات ومآسي ذاك العصر. كان يجب ألا يصبح ستالين ربَّ أسرة سعيداً. لقد غادرت كلتا زوجتيه الحياة باكراً، من دون أن يستطيع موافقة نفسه معهما. إن ابنه الأكبر، الذي كان قد عاش عطف أمه وحنانها، والذي لم يفهمه أبوه، وتبرأ منه عندما اتهمه بقسوة بخيانة الوطن، والذي كان قد قاسم بمصيره المرعب مصير ملايين أبناء وطنه في الأسر، عاد إلينا بعد عشرات السنين، خارجاً من اللاوجود، ومجسداً معنى الشجاعة والثبات والإقدام، وبقي ابن أرضه وشعبه ووطنه المخلص البار.

لقد رأينا جميعاً، أن الأبواب أمام فاسيلي ستالين كانت كلها مفتوحة، وأي مبادرة خيرة منه، كان من شأنها، أن تأخذ مكانها في الحياة ودون أية صعوبات، لكن ضعف طبعه وخصائله، وغروره الذي كان المتملّقون والمتزلفون يزيدونه قوة، وظل أبيه، والوسط الذي كان

يحيط به، قد أفسدت حياته تماماً، وخرج بعد ثمانية أعوام من السجن، ولم يجد له مكاناً في هذه الدنيا.

استطاعت ابنة ستالين المفضلة سفيتلانا، أن تجمع حصيلة علمية جيدة، وتصبح أماً، لكنها لم تجد السعادة في وطنها، بالرغم من محاولة العودة التي قامت بها. لقد نشرت في الخارج أوّل مؤلفاتها، وهناك أيضاً قُدِّرَ لها أن تصبح للمرة الثالثة أمّاً.

في عام ١٩٨٩م أرسلت من الاتحاد السوفييتي إلى الولايات المتحدة الأمريكيةأشياءَها الخاصة التي تركتها هنا في يوم ما، آملةً بالعودة إلى وطنها. أظن أن مصيرها قد تقرر الآن بشكل نهائي، بالرغم من أنه قد تحدث فيما بعد بعض الانحرافات المفاجئة.

هناك فرصة اليوم لكل أحفاد ستالين المقيمين في الاتحاد السوفييتي، أن يشاركوا بشكل فعلي في الأحداث الثورية التي بدأتها البيريسترويكا. علينا اليوم، دون إشاعات وأكاذيب أن نتعمق في دراسة ماضينا على أساس الوثائق، وإذا لم نفعل ذلك، فأظنّ أننا لن نصل أبداً إلى مستقبل سعيد.

صادرات الدار:

١ - الطب الشعبي ومجالاته - الطبعة الأولى - جاروسي فيرمونت - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٢ - أسرار الكون - الطبعة الأولى - عدة علماء - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٣ - القوة العصبية - الطبعة الأولى - بول بريغ - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٤ - فوائد عصير الخضار والفواكه - الطبعة الأولى - نورمان وكمر - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٥ - المساج النقطي - الطبعة الأولى - زويا ميخائيلينكو - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٦ - كيف تكونين جميلة - الطبعة الأولى - زويا ميخائيلينكو - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٧ - الطريق إلى الصحة - الطبعة الأولى - زويا ميخائيلينكو - ١٩٩٢
٨ - علاج الأمراض الجلدية - الطبعة الأولى - ب داتسوفسكي - دار علاء الدين - ١٩٩٢
٩ - الأجسام الطائرة المجهولة - الطبعة الأولى - أ. كوزوفكين - ماجد علاء الدين - ١٩٩٢
١٠ - دليل مريض السكر - الطبعة الأولى - دار علاء الدين - ١٩٩٠
١١ - كيف تقوي بصرك - الطبعة الأولى - د. ماجد علاء الدين - ١٩٩٣
١٢ - أعشاب الشفاء - الطبعة الأولى - د. ماجد علاء الدين - ١٩٩٣
١٣ - تقليم وتربية أشجار الفاكهة - الطبعة الأولى - طه الشيخ ياسين - ١٩٩٣
١٤ - دليل الحامل - الطبعة الأولى - دار علاء الدين - ١٩٩٣
١٥ - كيف تعتني بالطفل وأدبه - الطبعة الأولى - اسماعيل الملحم - ١٩٨٨
١٦ - التربية السليمة للطفل - الطبعة الأولى - موريس لين - ترجمة سميح شيا - ١٩٩٣
١٧ - طائر الكريم - الطبعة الأولى - وهيب سراي الدين - ١٩٩١
١٨ - مغامرة العقل الأولى - الطبعة العاشرة - فراس سواح - ١٩٩٣
١٩ - الحدث التوراتي - الطبعة الثانية - فراس سواح - ١٩٩١
٢٠ - لغز عشتار - الطبعة الخامسة - فراس سواح - ١٩٩٣
٢١ - التشريعات البابلية - الطبعة الأولى - عبد الحكيم الذنون - ١٩٩٢
٢٢ - صفحات من تاريخ فن الرقص - الطبعة الأولى - فائق شعبان - ١٩٩٣
٢٣ - الجنس في العالم القديم - الطبعة الثانية - بول فرشياور - فائق دحدوح - ١٩٩٣
٢٤ - بدايات الحضارة - الطبعة الأولى - عبد الحكيم الذنون - ١٩٩٣
٢٥ - طقوس الجنس المقدس - الطبعة الثانية - نهاد خياطة - ١٩٩٣

٢٦ - حلوى الأطفال - الطبعة الرابعة - مرغريت باول - فائق عمران - ١٩٩٣
٢٧ - تحضير الكيك والكاتو - الطبعة الأولى - مرغريت باتن - ترجمة دار علاء الدين - ١٩٩٢
٢٨ - المأكولات الشهية - الطبعة الأولى - اف. م ميلينيك - سميح شيا - ١٩٩٢
٢٩ - نحن والأبراج - الطبعة الأولى - ترجمة دار علاء الدين - ١٩٩٢
٣٠ - العرافة وسوسةأم ...؟ - الطبة الأولى - ترجمة دار علاء الدين - ١٩٩٢
٣١ - العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة - الطبعة الأولى - سمير عبده - ١٩٩٣
٣٢ - التحليل النفسي للأقوال المأثورة - الطبعة الأولى - سمير عبده - ١٩٩٣
٣٣ - التحليل النفس لقوة الإستدلال - الطبعة الأولى - سمير عبده - ١٩٩٣
٣٤ - برتراندرسل - الطبعة الأولى - سمير عبده - ١٩٩٣
٣٥ - العمليات الجراحية - الطبعة الأولى - إعداد فايز طريفي - ١٩٩٤
٣٦ - موسوعة السويداء - الطبعة الأولى - مجموعة باحثين - ١٩٩٤
٣٧ - موسوعة الطيور - الطبعة الأولى - لجنة الدراسات في دار علاء الدين - ١٩٩٤
٣٨ - تاريخ القانون في العراق - الطبعة الأولى - عبد الحكيم الذنون - ١٩٩٣
٣٩ - مذكرات عن الإنقلاب العسكري - الطبعة الأولى - ميخائيل غورباتشوف - ١٩٩٢
٤٠ - رموز مقدسة - الطبعة الأولى - ترجمة د. ماجد علاء الدين - ١٩٩٣
٤١ - الوقت الضائع - الطبعة الأولى - ترجمة رسلان علاء الدين - ١٩٩٢
٤٢ - قصص قصيرة - الطبعة الأولى - ليف تولستوي - ترجمة رسلان علاء الدين - ١٩٩٢
٤٣ - حكاية العملاق العجيب جونغ - الطبعة الأولى - ترجمة ريما علاء الدين - ١٩٩٢
٤٤ - قفزة - الطبعة الأولى - ترجمة رسلان علاء الدين - ١٩٩٢
٤٥ - اللؤلؤة النادرة - الطبعة الأولى - حكايا شعبية فيتنامية - ١٩٩٣
٤٦ - دليل السائح الروسي - الطبعة الأولى - د.ماجد علاء الدين - ١٩٩٢
٤٧ - عش البلبل - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٤٨ - الصفصافة العجوز - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٤٩ - قلم الحبر - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٥٠ - حوار داخل الحقيبة - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٥١ - القطة والثعلب - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٥٢ - السمكة الذكية - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٥٣ - البنفسجة - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣
٥٤ - الساعة والديك - الطبعة الأولى - وديع اسمندر - ١٩٩٣

٥٥ ـ الأخوة كينيدي ـ الطبعة الأولى ـ غورميكو ـ ترجمة ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٢
٥٦ ـ صفحات مجهولة من حياة تولستوي ـ الطبعة الثانية ـ ك. لومونوف ـ ترجمة ماجد علاء الدين ـ ١٩٩١
٥٧ ـ ملحمة الزمن ـ الطبعة الأولى ـ أنا تولي سافروفوف ـ ترجمة د.ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٢
٥٨ ـ ذاكرة في القلب ـ الطبعة الثانية ـ أنا غاغارين ـ محمد بدرخان ـ ١٩٩٠
٥٩ ـ مدخل إلى علم تصنيف المكتبات ـ الطبعة الأولى ـ برجس عزام ـ ١٩٨٦
٦٠ ـ الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق ـ الطبعة الأولى ـ د.عدنان أبو فخر ـ ١٩٨٤
٦١ ـ البلدان النامية والعلاقات الاقتصادية ـ الطبعة الأولى ـ إ.س بورتيانكوف ـ ١٩٨٤
٦٢ ـ جلجامش ـ الطبعة الثانية ـ فراس السواح ـ ١٩٩١
٦٣ ـ أزمة العالم ـ الطبعة الأولى ـ فيدل كاسبرو ـ نصر شمالي ـ ١٩٨٩
٦٤ ـ مغامرات بوراتينو ـ الطبعة الأولى ـ ألكسي تولستوي ـ ترجمة د.ماجد علاء الدين ـ ١٩٨٥
٦٥ ـ تيمور وفريقه ـ الطبعة الأولى ـ أركادي غايدرا ـ ترجمة د.ماجد علاء الدين ـ ١٩٨٦
٦٦ ـ الوقواق والريف ـ الطبعة الأولى ـ إكريلوف ـ ترجمة د.ماجد علاء الدين ـ ١٩٨٥
٦٧ ـ الذئب والثعلب ـ الطبعة الأولى ـ إكريلوف ـ ترجمة د.ماجد علاء الدين ـ ١٩٨٥
٦٨ ـ المرأة والقرد ـ الطبعة الأولى ـ إكريلوف ـ ترجمة د.ماجد علاء الدين ـ ١٩٨٥
٦٩ ـ شريعة حمورابي ـ الطبعة الثانية ـ مجموعة من المؤلفين ـ ترجمة أسامة سراس ـ ١٩٩٣
٧٠ ـ الديانة الفرعونية ـ الطبعة الثانية ـ واليس برج ـ ترجمة نهاد خياطة ـ ١٩٩٣

هذا الكتاب :

ما زال إسم ستالين يشغل حيزا كبيرا بين أسماء المشاهير على المستوى العالمي ، فالبعض يرى فيه قائدا سياسيا ، وعسكريا ، والبعض يرى فيه ديكتاتورا متسلطا ، والبعض يتعامل معه كشخصية ضرورية ألقي على عاتقها تنظيم القارة الروسية وما حولها حتى تمكنت من تحطيم جيوش الفاشية بزعامة هتلر.

لكل رأيه ، وفي هذا الكتاب يلقي المؤلف الضوء على حياة هذه الشخصية النادرة ويسرد الكثير من الأسرار التي لم تكن معروفة سابقا.

الكتاب مفيد لعامة القراء.

الناشر